صقلية وعمائرها الإسلامية

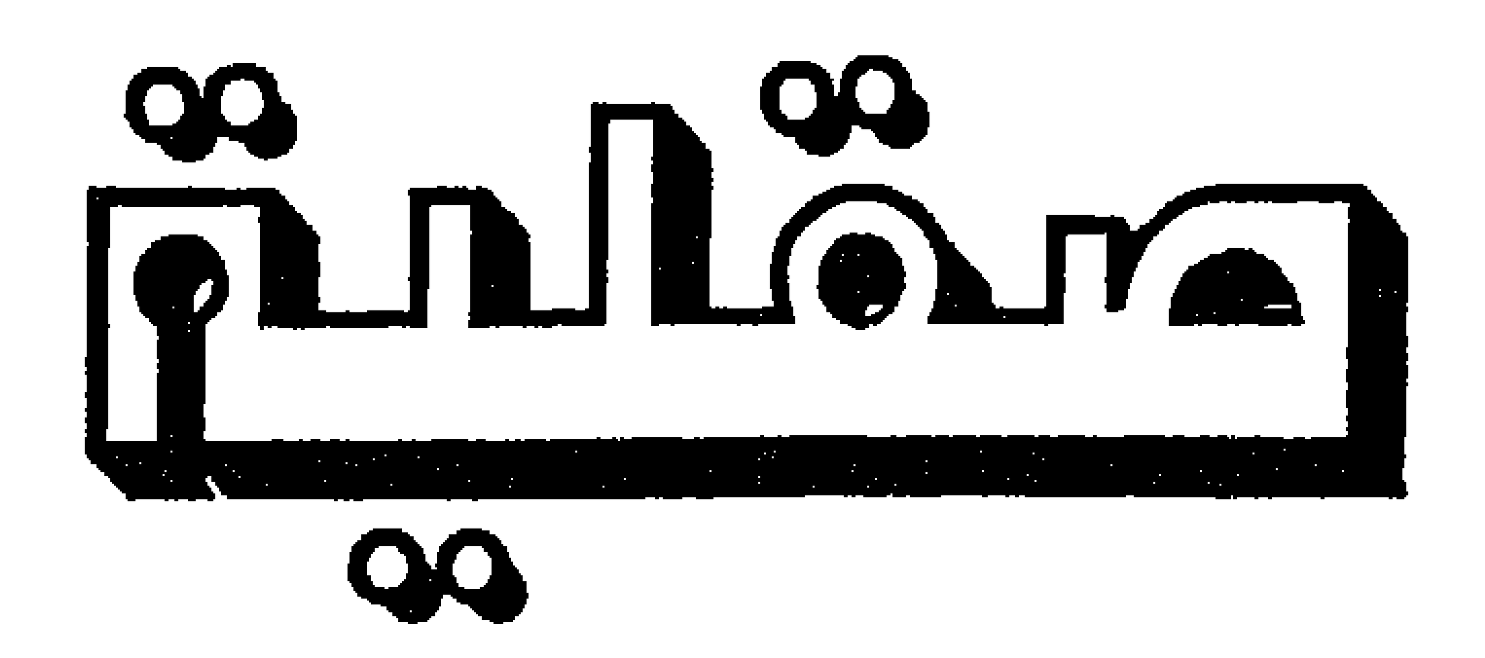
في العصر الفاطمي



الدكتور
محمد الجهينى

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي

صقلية
وعمائرها الإسلامية
في العصر الفاطمي



وعمائرها الإسلامية
في العصر الفاطمي

الدكتور

محمد الجهيني

وكيل كلية الآثار – جامعة جنوب الوادي

الطبعة الأولى

٢٠٠٧م

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي

الكتاب: صقلية وعمائرها الإسلامية فى العصر الفاطمى

المؤلف: دكتور محمد محمود على الجهينى

مراجعة لغوية: قسم النشر بالدار

رقم الطبعة: الأولى

تاريخ الإصدار: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

حقوق الطبع: محفوظة للناشر

الناشر: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى

العنوان: ٨٢ شارع وادى النيل المهندسين ، القاهرة ، مصر

تلفاكس: ٥٦١ ٣٠٣٤ (٠٠٢٠٢) ٠١٢/١٧٣٤٥٩٣

البريد الإليكترونى: J_hindi@hotmail.com

رقم الإيداع: ١٦٩٣٨ / ٢٠٠٦

الترقيم الدولى: 5 - 23 - 6149 - 977

التصنيف: تدمك ٩١٥,٣٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة كل خير وتمام كل نعمة

الإهداء

إلى روح أبى طيب الله ثراه

وغفر له ، وأدخله فسيح جناته

المؤلف

المقدمة

لم يتبق من العمائر الإسلامية فى صقلية سوى عدد قليل؛ وأشهرها قصر العزيزة، وقصر القبة القائمان بالقرب من العاصمة بالرمو؛ والذى ثبت بهما أنه لم يكن من المبالغة ما رواه المؤرخون عن فخامة المبانى الإسلامية فى الجزيرة، فلقد شيدت من الحجر المهذب، وزخرفت بالرخام الثمين والفسيفساء، وحفلت واجهاتها بالنقوش، وازدانت بالدخلات، وعشقت نوافذها بالسواتر الجصية المعشق بها الزجاج الملون.

وفى ذلك يذكر الإدريسى: "... ولها حسن المبانى التى سارت الركبان بنشر محاسنها فى بناءاتها ودقائق صناعتها وبدائع مخترعاتها". فمنازلها شامخة شريفة وقصورها منيعة وحماماتها وحوانيت التجار بديعة. كذلك فقد اتسمت مدنها بإحاطاتها بالأسوار ذات الأبراج والبوابات الحصينة "وهى حسنة تعجز الواصفين وتبهر عقول العارفين وهى بالجملة فتنة للناظرين".

ومحاولة منى فى كشف سمات العمارة الإسلامية فى العصر الفاطمى، فقد عكفت على دراسة المصادر التاريخية التى تناولت الجزيرة متتبعاً ما ورد بها من عمائر وما ورد عنها من أوصاف مع مقارنة ذلك بما تبقى منها داخل الجزيرة، أو بالعمائر المشابهة فى بلاد المغرب الأوسط، وفى القاهرة. حيث كشفت تلك المصادر منذ فتح الأغالبة وحتى خضوعها للنورمانديين عن الكثير من العمائر الإسلامية، والتى منها المدن المسورة، والمساجد ذات المآذن، والقصور، والحمامات،...الخ، والتى امتازت بفخامتها وتعدد عناصرها المعمارية.

وللوقوف على سمات تلك العمائر رأيت أن تكون دراستها وفق التقسيم التالى:

الفصل الأول : ويتناول الجزيرة فى المصادر التاريخية.

الفصل الثانى : وخصصته لعمران الجزيرة.

الفصل الثالث : العمائر الإسلامية فى العصر الفاطمى.

الفصل الرابع : خصائص العمارة فى العصر الفاطمى.

وقد اعتمدت اعتماداً مباشراً فى سبيل إتمام هذه المهمة على عدد كبير من المراجع والمصادر التاريخية التى من أهمها :

- المقدسى (شمس الدين أبى عبد الله بن أحمد الشامى المعروف بالبشارى): أحسن

التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ط٢، ليدن١٨٩٠م.

- الإدريسى: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق.
- ابن حوقل (أبى القاسم النصيبى): صورة الأرض، ط٢، ليدن، ١٩٦٧م.
- الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت): معجم البلدان، عشرة مجلدات.
- ابن الأثير (عز الدين أبى الحسن على بن محمد): الكامل فى التاريخ

ومن المراجع الحديثة :

- عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة أمين توفيق الطيبى ١٩٨٠م.
- عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية فى صقلية وجنوب إيطاليا، السعودية، تهامة، ١٩٨٠م.
- إحسان عباس: العرب فى صقلية (دراسات فى التاريخ والأدب)، دار المعارف، ١٩٥٩م.
- أحمد توفيق المدنى: المسلمون فى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، تونس ١٩٤٥م.
- يسرى أحمد عبد الله زيدان: البناء الثقافى والعلمى لصقلية العربية ٢١٢-٤٨٤هـ/ ٨٢٧- ١٠٩١م، ندوة العرب وأوروبا عبر عصور التاريخ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة ١٩٩٩م.

ومن المراجع الأجنبية :

- Editoriale (S); Eredita dell' Islam Arte Islamica in Italia1994
- Amari (M); Le Epigrafi Arabiche di Sicilia, Palermo, 1971

وغير ذلك من المراجع المثبتة فى نهاية الكتاب.

وفى النهاية لا يسعنى إلا أن أتوجه بالشكر إلى كل من مد لى يد العون والمساعدة، وأخص بالذكر أساتذتى الأجلاء والزملاء بأقسام الآثار بالجامعات المصرية.

كما أتوجه بالشكر إلى القائمين على مكتبة المركز الثقافى الإيطالى بالقاهرة على كريم معاونتهم ومساندتهم لى حتى خرج هذا العمل إلى الوجود.

والله أسأل أن أكون قد وفقت فى سد فراغاً فى المكتبة العربية داعياً المولى عز وجل أن تتبعها محاولات أخرى. والله من وراء القصد.

المؤلف

الفصل الأول

صقلية فى المصادر التاريخية

صقلية جزيرة كبيرة فى جنوب إيطاليا، وفى قلب البحر المتوسط[1]. لها هيئة مثلثة الشكل[2]؛ تحاذيها من بلاد العرب أفريقية (تونس)[3]؛ وهى تعنى فى اللسان القديم التين والزيتون[4].

ويفصل جزيرة صقلية عن إيطاليا مضيق (مسينة)[5] الضيق؛ ولذلك فإن الجزيرة امتداد جغرافى لشبه الجزيرة الإيطالية، كما تقع الجزيرة من الناحية الأخرى على مسافة يسهل عبورها بحراً من الشمال الأفريقى.

وهى جزيرة خصبة كثيرة البلدان والقرى والأمصار؛ أدرك أهميتها المسلمون؛ باعتبارها موقعاً شديد الخطر على بلاد المسلمين خاصة وأن صقلية إلى جانب خصبها مركزاً هاماً للبحرية البيزنطية حيث كانت تخرج منها الأساطيل البيزنطية لمهاجمة السفن والمراكز الإسلامية المقابلة لصقلية فى الساحل الأفريقى الشمالى[6]؛ وبالتالى فإن فتحها أمراً بات وشيك الوقوع.

وقد بدأ العرب بالإغارة على الجزيرة فى بداية العصر الإسلامى، ولكن كانت عملياتهم العسكرية، حينئذ عبارة عن إغارات سريعة يعقبها الانسحاب وكان تأسيس دولة الأغالبة القوية فى القيروان فى القرن الثالث الهجرى-التاسع الميلادى من العوامل التى حددت بداية مرحلة جديدة فى موقف العرب من صقلية. حيث وقع على مسلمى إفريقية فتح صقلية

---

(1) إبراهيم خورشيد (وآخرون): موجز دائرة المعارف الإسلامية، جـ٢١، ط١، ١٩٩٨م، ص٦٥٦٣.

(2) ابن حوقل (أبى القاسم النصيبى): صورة الأرض، ط٢، ليدن، ١٩٦٧م، القسم الأول، ص١١٨. ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله): معجم البلدان، م٥، ص٣٧٣.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١١٨.

(4) أميرنو رينزيتانو: منتخبات من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار لابن عبد المنعم الحميرى (خاصة بالبقاع والجزر الإيطالية)، مجلة كلية الآداب، م١٨، جـ١، مايو ١٩٥٦م، ص١٥٩.

(5) هى رأس جزيرة صقلية. انظر: ابن جبير (أبى الحسين محمد بن حمد الكنانى الأندلسى)، رحلة ابن جبير، ص٢٢٤.

(6) عمر كمال توفيق: المجتمع العربى الإسلامى فى بالرمو، عالم الفكر، م١٤، ١٩٨٤م، ص١٧٧.

وإيطاليا فى هذه الفترة التى استقلت فيها إفريقية عن الخلافة العباسية فى بغداد؛ وأصبح منوطاً بها تأمين سواحلها ضد الهجمات التى يشنها الأسطول البيزنطى ضد بلاد المسلمين، فأوفد ثالث حكام الأغالبة زيادة الله وزيره (أسد بن الفرات) للقيام بهذه المهمة سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م.

وخرج هذا القائد فى حملة ضخمة، استطاع من خلالها فتح الجزيرة، وأن يتخذ مدينة مازر[١] فى غرب الجزيرة حاضرة له، وبعدها فتح مدينة باليرم[٢] سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م، ومسينى[٣] فى عام ٢٢٦هـ/ ٨٤٢ن، وبعدها قصر يانه[٤] عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م، ثم سقطت سرقوسة[٥] عام ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م، أما طبرمين[٦] فلم تسقط إلا فى عام ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م، بعد حصار طويل لها؛ والملاحظ أن الأغالبة قضوا أكثر من سبعين عاماً حتى تم لهم فتح هذه الأجزاء من جزيرة صقلية وفرضوا سيطرتهم عليها؛ ومن صقلية أخذ المسلمون يتقدمون فى إيطاليا نفسها وكان أمراء صقلية فى أول الأمر يولون من قبل الأغالبة، الذين تركوا فى

---

(1) مدينة بجزيرة صقلية تلى قوصرة فى الجانب الغربى من الجزيرة: وهى مدينة مشهورة على الساحل الموازى لإفريقية، وتقع جنوب مدينة بلرم العاصمة، وتمتاز بأن الأغالبة قد أحاطوها بأسوار حصينة شاهقة، ومبانيها حسنة وبها أزقة واسعة وشوارع وأسواق عامرة بالتجارة وحمامات وخانات وبساتين، وذلك على زمن الحميرى (عبد المنعم): الروض المعطار فى خبر الأقطار. تحقيق: أمبرتو رينزيتانو: الجزء الخاص بالبقاع والجزر الإيطالية، مجلة كلية الآداب، م١٨، جـ١، سنة ١٩٥٦م، ص٧٥.

(2) وهى قاعدة بلاد الجزيرة ومدينتها العظمى، وهى دار الملك بصقلية زمن المسلمين والروم وهى على ساحل البحر، وفيها من المبانى الحسنة ما هو مشهور. وللمزيد انظر: أمبرتو ريتربتانو: الروض المعطار، ص١٤٦-١٤٧. ابن جبير: الرحلة، ص٢٣٠.

(3) هى رأس جزيرة صقلية وهى كثيرة المدن والعمائر، حتى أن ابن جبير قد أعجب بها وبما اشتملت عليه من عمائر، انظر: ابن جبير، الرحلة، ص٢٢٤.

(4) قصر يانه: من أعظم مدائن الروم بصقلية، فتحها العباس بن يزيد بن الفضل ابن يعقوب بن المضاء العامل بصقلية من قبل إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب صاحب القيروان، نفسه، ص٢٨٩؛ أمبرتو رينزيتانو: الروض المعطار، ص١٧٠.

(5) هى مدينة لها ثلاثة أسوار وهى من أشهر المدن، يحيط بها البحر من جميع جهاتها وهى عامرة بالخانات والديار والحمامات والمبانى الرائعة والأفنية الواسعة، انظر: أمبرتو رينزيتانو: الروض المعطار، ص١٥٣، ابن الأثير (عز الدين بن الحسن على بن محمد)، الكامل فى التاريخ، جـ٧، ص١٢٧.

(6) حصن بصقلية مطل على البحر، فتحها إبراهيم بن الأغلب سنة ٢٨٩هـ، بعد حصارها حصاراً طويلاً. أمبرتو رينزيتانو: الروض المعطار، ص١٦٥.

صقلية ومدنها الكثير من آثارهم[1] التى لم يبق الزمن عليها شأنها شأن آثار الفترات التالية لحكمهم والتى أشارت إلى كثرتها المصادر التاريخية المعاصرة.

ولعل من الأمور الهامة التى ينبغى الإشارة إليها هنا فى هذا المقام هو وجود أربطة (رباطات) كثيرة على ساحل البحر، أوجدها هؤلاء الأغالبة كنقاط دفاع. لعلها تتماثل مع الرباطات التى لا زالت تحتفظ بها تونس ومدنها[2]. لكن هذه الرباطات لم تلق إعجاب ابن حوقل وقال عنها إنها مملوءة بالرياء والنفاق والبطالين والفساق متمردين شيوخ وأحداث وأحسب تأسيها كان على غير التقوى حسب ما أسست عليه المساجد[3].

وكانت صقلية مقسمة فى هذه الفترة إلى ثلاثة أقسام جغرافية هى إقليم مازر Valdi Mazara وإقليم نوطس Valdi Noto وإقليم دمنش Valdi Mone[4]. والقسم الأول يقع إلى الغرب من الجزيرة وكانت له أهمية كبرى لوجود عدد كبير من المسلمين به. أما الولاية الثانية نوطس فكانت نسبة المسلمين فيها أقل، أما الولاية الثالثة الواقعة شرق الجزيرة فكان معظم سكانها من المسيحيين[5]، وبهذا فإن مازر مثلت مركز الثقل بالنسبة للوجود الإسلامى وكان هؤلاء من أجناس مختلفة؛ من اليونان واللمبارد، واليهود، والعرب، والبربر، وكذلك بعض الفرس والسودان، وكان العرب يشكلون النخبة الحاكمة ويليهم أهمية البربر الذين كانوا قد قاموا بدور هام فى فتح الجزيرة.

وفى عهد هؤلاء الأغالبة كان الوالى العربى على صقلية يحمل لقب (أمير) أو (وال) أو (صاحب)، ويتمتع بحرية كبيرة فكان يعلن الحرب ويُعقد الصلح بقرار منه، وكان يتولى

---

(1) كانت الجزيرة قليلة العمارة خاملة قبل الإسلام فلما فتح المسلمون بلاد إفريقية، هرب أهل إفريقية إليها فأقاموا بها فعمروها وأحسنوا عمارتها، ولما فتحها بنو الأغلب بنوا فيها الجوامع والمساجد الكثيرة لمحاربة النصرانية، وفى ذلك عمدوا إلى تحويل الكثير من الكنائس إلى مساجد، ولا أشك أن هذه العمائر الإسلامية قد تأثرت بعمائر الأغالبة فى تونس. انظر: الحموى، معجم البلدان، م٥، ص٣٧٤. سليمان مصطفى زبيس: بين الآثار الإسلامية فى تونس. منشورات دار الثقافة، تونس ١٩٦٣م، ص٧- ٨.

(2) سليمان مصطفى زبيس: المرجع نفسه، ص٨.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢١.

(4) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية. نقله إلى العربية وقدم له أمين توفيق الطيبى، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠م، ص٨.

(5) عمر كمال توفيق: المجتمع العربى الإسلامى فى بالرمو، ص١٧٩.

توزيع غنائم الحرب، والعملات التى ضربت فى صقلية فى المرحلة الأولى كانت تحمل اسم والى صقلية والأمير الأغلبى الحاكم فى إفريقية، أما العملات فيما بعد فكانت لا تحمل سوى أسماء الأمراء الأغالبة[١].

وبعد سقوط دولة الأغالبة وقيام الدولة الفاطمية، انتهى حكمهم للجزيرة عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م، وتولى الأمر فى هذه الجزيرة ولاة من قبل الخليفة الفاطمى فى المغرب[٢] حيث عين الخليفة الفاطمى عبيد الله المهدى وال سابق للجزيرة كان قد انحاز إلى الدعوة الفاطمية يدعى على بن أحمد بن أبى الفوارس، واستمر والياً على الجزيرة لمدة عام ثم عزل واستبدل به أحد رجال الفاطميين الأكثر إخلاصاً وهو الحسن بن أحمد المعروف بابن أبى خنزير[٣]، واستمر الحكم فى يد هؤلاء الفاطميين حتى رحل المعز لدين الله الفاطمى من بلاد المغرب إلى عاصمة ملكه القاهرة عام ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م، وبرحيله إلى مصر قام بتقسيم ممتلكات الفاطميين فى المغرب بين حليفين له رئيسيين[٤]: الكلبيين[٥] الذين جعلهم نواباً عنه فى صقلية وبنى زيرى الصنهاجيين الذين جعلهم نواباً عنه فى حكم المغرب إلى جانب أسرتين قويتين فى الغرب الإسلامى إحداهما حكمت طرابلس الغرب والأخرى أسرة بنى حماد التى حكمت الجزائر[٦].

واستمرت هذه الأسرة تحكم صقلية حتى منتصف القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، وقد تمتعت هذه الأسرة بشىء من الاستقلال، وحاول فيها الولاة الكلبيون توسيع الفتوحات داخل الجزيرة ومن خارجها إلى أبعد مدى.

ولم يحدث تغيير كبير على الخريطة السكانية لصقلية فى أوائل حكم الفاطميين وكانت

---

(1) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص٢٩- ٣٠.

(2) أحمد مختار العبادى، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط والبحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس، جـ٢، مؤسسة شباب الجامعة، ص١١٩.

(3) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص٣٢.

(4) عطية القوصى: مصر الفاطمية وعالم حوض البحر المتوسط، ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٤٥.

(5) عن هذه الأسرة انظر:

The Kalbids in Sicily
http:/www.glopal.net/heritag/histoire/history (15) history528.html/,pp.1-2.

(6) عطية القوصى: مصر الفاطمية، ص١٤٥.

كثافة السكان ما زالت فى إقليم (مازر)، وكان الوافدون المسلمون الجدد إلى الجزيرة من الصناع والجند والنازحين، وكان السكان النصارى ما زالوا أكثرية راسخة فى الجزء الشرقى من الجزيرة خصوصاً فى إقليم (دمنش)[1].

وفى نهاية النصف الأول من القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى وبعد أن مُنيت مصر بالضعف السياسى والتدهور الاقتصادى فى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م، وفى عهد خلفائه من بعده، قام أمراء صقلية الكلبيون بالتحول عن الخلافة الفاطمية وقطع العلاقات معها حتى أنهم طلبوا المساعدة من بنى زيرى الذين خرجوا كذلك عن الولاء للفاطميين واعترفوا بتبعيتهم للخلافة العباسية عام ٤٤٠هـ/ ١٠٤٧م. وقد أمدهم الزيريون بالمساعدات عندما تعرضت جزيرة صقلية فى عهدهم للهجوم البيزنطى سنوات ٤٣٠، ٤٣٦هـ/ ١٠٣٨، ١٠٤٤م. وإزاء ما فعله أمراء الجزيرة الكلبيون من قطع للعلاقات مع الفاطميين حدثت اضطرابات عديدة بين أمراء الجزيرة بين مؤيد ومعارض لهذا الإجراء مما أشعل نار الفتنة فى الجزيرة. وفى هذه الأثناء كانت قوة غربية قد بدأت فى الظهور عند مدخل البحر الأدرياتى وهى قوة النورمان، الذين كونوا لأنفسهم مع حلول عام ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م قوة ضاربة. وفى عام ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م أرسل الملك النورماندى روجر تنكرد قواته واحتل (مسينه) ثم تقدم جنوباً بهدف مهاجمة صقلية الإسلامية. وقد أرعب الغزو النورمانى مسلمى صقلية وطلبوا العون من المهدية سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، وأرسل الأمير الصنهاجى بعض قواته فى العام التالى لدفع الخطر الخارجى عن الجزيرة. وبعد أن مكث هؤلاء الجند المغاربة أربع سنوات متتالية فى الجزيرة رحلوا عنها لنشوب خلافات بينهم وبين أهل صقلية تاركين الجزيرة تواجه بمفردها الغزو النورماندى[2]. وفى عام ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م قام روبرت جوسكار بمهاجمة الجزيرة بعد أن احتل (بارى)[3] آخر معاقل البيزنطيين فى إيطاليا، ونجح هذا الأمير فى فتح العاصمة

---

(1) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص٣٦.

(2) عطية القوصي: مصر الفاطمية، ص١٥١ – ١٥٢.

(3) بارى: استولى عليها مسلموا إفريقية وصقلية سنة ٢٢٦هـ/٨٤١م، انظر: أحمد محمد الدسوقى: الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا، ندوة العرب وأوروبا عبر عصور التاريخ، اتحاد المؤرخين العرب، ١٩٩٩م.

(بالرمو) براً وبحراً لتسقط فى يده دون أن يهرع أحد لنجدتها وبسقوط العاصمة تتابع سقوط بقية مدن الجزيرة لتصبح جميعها فى يد النورمان سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م[١].

ومن ثم تم فى بضع سنوات غزو صقلية بأسرها وساد الحكم النورماندى الجزيرة كلها واحتل سادة النورمانديين القصور كما احتل الجنود الحصون، ولاح أن كل ما كان للعرب من مجد قد ولى وانقضى ومع ذلك فإن الثقافة العربية وجدت عصب حياتها فى كيان الغزو النورماندى[٢] وأخذ عرب صقلية يعملون على الرقى بحضارتها على أسس عربية وظل حكام صقلية من النورمانديين محافظين على التقاليد الإسلامية فى الحكم والإدارة بل فى أساليب الحياة، كما ظلوا يعتمدون على مسلمى صقلية فى شتى المجالات[٣].

وقبل أن نعرض لموضوع البحث عن (عمارة صقلية فى العصر الفاطمى خصائصها وأثرها فى العمارة النورماندية). يجدر الإشارة إلى الأجناس البشرية التى وفدت إلى الجزيرة منذ عهد الأغالبة وخلال العصر الفاطمى الأول[٤] وفى عصر الأسرة الكلبية[٥] وذلك

(1) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص٥٨.

(2) إبراهيم خورشيد: موجز دائرة المعرف الإسلامية، جـ٢١، ص٦٥٦٣.

(3) حسن الباشا: أثر الفنون الإسلامية بصقلية وإيطاليا فى أوروبا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد الثانى، ط١، ١٩٩٩م، ص٨٤.

Irwin (R); Islamic Art, Laurence King, 1997, p. 275.

(4) حكم الفاطميين الأوائل صقلية منذ عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م، وحتى سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م.

(5) بدأ حكم الأسرة الكلبية لصقلية سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م، باعتلاء الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى لمدة خمس سنوات ثم أبو الحسن أحمد بن الحسين سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م، وحتى عام ٣٥٣هـ/٩٦٤م، ثم يعيش مولى الحسن بن على سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م، وأبو القاسم على بن الحسن العلوى ٣٥٩هـ/٩٦٩م، وجابر بن أبى القاسم على سنة ٣٧١هـ/٩٨١م، وبعده جعفر بن محمد بن أبى القاسم على ٣٧٣هـ/٩٨٣م، وبعده عبد الله أخوه ٣٧٥هـ/٩٨٥م، ثم أبو الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن ٣٧٩هـ، الملقب بثقة الدولة، ثم من بعده جعفر بن يوسف (تاج الدولة ٣٨٨هـ/٩٩٨م) ثم أحمد الأكحل بن يوسف (تأييد الدولة ٣٨٨هـ) ثم على بن يوسف ٤٠٥هـ وحتى٤١٠هـ/ ٨١٩م، ثم أحمد الأكحل من جديد٤١٠- ٤١٦هـ/ ١٠١٩- ١٠٢٥م، ثم الحسن الصمصام ٤١٦-٤٢٧هـ/١٠٢٥- ١٠٣٥م، ثم أول غزو نورماندى ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م.

انظر: زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى. أخرجه زكى محمد حسن، حسن أحمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥١م، جـ١، ص١٠٦- ١٠٩.

لتوضيح التأثيرات الواقعة على العمارة الفاطمية، والنورماندية[1]. فى ضوء ما وصل إلينا فى المصادر التاريخية. وكذا فى ضوء العمائر الباقية.

سكان جزيرة صقلية :

كان سكان صقلية فى عهد الأغالبة مزيجاً من كثير من الشعوب والأجناس والديانات المختلفة كالصقليين النصارى والمسلمين واليونان واللمبارد واليهود والعرب والبربر وكذلك بعض الفرس والسودان؛ وكان العرب يشكلون النخبة الحاكمة والذين وفدوا بأعداد كبيرة لفتح الجزيرة بقيادة أسد بن الفرات، بعد أن ضاق بهم حكام الأغالبة لكثرة ثورات التمرد التى كانوا يشنونها داخل البلاد[2].

وعقب الفتح – والعودة بثروات طائلة جباها التونسيون من ذلك، أنفقوها على إقامة العمائر الفاخرة، من قصور، وقلاع، وأسوار مدن مثل قصر لمطة، وقصر المنستير، وسور سوسة، وسور صفاقس، وغيرها – اتجه الكثير من أرباب الحرف والصناعات إلى هذه الجزيرة للإقامة والعمل ووجدوا فى العمل هناك نقلاً لأساليبهم البنائية والزخرفية؛ تمثلت فيما تركوه من أعمال معمارية أبقى عليها من خلفهم من ولاة الفاطميين.

وفى عصر الولاة الفاطميين لم تتغير الخريطة السكانية، فانقسم السكان – كما فى عصر الأغالبة – إلى ثلاثة أقسام:

١- **السكان النصارى**: ويشكلون أكثرية فى الجزء الشرقى من الجزيرة **خصوصاً** فى إقليم دمنش.

٢- **السكان المسلمون** : وكان معظمهم فى إقليم (مازر) كما ضم الوافدون المسلمون الجدد من الصناع والجند والنازحين وسكان الجزيرة الأحرار والتابعين الإقطاعيين والرقيق بنسبة قليلة جداً من المسلمين فى إقليم (نوطس).

---

(1) حكم النورمانديون باعتلاء روبرت الأول سنة٤٦٤هـ/١٠٧١م، ثم الاستيلاء على قصريانة والفتح النهائى ٤٨٤هـ/١٠٩١م، أعقبه روجر الثانى الكونت ٤٩٤هـ/١١٠٠م، ثم روجر الملك المتوفى سنة ٤٥٨هـ / ١١٥٣م، ثم وليم الأول فى نفس العام، ثم غليالم الثانى ٥٦١هـ/١١٦٦م، ثم تنكريد ٥٨٥هـ/١١٨٩م، وبعده هنرى السادس الوالى الإمبراطور ٥٩٠هـ، ثم فردريك الثانى الوالى ٥٩٤- ٦١٧هـ/١١٩٧- ١٢٢٠م.
انظر: زامباور: معجم الأنساب، جـ١، ص١٠٦- ١٠٩.

(2) سليمان مصطفى زبيس: بين الآثار الإسلامية فى تونس ص٨؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص٢٩.

٣- **سكان (بلرم)**[١]: كانوا مزيجاً من مختلف الأجناس عرب وبربر ويونان ولمبارد ويهود وصقالبة[٢] وفرس وترك وسودان[٣]. (انظر خريطة١)

وما يذكر أن جوهراً قائد الفاطميين المملوك الشهير الذى وسع رقعة سلطان الفاطميين بحيث شمل المغرب ومصر هو من أصل صقلى بيزنطى وقد شغل المسلمون الصقليون مناصب سامية فى الإدارة الفاطمية فى إفريقية ومن بينهم أبو الفتح متولى مدينة طرابلس وكان صقلى وشخص آخر يُدعى (بُشرى) أحد قادة الجيش الفاطمى ضد الخارجين على الخلافة ويُدعى (أبى يزيد)[٤].

وفى هذا العصر استمر التوافد العربى من بلاد المغرب، ومن مصر، ومن الأندلس لبناء ثقافة الجزيرة فى شتى المناحى؛ فلقد استمر المغاربة يلعبون دوراً بارزاً فى مختلف نواحى الحضارة فى صقلية. ساعد على ذلك قربها الجغرافى من بلاد الشمال الإفريقى وبخاصة تونس التى تبعد عن صقلية مسافة يوم وليلة على حد قول النويرى[٥]؛ بل أن دور مدينة سوسة التونسية كانت تُرى من صقلية، وذلك لارتفاع تلك المدينة الساحلية (سوسة) عن الأرض.

ومن هؤلاء الوافدين المغاربة عدد من فقهاء وعلماء القيروان الذين نزلوا صقلية بعد فتحها وخلال العصور التالية نتيجة لهجمة بني هلال وبني سليم سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م[٦]

---

(1) إحسان عباس: العرب فى صقلية (دراسات فى التاريخ والأدب)، دار المعارف، ١٩٥٩م، ص٦٨.

(2) الصقالبة أو السلاف اسم يطلق على تلك الشعوب المنحدرة من أصول شتى التى كانت تنزل الأراضى المجاورة لبلاد الخزر بين القسطنطينية وأرض البلغار؛ واستعمل اللفظ فى الأندلس بصيغة الجمع (صقالبة الأندلس) وهو اسم لجنس يطلق على الحرس الأجنبى الخاص بخلفاء قرطبة الأمويين، وكان الاسم يطلق أصلاً على جميع الأسرى الذين كانت تأتى بهم الجيوش الألمانية من حملاتها على الصقالبة ثم يبيعونها إلى المسلمين فى الأندلس. انظر: دائرة المعرف الإسلامية، م ١٤، ص ٢٥٠- ٢٥٢.

(3) للاستزادة عن سكان صقلية انظر:

Pellitteri (A). I Fatimidi,e,la Sicilia, palerma,1997,(see x),p.39- 96.
Editoriale (S); Eredita dell' Islam Arte Islamica in Italia,1994,p.183.

(4) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص٣٦.

(5) النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب، جـ٢٤، تحقيق: د. محمد نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، ص٣٥٤- ٣٥٥.

(6) يسرى أحمد عبد الله زيدان: البناء الثقافى والعلمى لصقلية العربية٢١٢- ٤٨٤هـ/٨٢٧- ١٠٩١م، ندوة العرب وأوروبا عبر عصور التاريخ، اتحاد المؤرخين العرب، ١٩٩٩م، ص٢١١- ٢١٣.

على المغرب كما وفد من مصر وبلاد الأندلس عدد غير قليل من العلماء، وأهل الفن وأرباب الحرف، والذين وقع عليهم جميعاً التأثير الثقافي في الصقليين حتى برز منهم العلماء الصقليين البارزين في شتى العلوم والمعارف، وبذلك حدث تبادل علمي وثقافي بين صقلية وغيرها من بلاد الإسلام[1]. ولا شك أن لهذا النشاط الثقافي والعلمي مردوده على الحياة الفنية والعمرانية داخل صقلية حيث أنتجت صناعات عديدة ومتميزة، مثل المنسوجات الحريرية[2]، والأخشاب المحفورة بعناصر متميزة[3]؛ والعاج المنفذ عليه مناظر تصويرية إلى جانب صناعات خزفية متميزة[4]، وكذلك نقوش كتابية على العمائر الإسلامية وعلى شواهد القبور تشهد بما أصابه الفنان الصقلي من رقي وما وصل إليه الخط العربي هناك من ازدهار[5]. إلى جانب التصوير

الذي أبدع فيه إبداعاً منقطع النظير.

ولعل ما وصلنا من تحف فنية منسوبة إلى صقلية تحتفظ بها المتاحف العالمية لخير شاهد على التميز الفني الذي وصلت إليه تلك المنتجات في العصر الفاطمي والعصر النورماندي.

---

(1) كما انتقل علماء مغاربة إلى صقلية هرباً من فتنة الهلاليين، انتقل كذلك علماء من الأندلس إلى صقلية بسبب الفتنة الكبرى بقرطبة سنة٣٣٩هـ/١٠٠٨م، ومعهم صناع وحرفيين فظهرت تأثيراتهم على العمارة في الفاطمية والنورماندية. انظر: يسرى أحمد عبد الله: البناء الثقافي، ص٢١٨.

كذلك انظر عن البناء الثقافي لصقلية:

Bellafiore (G); Dall' Islam Alla Maniera, Profilo dell' Architottura Sicilliana dal IX al XVI Secolo, Palermo, 1975, p.11.

(2) سعاد حسين: تأثيرات فنية إسلامية على مجموعة قطع نسيج من صقلية محفوظة بمتحف كلية الآثار، جامعة القاهرة، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، يناير ١٩٩٩م، ص٥٣٩، ٥٧٢.

Rice (D.T); Islamic Art, London, 1975, p.156.

; Galzier (R); Historic Textile Fabrics, London, 1923, p.48.

(3) Ettinghausen (R) & Garbar (O); The Art and Architecture of Islam, Yale University Press, 1994, pp. 204- 205.

(4) تم الكشف عن قطع من الخزف المزخرف بالبريق الأخضر الزاهي والطلاء التركوازي وذلك في منطقة شيفلدي بصقلية والتي تبعد ٥ كيلومتر عن قلعة دونافوجسانتا بالقرب من راموزا؛ وهي تتشابه مع الخزف المنتج في الفاطمي. انظر عن ذلك:

Tonshini (C); Fatimid Ceramics from Italy: The Archaeological Evidence, L'Egypte Fatimide son Art et son histoire, Actes du Colloque Organise a Paris, les28, 29 et 30, Mai, 1998, Presses de'l' Universite de Paris- Sorbonne, 1999, p.293.

(5) Amari (M); Le Epigrafi Arabiche di Sicilia, Palermo, 1971, pp. 154- 166.

ولقد جاء هذا التميز نتيجة تأثر الفنان بخليط من المؤثرات الفنية المختلفة إلى جانب تأثره بالفنون المحلية التى كانت راسخة القدم فى صقلية قبل الفتح الإسلامى للجزيرة وأعنى بها (الفن البيزنطى).

فلقد تأثر الفنان الصقلى بالمدرسة الفاطمية والسلجوقية فى رسمه للوجوه فجاءت بشكل (قمرى) للرجل وللمرأة على حد سواء مع تميز المرأة باختصاصها بسلافتين تتدليان ملتويتى النهايتين عكس اتجاه الأذن مع عدم رسم ضفائر وهو بهذا اختلف عن المدرسة السلجوقية التى كان الفنان فيها يرسم العيون كبيرة نسبياً تأثراً بالفن البيزنطى عكس الفنان السلجوقى الذى رسمها ضيقة جداً وبشكل لوزى فى حين أن الفنان الفاطمى رسمها واسعة[١]، كما تميز الفنان الصقلى عن زميله الفاطمى والسلجوقى برسم الصور النصفية التى تضم الصدر والرأس فقط وهو بذلك متأثر بالفنان البيزنطى الذى أتقن رسم هذه الصور[٢]، كما تميز الفنان الصقلى أيضاً عن غيره من الفنانين فى الدولة الفاطمية والدولة السلجوقية برسم شعر اللحية متموجاً متأثراً فى ذلك بتقاليد المدرسة البيزنطية، كما رسم الفنان الصقلى العناصر الحيوانية المألوفة والخرافية متأثراً بما عرف فى الفن السلجوقى والبيزنطى.

أما العناصر النباتية فقد نفذوها وفقاً لما نفذه الفنان المسلم بصفة عامة من هذه العناصر، وعلى الأخص فنان شمال إفريقية وإسبانيا، فقد اقتبس منهما كثير من العناصر النباتية وطورها بحيث ظهرت على منتجاته فى ثوب جديد يميزها عن أصولها، فرسم الأوراق الرمحية، والأرابيسك، وكيزان الصنوبر، والخرشوف، والورقة الكلوية وغيرها[٣]، من أوراق ثلاثية تتدلى من فم طائر أو ترسم كمهاد للكتابات التسجيلية.

أما النقوش الكتابية فقد جاءت حروفها صدى للابتكار المحلى إذ كان القرنان الثالث والرابع الهجريين فى صقلية فترة تكوين فنى تبها ظهور المدرسة الصقلية بخصائصها المميزة؛ فنجد الفنان الصقلى يبتكر بعض الوصلات الزخرفية المتصلة بحرف اللام (لفظ الجلالة) ليس لها ما يماثلها فى العالم الإسلامى كما وضعت الكاتبات الشاهدية محاطة من أعلى بعقود

---

(١) عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية فى صقلية وجنوب إيطاليا، تهامة، ١٩٨٠م، ص١٣٣- ١٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٣٣- ١٤٣.

(٣) المرجع السابق، ص١٤٩- ١٥٢.

معمارية نصف دائرية وثلاثية تنتهي بفصى مروحة تخيلية[1].

أما السكة، فقد كانت تصدر فى العصر الفاطمى من دار الضرب (صقلية) فى سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م أى فى خلافة المنصور بالله؛ وكانت العملات التى تطرحها للتداول من فئة (ربع الدينار) وقد استمرت إصداراتها من هذه العملة بعد استقلالها الذاتى عن الدولة الفاطمية سنة٤١٠هـ/ ١٠١٩م وحتى سقوط بالرمو فى أيدى النورمان سنة٤٦٤هـ/ ١٠٧١م[2].

وهكذا نتبين أن الفنان الصقلى قد أصاب قدراً من التطوير فى منتجاته الفنية التى أنتجها فى العصر الفاطمى والنورماندى ساعد على ذلك ما تميزت به الجزيرة من أهمية اقتصادية، وموقع متميز سهل لها القيام بنشاط تجارى مع الدول المختلفة مما أدى إلى الارتفاع باقتصادياتها[3]، الأمر الذى ساعد على ازدهار فنونها وتميزها بين الفنون الأخرى المعاصرة[4].

أما المجال العمرانى فقد شهد أيضاً ازدهاراً ملموساً منذ أن وطأت أقدام المسلمين أرض هذه الجزيرة؛ حيث شيدت المدن المسورة، وقسمت إلى أخطاط، تضم المساجد والقصور والدور، والحمامات والخانات والأسواق، وكذلك القلاع والرباطات.

وقد استمر النشاط العمرانى خلال العصر الفاطمى والعصر النورماندى؛ معتمداً على عناصر بشرية عديدة ظهرت مؤثراتها على ما خلفه هؤلاء من عمائر إسلامية بالجزيرة تحدث عنها المؤرخون وأطنبوا فى ذكرها، وبعض أوصافها. كما بقى تأثير هؤلاء على العمائر النورماندية التى لا تزال باقية، والتى يمكن من خلالها إظهار سمات العمارة الإسلامية التى شيدها المسلمون فى الجزيرة خلال العصر الفاطمى، والتى ضاعت معالمها لأسباب عديدة، لعل من أهمها احتلال النورمان لها وتغيير معالمها، وهدم أكثرها رغم استعانتهم فى تشييد

---

(1) Amari (M); Op. Cit, pp. 159- 166.

(2) وجيدة يحيى عزب رزق: النقود الإسلامية فى بلاد الشام وفلسطين وصقلية فى العصر الفاطمى، مخطوط رسالة ماجستير، كلية الآثار، ١٩٩١م، ص٨٢.

(3) تقى الدين عارف: صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربى حتى الغزو النورماندى (٢١٢- ٤٨٤هـ/٨٢٧- ١٠٩١م)، العراق، ١٩٨٠م.

(4) سعاد حسين: تأثيرات فنية إسلامية، ص٥٥٩.

غيرها بعناصر إسلامية استمرت تعمل فى البلاط النورماندى حتى نهايته ودخول الجزيـرة فى تبعية الإمبراطورية الألمانية الأمر الذى ساعد على حصر خصائص هذه العمائر وبالتالى يمكن استنتاج السمات التى كانت تميز العمائر الإسلامية فى صقلية خلال العصر الفاطمى ولتوضيح ذلك جلياً يمكن تناوله فى ضوء النقاط التالية:

عمارة المدن – المساجد – القصور – القلاع.

** ** ** **

الفصل الثانى

عمران مدينة صقلية

عمارة المدن فى صقلية الفاطمية :

مدينة بالرم والخالصة (خريطة ٢، ٣) :

بالرم هى قصبة صقلية[١]؛ اتخذها المسلمون عاصمة لحكمهم، وهى من أهم مدن الجزيرة آنذاك، وكانت تتمتع بمكانة خاصة قبل الفتح الإسلامى؛ فهى من أهم مدن الجزيرة وأقدمها؛ فهى مدينة بحرية جيدة الميناء سهلة الاتصال بإفريقية، وكانت المنطقة المحيطة بالمدينة خصبة، فضلاً عن توفر المياه بها، وكانت من أول المدن التى استولى عليها المسلمون، وكانت تقع فى المنطقة الغربية التى يكثر فيها العنصر الإسلامى، وكان هذا عاملاً أساسياً أدى إلى تفضيل المسلمين لها على مدينة (سراقوسة) الواقعة فى الجزء الشرقى من الجزيرة، والتى كانت مركزاً للعنصر الأفريقى، وقاعدة للدولة البيزنطية، واتخذها المسلمون عاصمة لهم منذ عـام٢١٦- ٤٦٤هـ/ ٨٣١- ١٠٧١م[٢].

وقد وصفها لنا ابن حوقل الذى زار الجزيـرة خـلال حكـم المسـلمين لهـا فـى العصـر الفاطمى وذلك فى سنة٣٦٢هـ/ ٩٧٢م وصفاً رائعاً فى كتابه صورة الأرض[٣]، فذكر "أنها من المدن الكبرى، مستطيلة التخطيط ذات سوق قد أخذ مـن شـرقها إلى غربهـا يُعـرف بــ (السماط) مفروش بالحجارة عامر من أوله إلى آخره[٤]".

ويُستشف مما ذكره ابن حوقل أن لهذه المدينة سور يحيط بها كان قد شيده الأغالبة أثناء حكمهم للمدينة، ويتخلل هذا السور عدة أبواب كبيرة بلغ عددها تسعة أبواب منها عدة أبواب تم استحداثها[٥] فى العصر الفاطمى، منها باب بجوار باب البحر أحدثه أبو الحسين

---

(1) المقدسى (شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بكر الشامى المعروف بالبشارى) أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ط٢، ليدن١٨٩٦م، ص٢٣١- ٢٣٢.

(2) عمر كمال توفيق: المجتمع العربى الإسلامى فى بالرمو، ص١٨٠.

(3) ابن حوقل (أبى القاسم النصيبى): صورة الأرض، ص١٢٢.

(4) المصدر نفسه، ص١٢٢.

(5) الراجح أن السور بكامله قد تم تحديده أيضاً فى هذا العصر، انظر:.Bellafire(G); Dall' Islam, p. 14.

أحمد بن أبى الحسين[1] سنة٣٤١- ٣٥٣هـ، وقد شيده على نشز، مطل على نهر وعين تدعى عين شفاء وبها يُعرف هذا الباب، كما استحدث باب آخر عُرف بباب الرياض بجوار باب (ابن قرهب) فى وضع غير حصين، ثم باب آخر لم يسم باسم كان يخرج منه إلى حارة أبى جمين. وبذلك تكون البوابات الفاطمية ثلاث والبوابات المشيدة فى الفترة الأغلبية (ست) هى (باب البحر، باب شنهات، باب روطة، باب الأنبياء، باب السودان، باب الحديد الذى كان يؤدى إلى حارة اليهود). وبذلك تكون جملة الأبواب التى تخترق السور الحجرى الحصين الشاهق تسع؛ وقد جدد السور بكامله وتم تحصينه فى عهد الأمير محمد بن الحسين بن على بن أبى الحسين فى سنة ٣٥٦هـ/ ٩٦٦م بأمر من الخليفة المعز لدين الله بعد صلحه مع الدولة البيزنطية[2] ولم يرد عن هذه الأسوار أو الأبراج التى كانت تكتنفها أية أوصاف معمارية اللهم إلا ما ورد عن شموخ السور ومنعته فى وصف ابن حوقل له. غير أن الوصف الوارد للسور يشير إلى أن غالبية بنائه قديم فى الفترة الأغلبية التى تعود للقرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى.

وتمتاز عمارة المدن فى الفترة الأغلبية بإحاطتها بالأسوار الشاهقة مثلما فعلوا فى مدينة سوسة التونسية وصفاقس[3] والحمامات[4]،وهذه الأسوار كان يتخللها الأبراج الأربعة الحصينة التى تنتهى بصف من الشرفات التى تأخذ هيئة ورقة نباتية ثلاثية[5]، والتى تم بناؤها من الأحجار النحتية.

ولما قامت الدولة الفاطمية بالمغرب تأثرت بما شاهدت من مدن شيدها الأغالبة فى رقادة، وسوسة، وصفاقس عندما شيدوا مدينتهم المهدية، فأحاطوها بسور تخترقه البوابات[6].

---

(1) زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة، جـ١، ص١٠٦- ١٠٩.

(2) عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية، ص١٩٨.

(3) Mahfoudh (F); La Grande Mosquee de Mahdiya et son Influence sur L'Architecture Medievale Ifriqiyenne, L'Egypte Fatimide son Art et son histoire, Actes du Colloque Organise a Paris, Sorbonne Universite Presses, 1999, pp. 127- 137.

(4) سليمان مصطفى زبيس: المرجع السابق، ص٨.

(5) سليمان مصطفى زبيس: المرجع السابق، ص١٢.

(6) سليمان مصطفى زبيس: المرجع السابق، ص١٢.

وهذا التأثير قد انتقل أيضاً إلى ولاة صقلية فى العصر الفاطمى فأنشأوا ضمن سور بالرمو البوابات الإضافية التى تقوى تحصينه وتزيد منعته، وبذلك تصبح مدينة بالرمو ثانى المدن الفاطمية بعد المهدية ذات الأسوار والأبراج وبالتالى فإن هذا التأثير سينتقل إلى القاهرة الفاطمية من بلاد المغرب مثلما تأثرت به صقلية. وقد أُطلق عليها اسم (المدينة) أو (القصر).

وقد ظلت بالرم مركز الحكم حتى سنة٣٢٥هـ/ ٩٣٦م، عندما أصدر الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله، أوامره إلى قائده أبو العباس خليل بن أسحق حاكم الجزيرة فى هذا العام وحتى٣٢٩هـ/ ٩٤٠م[1]، ببناء مدينة جديدة خارج مدينة بالرم على مرسى المدينة أُطلق عليها اسم (الخالصة).

ويتضح من هذه التسمية الغرض الذى بنيت من أجله وهو جمع الخلصاء للوالى أو الخليفة فقط، وذلك لعدم اطمئنانه لأهل صقلية عامة وأهل بالرم خاصة.

وقد أمدنا ابن حوقل بوصف لهذه المدينة الجديدة فقال: "ذات سور من حجارة وليس كسور بالرم يسكنها السلطان وأتباعه، وبها جيش السلطان ودار صناعة البحر، وفيها حمامات، ولا أسواق فيها ولا فنادق وفيها مسجد جامع صغير، ولها أربعة أبواب من الأمام والخلف والغرب والشرق يوجد البحر وفى هاتين الجهتين سور بدون بوابات[2] حوله خندق يتقدمه فصيلاً لزيادة حصانتها وقد عُرفت باسم (الربض).

وقد أمدنا المقدسى بأسماء أبواب مدينة الخالصة التى فتحت فى السور الأمامى والخلفى وهى باب كتامة، وباب الفتوح، وباب البنود، وباب الصناعة[3] وهى أسماء تتشابه مع تلك الأسماء التى أطلقها بعد ذلك الفاطميون على إحدى بوابات السور الشمالى بمدينة القاهرة، وعلى إحدى القبائل المغربية، وكذلك على إحدى الخزانات الخاصة بالأعلام، ودار الصناعة التى كانت تُعد السفن وتُصنّعها؛ مما يشير إلى استقرار النظم الفاطمية فى صقلية قبل القاهرة بأكثر من ثلاثين عاماً.

وهذه البوابات أيضاً لم يرد عنها أية أوصاف معمارية ويرجح تشابهها مع مدينة المهدية بتونس، غير أن أسوار الخالصة كانت أقل ضخامة من أسوار بالرم، ويتضح من هذه

---

(1) زامباور: معجم الأنساب، ص١٠٦- ١٠٩.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١١٩.

(3) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٢٣١.

الأوصاف التى ذكرها الجغرافيون بأن المدينة كانت ذات طابع خاص، فقد خلت من الأسواق والفنادق، وهى بذلك تُعد إرهاصات البداية لإنشاء المدن ذات الطبيعة الخالصة مثلما فعل جوهر الصقلى عندما شيد القاهرة لتكون حصناً للخليفة ورجال دولته.

وقد ظلت مدينة الخالصة منذ إنشائها وحتى عام٤٣١هـ/ ١٠٣٩م، مقر الحكم والإدارة والجيش[1]، ثم عاد الأمر بعد ذلك لبالرم وحتى دخول النورمانديين الجزيرة.

وقد تم إحاطة بالرم والخالصة بسور آخر أصبحت الخالصة ضمن حدود مدينة بالرم على الرغم من تخريبها وبطلان استخدامها كدار إمارة بعد عام٤٣١هـ/ ١٠٣٩م. (انظر خريطة شكل٢). وقد أشار إلى وجود هذا السور الجغرافى الإدريسى فى عهد روجر الثانى فى النصف الأول من القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى. وهو ما لم يرد عند ابن حوقل الذى زار المدينة قبله[2].

ويشير ابن جبير فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى إلى وصف مدينة بالرم بأنها قرطبية البناء مبانيها كلها بمنحوت الحجر المعروف بالكدان، وهى تتشابه مع قرطبة فى أن لها (مدينة قديمة تعرف بالقصر القديم فى وسطها، وبهذا القصر القديم وبأركانها القصور المشيدة والتى بها مناظر تحار الأبصار فى حسنها)[3]، وهى بهذه الصورة التى رآها عليها ابن جبير صورة متوارثة للمدينة الإسلامية التى شيدت فى عصر الفاطميين الكلبيين. وقد انتشرت داخل بالرم منذ تشييدها وخلال مراحل تعميرها فى العصر الفاطمى الحارات والأسواق التى عرفت بـ (الأسمطة) والتى فرشت أرضياتها بالحجارة والتى انتشرت بداخلها كافة أنواع التجارة؛ كما انتشرت بداخلها العمائر الكثيرة ذات الصفة الدينية والمدنية مثل المساجد ومحاضر التعليم، والقصور، والحمامات[4].

---

(1) أمبرتو ريتربناتو: الروض المعطار، ص١٥١.

(2) عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية، ص١٩٣.

(3) ابن جبير: الرحلة، ص٢٣٠.

(4) غوستاف لوبون: حضارة العرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٠م، ترجمة عادل زعيتر، ص٣١٠. كذلك فقد شيدت فى العصر الفاطمى، البيمارستانات، والمدارس، والمساجد، والحمامات.

انظر: The Kalbids in Sicily, Http:/www. Global.net,p.1.

Bellafiore (G); Dall' Islam,p.14.

وبذلك يكون القصر أو المدينة (بالرم) قد شيدت كمدينة للعامة تضـم العمـائر الدينيـة والمدنية والأسواق، أما الربض فقد خصص للإدارة والإمارة لفترة تقارب القـرن ثـم عـاد الأمر بعد ذلك لبالرم وتم دمج المدينة مع الربض بسور آخر يحيط بهمـا، وقـد اسـتمر هـذا السور حتى القرن السابع عشر. (انظر الخريطة شكل٢، شكل٣)

** ** ** **

الفصل الثالث

العمائر الإسلامية الفاطمية فى صقلية

أولاً: المساجد :

أشارت المصادر الجغرافية التى سجلت واقع جزيرة صقلية خلال الحكم الإسلامى إلى اشتمال مدنها على عدد ضخم من المساجد؛ خاصة فى مدينة بالرم والخالصة، وفى ذلك يذكر ابن حوقل: "وبصقلية من المساجد فى مدينة بالرم والمدينة المعروفة بالخالصة والحارات المحيطة بها من وراء سوريهما عامرة أكثرها قائمة على عروشها يحيط بها وأبوابها تيف وثلاثمائة مسجد ... ولم أر كهذه العدة من المساجد بمكان ولا بلد من البلدان الكبار"[1].

وقد كانت هذه المساجد صغيرة المساحة، يؤكد ذلك قول ابن حوقل: "لقد كنت واقفاً ذات يوم فى بالرم بجوار دار أبى محمد عبد الواحد بن محمد المعروف بالقفصى الفقيه الوثائقى فرأيت من مسجده فى مقدار رمية سهم نحو عشرة مساجد يدركها بصرى ومنها شىء تجاه شىء وبينهما عرض الطريق فقط"[2].

ولعل كثرة إنشاء المساجد فى صقلية راجع إلى تباهى الناس بإنشائها بين عائلاتهم ومواليهم[3]؛ وذلك لتفقه الكثير من أهالى صقلية وفى ذلك يقول ابن حوقل: "وسألت عن ذلك فأخبرت أن القوم لشدة انتفاخ رؤوسهم كان يحب كل واحد منهم أن يكون له مسجد مقصور عليه لا يشركه فيه غير أهله وحاشيته"[4].

والمرجح أن كل هذه المساجد قد شُيدت فى العصر الفاطمى خاصة وأن ولاة الأغالبة بصقلية قد شيدوا الكثير من العمائر الحربية كالقلاع والأربطة، والمسجد الجامع الكبير ببالرمو وجاءت إلى جانب العديد من الدور والقصور، وكانت فترة حكمهم فترة حروب لإخضاع بقية مدن صقلية؛ ونستشف ذلك من رواية ذكرها ابن حوقل: "... ومن جملة هذه العشرة مساجد التى ذكرتها مسجد يصلى فيه أبو محمد ابن القفصى، وبينه وبين دار ولد له يتفقه

---

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢٠.

(2) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢٠.

(3) عزيز أحمد: تاريخ صقلية، ص٤٧.

(4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢٠.

دون الأربعين خطوة وقد ابتنى ابنه مسجداً إلى جانب داره وهو أحد حدودها ... ويحضر أوقات الصلاة وهو جالس فى دهليز داره المجاورة الملاصقة لمسجده فلا يصلى فيه[1]".

وكان - إلى جانب التباهى بتشييد المساجد - لازدهار العلوم والآداب فى الجزيرة خلال حكم الأغالبة والكلبيين، ورعاية الحكام لهذه العلوم بل وقيامهم أنفسهم بمهام الكتابة والتأليف والفقه[2]؛ ما ساعد على تنامى حركة التشييد والبناء لهذه المساجد لنشر العلوم والآداب والفقه الإسلامى.

وكان أكثر هذه المساجد (محاضر لتعليم القرآن الكريم) والتى استمرت تؤدى مهامها حتى رآها ابن جبير عندما زار بالرم[3] فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى؛ ولم يرد عن هذه المساجد الصغيرة أو محاضر تعليم القرآن أية أوصاف معمارية، ولم أجد لها مثيلاً فى بلاد المغرب أو القاهرة فى الفترة المعاصرة أو السابقة، بل وجدت بكثرة فى العمارة المملوكية فى الطابق الثالث لعمارة الأسبلة.

وإلى جانب هذه المحاضر التعليمية أشار ابن حوقل إلى نوع آخر من المساجد كبيرة المساحة نسبياً ومنها (مسجد القصابين)[4]؛ الذى أعطانا عنه وصفاً لمساحته من خلال ذكر أعداد المصلين به حيث ذكر أنه غص بأهله وبلغ سبعة آلاف رجل ونيف لأنه لا يقوم فيه أكثر من ستة وثلاثين صفاً للصلاة وكل صف منها لا يزيد عن مائتى رجل[5]؛ ويمكن إعطاء مساحة تقريبية له فكل فرد يشغل مساحة لأداء الصلاة قدرها ١,٢٥م، وعرض المنكبين ٥٠ سم تقريباً، وبذلك تشغل الصفوف المذكورة ٣٦ × ١,٢٥ = ٤٥م + ١,٢٥ الإمام فيصبح طول ظلة القبلة ٤٦,٢٥م.

أما عرض الظلة فتقدر بعدد كل صف من المصلين وهم ٢٠٠ × ½ م = ١٠٠م. وبذلك تصبح مساحة الظلة = ١٠٠×٤٦,٢٥ = ٤٦٢٥م تقريباً ومثل هذه المساحات قد وجدنا لها

---

(1) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢٠.

(2) عزيز أحمد، تاريخ صقلية، ص٤٩.

(3) ابن جبير: الرحلة، ص٢٣٠.

(4) عُرف بهذا الاسم لكونه قد شيد بالقرب من موقع حوانيتهم التى هى دون المائتى حانوت آنذاك. انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢٠.

(5) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢٠.

مثيلاً فى مساحات المساجد الفاطمية بالقاهرة فلقد كان الجامع الأزهر عند إتمام بنائه فى سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م يحتل مساحة مستطيلة مقاساتها الخارجية ٨٨م طولاً و ٧٠م عرضاً؛ وكان بيت الصلاة فيه يمتد ٨٥م بموازاة جدار القبلة و ٢٥م من هذا الجدار إلى الصحن[1]، وبالمقارنة يتبين لنا أن المساحة لمسجد القصابين هى مساحة إجمالية بما فى ذلك الصحن؛ يتضح فيها صغر مسجد القصابين عن الجامع الأزهر وذلك لكثرة المساجد التى ضمتها صقلية وبالرم والخالصة خاصة.

ودون هذه المعلومات المستقاة من نص ابن حوقل لا نعلم هل كان للمساجد صحون أم أنها مساحات مغلقة، ولكن بالمقارنة بما هو معروف عن مساجد هذه الفترة فى كل من مصر وتونس يمكن الاستدلال ومعرفة مخططاتها، خاصة وأن بلاد المغرب هى التى أثرت فى عمائر الفاطميين فى مصر؛ ولا شك أنهم قد نقلوا ذات المؤثرات عند فتحهم للجزيرة وهجرتهم إليها فى العصر الفاطمى.

كذلك فقد أشار ابن جبير إلى نمط آخر من المساجد التى كانت تُعلق فوق المنشآت المدنية ومنها مسجد قصر سعد[2]؛ الذى بنى فى الفترة الإسلامية أى قبل٤٨٤هـ/ ١٠٩١م، وبعد زيارة ابن حوقل للمدينة٣٦٢هـ/ ٩٧٢م[3] وكان يقع على ساحل البحر مشيد البناء أعلاه مسجد من أحسن مساجد الدنيا، مستطيل ذو حنايا مستطيلة؛ مفروش بحصر نظيفة، وقد علق نحو الأربعين قنديلاً من الصفر والزجاج (المشكاوات والثريات)، وأمامه شارع واسع مستدير بأعلى القصر[4].

ويشير الوصف الوارد عن المسجد أنه شُيد أعلى بناء القصر، على جزء من سطحه فترك أمامه فضاء أطلق عليه مصطلح "شارع مستدير"؛ وقد شيد بناء المسجد بأسلوب معمارى نال استحسان ابن جبير، فهو من الداخل مساحة مستطيلة يزخرف حوائطها الخارجية حنايا مستطيلة وبذلك يكون هذا المسجد قد اشتمل على (ميزة) هامة هى زخرفة الحوائط الخارجية

---

(1) أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها، جـ١ (العصر الفاطمى)، دار المعارف، ١٩٦٥م، ص٤٨.

(2) قصر من عهد ملكة المسلمين للجزيرة (العصر الفاطمى)، انظر: ابن جبير، الرحلة، ص٢٢٨.

(3) لم يرد ذكر لهذا القصر والمسجد أعلاه بكتاب ابن حوقل (صورة الأرض) مما يشير إلى أنه شيد بعد زيارة ابن حوقل للمدينة٣٦٢هـ/٩٧٢م.

(4) ابن جبير، الرحلة، ص٢٢٨- ٢٢٩.

بدخلات تجارية[1]. إلى جانب ذلك فإنه شيد أعلى القصر وهو بذلك يُعد من المساجد المعلقة التى ظهرت فى صقلية قبل مصر بأكثر من مائة عام حيث نجد النموذج الباقى فى القاهرة يمثله مسجد الصالح طلائع بن رزيق٥٥٥هـ/ ١١٦٠م، ومن قبله فى تونس مسجد رباط المنستير، ومسجد رباط سوسة (٣هـ/ ٩م)[2].

وإلى جانب هذه الميزة كان هناك ميزات أخرى لمساجد هذه الفترة، فلقد كانت لها مآذن حيث ساق لنا ابن الأثير هذا الخبر الذى يعود لسنة٣٤٢هـ والذى فيه قال: "... وعاد الحسن إلى ريو[3] وبنى مسجداً كبيراً فى وسط المدينة وبنى فى أركانه مئذنة[4]، ولعل هذه المئذنة قد تأثرت بالمآذن التى شيدها الفاطميون بتونس ومن قبلهم الأغالبة، والتى أخذت الشكل المربع[5].

ومما يدلل على كثرة إنشاء المساجد بالجزيرة فى العصر الفاطمى ما ساقه النويرى حيث قال: "فى سنة٣٥٦هـ/ ٩٦٦م كتب الخليفة المعز لدين الله الفاطمى إلى الأمير محمد بن الحسين بن على بن أبى الحسين واليه على الجزيرة يعرفه بصلحه مع الدولة البيزنطية ويأمره ببناء أسوار مدينة بالرمو وتحصينها، ويعلمه أن البناء اليوم خير من غد وأن يبنى فى كل إقليم من أقاليم الجزيرة مدينة حصينة وجامعاً ومنبراً، وأن يأذن أهل كل إقليم بسكنى مدينتهم[6]" الأمر الذى أدى إلى كثرة مساجد الجزيرة فى العصر الفاطمى.

وهذا النص يشير إلى وجود (ميزة) أخرى تختص بمساجد صقلية فى هذا العصر وهى اشتمالها على (منابر) باعتبارها مساجد جامعة؛ وهذه المنابر لا نعرف المادة المصنوعة منها هل هى من الخشب أم من الحجر أم الرخام؛ لكن الشائع فى فنون العصر الفاطمى فى مصر استخدام الأخشاب لتنفيذ الكثير من التحف الفنية مثل المحاريب، والمنابر، والأبواب،

---

(1) نراها تزين الجامع الأقمر فى القاهرة٥١٩هـ/١١٢٥م ثم جامع الصالح طلائع٥٥٥هـ/١١٦٠م ثم يعم انتشارها العمائر الإسلامية فى العصور التالية.

(2) أحمد فكرى: مساجد القاهرة، ص١١٢.

(3) مدينة بجنوب إيطاليا، والحسن المذكور هو الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى٣٣٦- ٣٤١هـ/٩٥٠-٩٥٢م.

(4) ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص٣٥٧.

(5) سليمان مصطفى زبيس: بين الآثار الإسلامية، ص٢١.

(6) عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية، ص١٩٨.

والحشوات الكتابية والزخرفية التى كانت تزدان بها المنشآت المدنية[1] والدينية؛ وبالتالى فإن صناعتها من الخشب أمر مطروح خاصة وأن الجزيرة كانت تشتهر بإنتاج أجود أنواع الأخشاب التى كانت تستخدم فى التصنيع والفائض يُصدر إلى مصر[2] وغيرها من البلاد.

وقد كانت المساجد السالف ذكرها تعتمد فى إنشائها على الأعمدة التى تقسم مساحتها إلى أروقة ضمن ظلات، أو مساحة مغلقة مقسمة إلى أروقة، فضلاً عن اشتمالها على عنصر المحراب، وتزدان بالأشرطة الكتابية المدونة بالخط الكوفى والذى نرى أمثلة له داخل كنيسة Martorana وكنيسة Magione وفى المدخل الشرقى للكاتدرائية، ونماذج أخرى معروضة بمتحف قصر Abbatellis ببالرمو، كما يوجد عمود بمتحف Pepoli بمدينة Trapani تتضح فيه السمات الفنية الإسلامية، فهو لهذا ربما يخص أحد المساجد التى شيدها المسلمون بالمدينة[3].

ووجود مثل هذه الكتابات وتلك الأعمدة داخل المساجد بصقلية يتماثل مع المساجد التى شيدت فى تونس ومصر خلال العصر الفاطمى، وهى غالباً كتابات دينية كالتى نراها فى الجامع الأزهر، وجامع الحاكم بأمر الله، وكذلك مشهد الجيوشى، والجامع الأقمر[4]، ومن قبلهم المسجد الكبير بالمهدية[5].

أما العمائر الدينية التى كانت بصقلية فى العصر الفاطمى فقد أشارت المصادر إلى أوصاف بعضها كالقصور والحمامات.

ثانياً: العمائر المدنية :

١- القصور :

أشار ابن جبير إلى قصرين يعودان إلى فترة الحكم الإسلامى للجزيرة أحدهما منسوب إلى شيخ يدعى سعد (قصر سعد) والذى كان يقع بالقرب من مدينة بالرم، والثانى منسوب إلى

---

(1) Glidden (H.W); Fatimid Carved-Wood Inscriptions in the Collections of the University of Michigan, Arts Islamica, Vol. VI. Pl.1939, pp.94-95.

(2) Editoriale (S); Eredita dell' Islam Arte Islamica in Italia, p.185.

(3) Editoriale (S); Eredita dell' Islam, p.184.

(4) انظر: أحمد فكرى: مساجد القاهرة، لوحات ١٠، ١٤، ١٧، ٢٩، ٣٧، ٤٣.

(5) Bloom (J.M); the Origins of Fatimid Art, Muqarnas (An Annual on Islamic Art Architecture). Vol.13,1985,pp.22- 25, (fig.4).

شخص يدعى جعفر (قصر جعفر)[1]. وقد حققت التاريخ التقريبى لبناء قصر سعد عند ذكر المسجد، فهو يعود للفترة الفاطمية، يتأكد ذلك من ذكر ابن جبير لقصر آخر مماثل لهذا القصر فى كافة نواحيه المعمارية هو قصر جعفر، وجعفر هذا أحد أفراد الأسرة الكلبية الحاكمة للجزيرة، غير أن اسم جعفر هذا أطلق على شخصين هما:

١- جعفر بن محمد بن أبى القاسم والذى حكم فى الفترة من٣٧٣هـ/ ٩٨٣م وحتى سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م.

٢- جعفر بن يوسف الملقب بتاج الدولة والذى حكم فى عام٣٨٨هـ/ ٩٩٨م، وقد غادر هذا الحاكم صقلية هو وأبيه يوسف سنة٤١٠هـ/ ١٠١٩م[2].

والمرجح أن القصر منسوب للأمير جعفر بن يوسف لاستمرارة فى الحكم فترة طويلة مكنته من الإنشاء والتعمير، يؤكد هذا أمارى الذى ذكر أنه منسوب لهذا الحاكم[3].

ولتطابق القصران فى عمارتهما، فإن فترة البناء تكون واحدة، وعلى ذلك فإن القصرين يعودان للفترة الفاطمية (الأسرة الكلبية) نهاية القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى.

الوصف المعمارى لقصر سعد :

أورد ابن جبير وصفاً مختصراً لقصر سعد فى هذه العبارة: "هو على ساحل البحر مشيد البناء عتيق قديم الوضع ... ولا يزال بفضل الله مسكناً للعباد منهم وحوله قبور كثيرة للمسلمين وهو موصوف بالفضل والبركة مقصود من كل مكان، وله باب عتيق من الحديد وداخله مساكن وعلالى مشرفة وبيوت منتظمة وهو كامل مرافق السكنى فى أعلاه مسجد من أحسن مساجد الدنيا[4]".

والنص الوارد يشير إلى أن القصر قد شُيد على الساحل ولهذا أيضاً عرف باسم قلعة[5] وهذا الموقع قد جعل المعمارى المنفذ للبناء يحرص على تأمين فتحات القصر وخاصة مداخله فجعل له باباً من الحديد يتسم بالمتانة والحصانة، والمرجح أنه كان باباً منزلقاً كالمستعمل فى

---

(1) ابن جبير: الرحلة، ص٢٢٨.

(2) زامباور: معجم الأنساب، ص١٠٦- ١٠٩.

(3) عزيز أحمد: تاريخ صقلية، ص١١٢.

(4) ابن جبير: الرحلة، ص٢٢٨.

(5) Peterson (A); Dictionary of Islamic Architecture, New York,1996,p.258.
; Crespi (G); L'Europe Musulmane, Zodraque,1982,p.286.

العمارة الحربية والمدن الحصينة، حيث وجدناه فى بوابات مدينة بغداد، وفى قلاع الشام. وقد وصف ابن جبير هذا البناء بأنه قد شيد على طراز قديم لم يكن معهوداً فى عصره (زار الجزيرة سنة٥٥٨هـ/ ١١٦٢م) أى خلال عهد الملك غليالم الثانى النورماندى٥٦١- ٥٨٥هـ/ ١١٦٥- ١١٨٩م[1].

بالإضافة إلى قدم عهد بنائه فلقد مضى على تشييده أكثر من مائة وخمسين سنة وظل حتى رآه ابن جبير ووصفه؛ ثم درست معالمه، ولم يرد عنه ما يفيد بقائه بعد الغزو النورماندى للجزيرة ويبدو أنه قد هدم أو تحول إلى بناية معمارية أخرى ثم هدم.

ولكن لحسن الحظ تبقى من قصر جعفر أجزاء يمكن من خلالها الوقوف على سمات قصور هذه الفترة؛ والذى أطلق عليه اسم قلعة جعفر[2].

فالقصر المذكور يتطابق مع قصر سعد وكانت داخله سقاية تفور بماء عذب[3] وهذه السقاية أطلقت كاسم للقصر وعُرف باسم (قصر الفوارة)[4] لوجود الفسقية (النافورة) التى كانت تتوسط صحن القصر والذى كان على ما يبدو كشف سماوى.

وبقايا القصر التى وصلتنا تشير إلى عظمة البناء وأبهته، فلقد شُيد القصر بالحجر الكدان الذى كان متوفراً بالجزيرة حتى أنه شيدت به جميع المساجد بالجزيرة؛ وتشرف واجهة القصر (لوحة ١) على ساحة فضاء، هذه الواجهة فُتح بها فتحات المداخل بعقود مدببة ونصف دائرية وفتحات نوافذ معقودة بعقود مدببة، والواجهة تزدان بدخلات جدارية يتوجها عقدان نصف دائريان؛ وقد وضعت النوافذ داخل هذه الدخلات ثم تنتهى الواجهة فى أقصى اليسار بفتحة باب معقودة بعقد مقرنص يأخذ هيئة مدببة يؤدى إلى الصحن المكشوف الذى يتوسط القصر.

والقصر من الداخل عبارة عن مجموعة من الحجرات التى تتقدمها من ثلاث جهات بائكات معقودة بعقود نصف دائرية ومدببة، وكان يتوسط الصحن المكشوف الفسقية المشار

---

(1) زامباور: معجم الأنساب، ص١٠٦- ١٠٩.

(2) Bellfiore (G); Dall' Islam,p.15.

(3) ابن جبير: الرحلة، ص١٢٩.

(4) Kughnel (E); Islamic Art and Architecture, London,1966,p.67.
Hillenbrand (R); Islamic Architecture, Edinburg University Press,1994,pp.441- 442.

إليها (انظر: شكل ٥). وهذا المستوى الأرضى للقصر ولا شك أنه كان يوجد طبقات أخرى يدلل على ذلك وجود نوافذ بالواجهة الخارجية فى المستوى الثانى[١].

والملاحظ أن هذا القصر قد استمد تخطيطه من القصر الزيرى بمدينة أشير Ashir [٢] بالجزائر حيث يتوسطه كذلك صحن مكشوف محاط ببنايات معمارية ذات حجرات، وقد شيده مهندس من تونس سنة٣٢٤هـ/ ٩٣٥م[٣]، وكذلك وجدت مثل الدخلات الجدارية الموجودة بواجهة القصر الموجود بصقلية فى عمائر أخرى بالجزائر سابقة لبنائه هى قلعة بنى حماد[٤].

وبذلك يكون القصر قد امتاز باستعمال الصحون المكشوفة، وأحاطته عناصر القصر السكنية والخدمية، التى يتقدمها من ثلاث جهات بائكات بعقود نصف دائرية ومدببة.

كذلك زخرفة واجهة القصر بالدخلات الجدارية ذات المستويين المعقودة بعقود نصف دائرية وضعت داخلها النوافذ وهى ظاهرة وجدت فى تونس والجزائر ومنها انتقلت إلى صقلية ثم نراها فى بعض مساجد القاهرة بمحراب الجامع الأزهر القديم، وفى واجهة جامع الحاكم والمسجد الأقمر بالقاهرة (عقود البائكات)[٥].

٢- الحمامات:

أشارت المصادر إلى وجود مثل هذه المنشآت فى العديد من مدن الجزيرة مثل مازر، وبالرم، والخالصة، وشفلوCafolu[٦]غير أن هذه المصادر لم تعط وصفاً لها.

---

(1) Bellafiore (G): Dall' Islam Alla Maniera, Palermo,1975,p.68.

(2) هى مدينة زيرية يعود إنشاؤها للقرن ٤هـ/١٠م، بمنطقة التترى بالجزائر كشفت الحفريات التى أجريت بها عن هذا القصر الذى شيده مؤسس الأسرة، انظر: المساجد فى الجزائر، سلسلة الفن والثقافة، وزارة الأخبار، مدريد، ١٩٧٠م، ص٧.

(3) Bloom (J.M); the Origins of Fatimid Art, p.22.

(4) Mazot (S); L'Architecture d'Influence Nord-Africaine a Palermo, L'Egypte Fatimid Son Art et son Histoire du Colloque Origanise a Paris, p.677.

(5) أحمد فكرى: المرجع السابق، لوحات١٤، ٣٠، ٤٢.

Mahfoudh (F); La Grande Mosquee de Mahdiya et son Influence sur L'Architecture Medievale Ifriqiyenne,p.135

(6) هى مدينة بجزيرة صقلية واسعة المرافق كثيرة الخصب كان يسكنها المسلمون وكانت تضم قلعة أعلى جبل محدق بها وفرت للمدينة حصانتها، فضلاً عن حصانة القلعة ذاتها ومنعتها، انظر: ابن جبير، الرحلة، ص٢٢٧- ٢٢٨، وامبرتو ريتزيتانو: الروض المعطار، ص١٥٦.

وتشير البقايا المعمارية لمثل هذه المنشآت فى مدينة شفلوCafolu إلى بعض الخصائص التى تميزت بها فى القرن الحادى عشر الميلادى/ الخامس الهجرى[١].

ومن ذلك تشييده فوق مساحة صغيرة نسبياً، ما تبقى منها الآن قاعة الاستحمام وتضم مغطسين مفصولان عن بعضهما ببائكة من ثلاثة عقود محمولين على عمودين، بالإضافة إلى وجود مستوقد.

وتشير إحدى الدراسات التى تناولت هذا الحمام إلى بنائه قد تم فى العصر الفاطمى فى الفترة الكلبية، يتأكد ذلك من النص الكتابى المدون بالخط الكوفى البسيط والذى يؤرخ البناء بالقرن ٥هـ/ ١١م[٢]. فضلاً عن وجود زخارف متعرجة (دالية) وزخارف من الأرابيسك على شكل أوراق نباتية متشابكة.

والوصف السابق للجزء المتبقى من الحمام؛ يشير إلى إحدى القاعات الثلاث التى كانت تشتمل عليها الحمام، وهى القاعة الباردة، ثم الدافئة وأخيراً القاعة الساخنة أو قاعة الاستحمام. وهو نفس التكوين للحمام الرومانية.

وقد تبقى لنا فى مصر حماماً من العصر الفاطمى كشفت عنه حفائر متحف الفن الإسلامى بالقاهرة بمنطقة كوم الجارح إلى الشمال الشرقى من ضريح أبو السعود الجارحى وهى تقع على حافة تل كوم الجارح وهى على الصخر مباشرة للاستفادة من الانحدار الطبيعى للتل فى الإمداد بالماء والصرف؛ هذه الحمام قد جاء تخطيطها وفقاً لمخططات الحمامات الرومانية ذات القاعات الثلاث، غير أن حمام أبو السعود كان يشتمل على مغطس واحد فقط[٣]، فى حين أن حمام شفلو اشتمل على مغطسين، كما ضم الحمام الفاطمى بأبو السعود القاعة الباردة والقاعة الدافئة، وضاعت معالم القاعتين فى حمام (شفلو) الأمر الذى يشير إلى أنها اشتملت على ذات التكوين.

والبائكة ثلاثية العقود الموضوعة فى حمام شفلو قد تم إضافتها فى العهد النورماندى[٤] ولم تكن من عصر الإنشاء، وذلك لفصل المغطسين عن بعضهما وبذلك تكون هذه الحمام قد

---

(1) Petersen (A); Dictionary,p.258.

(2) Editoriale (S); Eredita dell' Islam Arte Islamica in Italia, p.184.

(3) أحمد عبد الرازق أحمد: العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى، القاهرة١٩٩٩م، ص٢٠٤.

(4) Editoriale (S); Eredita dell' Islam, p.184.

تميزت باشتمالها على: ١- قاعة ساخنة ذات مغطسين. ٢- زخرفة الحمام بنقوش كتابية بالخط الكوفي البسيط. ٣- اشتمال الحمام على زخارف عربية مورقة.

وهذه البقايا تشير إلى ما تمتعت به هذه المنشآت من مكانة هامة فى صقلية والحرص على زخرفتها والاهتمام بعمارتها منشآت لها صفة اجتماعية.

كذلك، فقد ضمت مدن صقلية إلى جانب هذه المنشآت الدينية والمدنية منشآت أخرى لها الصفة الحربية، مثل الرباطات والقلاع.

وقد أشارت المصادر إلى كثرة إنشاء هذه العمائر بصقلية فذكر الحموى فى معجمه أن بصقلية ثمان عشرة مدينة إحداها بالرم وأن فيها ثلاثمائة ونيفاً وعشرين قلعة[١].

ويقول أمارى نقلاً عن بعض المصادر أن فى صقلية ثمانى عشرة مدينة، وفى رواية أخرى ثلاث وعشرون مدينة وثلاث عشرة قلعة وعدداً لا حصر له من تجمعات البيوت الريفية تعود لنهاية القرن العاشر الميلادى، أو النصف الأول من القرن الحادى عشر الميلادى/ الخامس الهجرى[٢] ودرست معالمها، ولكن تبقى لنا بعض أسمائها مثل قلعة البلوط، وقلعة الصراط وقلعة آق ثور[٣]. وقلعة ثومة فى الجزء الشرقى من صقلية وكانت مطلة على البحر ومن أجل القلاع، يحيط بها سور، يتوسطها صحن (ملعب) غريب الصنعة يدل على قدرة بانيه وبها حصن[٤] وقلعة تعرف بـ (الحَمّه) وكانت قلعة حصينة شاخة بجزيرة صقلية تشرف على البحر[٥]. إلى جانب مدينة الخالصة التى عرفت بالقلعة الفاطمية[٦].

والملاحظ أن ذكر هذه القلاع لم يصحبه أية أوصاف معمارية لها اللهم إلا ما تيسر كأن يقال (يحيط بها سور) أو (يتوسطها ملعب ' صحن) دون الإشارة إلى عناصر عمارتها ومفرداتها المعمارية والفنية. وإذا نظرنا إلى عمارة الخالصة والتى سبق وأن تناولناها لوجدنا اشتمالها على أسوار وبوابات عديدة من المرجح تشابهها مع المهدية بتونس خاصة وأن إنشاء

(1) ياقوت الحموى: معجم البلدان، المجلد الخامس، ص٣٧٣.

(2) عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية، ص١٩٩.

(3) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص٢٣١- ٢٣٢.

(4) أمبرتو رينزيناتو: الروض المعطار، ص١٤٩، ابن جبير : الرحلة، ص٢٢٨.

(5) أمبرتو رينزيناتو: الروض المعطار، ص١٥٠.

(6) Bellafiore (G); Dall' Islam, pp.14- 15.

المدينتين كان فى فترات متقاربة خلال الربع الأول من القرن الرابع الهجرى(٣٠٨هـ للمهدية، ٣٢٩هـ للخالصة)[1].

وكذلك الاستدلال ببوابة مسجد المهدية الكبير؛ والبارز عن سمت الجدار والمزدانة بالدخلات المعقودة بعقود حدوية على يمين ويسار المدخل وكذلك على جانبيه فى المستوى الأول والأعلى[2]؛ وذلك لمعرفة هيئة البوابات فى القلعة الفاطمية بصقلية (مدينة الخالصة).

وبذلك نخلص إلى أن القلاع قد تعددت وانتشر بناؤها، وأطلق اللفظ على بعض المدن لحصانتها ومنعتها مثلما وجدنا فى مدينة الخالصة، كما أطلقت على بعض القصور مثل قصر سعد، وقصر جعفر، وذلك للأسباب ذاتها، الأمر الذى يُحدث خلطاً بين القلعة كمنشأة حربية وبين القصر كمكان إقامة وإدارة، ويفسر كثرة إنشاء القلاع وإطلاق اسمها على المنشآت الأخرى كالمدن والقصور إلى حالة الحرب التى كان لها الدوام خلال العصر الأغلبى والفاطمى، الأمر الذى جعل أهل الجزيرة يعيشون عيشة حربية حتى داخل قصورهم ومنازلهم.

** ** ** **

---

(1) عن المهدية انظر: Bloom (J.M); the Origins of Fatimid Art, p.25 – 26 .

(2) Scerrato (U); Islam, Paris,1977,p.52.

الفصل الرابع

خصائص العمارة الفاطمية فى صقلية

مما سبق يتبين لنا أن المصادر التى تناولت الجزيرة خلال الفترة الإسلامية وخاصة فى العصر الفاطمى قد أفاضت فى ذكر عمائر الجزيرة الإسلامية خلال هذا العهد، ومن ذلك المساجد والتى تنوعت ما بين مساجد جامعة ومساجد فروض، وكان فيها أيضاً مساجد معلقة؛ فضلاً عن تزويدنا ببعض خصائصها مثل اشتمالها على منابر، ومآذن.

كذلك أوردت لنا تلك المصادر أسماء بعض القصور وأوصاف مقتضبة عنها ومن خلال الجزء المتبقى لبعضها أمكن معرفة بعض خصائصها من حيث التخطيط وهيئة الواجهات التى كانت تزخرف بالدخلات الجدارية ذات العقود المدببة ونصف الدائرية، وهذه الدخلات كانت تتسم بالازدواجية. كذلك كانت القصور تتكون من أكثر من طابق ويتوسطها فناء أوسط مكشوف يتوسطه (فساقى).

وإلى جانب القصور أوردت المصادر أسماء عربية للقلاع، مع إطلاق الاسم على المدن والقصور الحصينة دون أن تشير إلى عناصرها المعمارية، ولكن ما ورد عن أسوار مدينة بالرم (بالرمو حالياً) والخالصة يشير إلى أن هذه القلاع كانت قلاع ذات أسوار ضخمة تتخللها الأبراج الدفاعية الكبيرة والحصينة؛ وهذه البوابات ربما كانت تتشابه مع بوابات المهدية ومسجدها الكبير.

وإلى جانب هذه الخصائص التى تميز عمائر العصر الفاطمى بصقلية والتى أمكن استخلاصها من المصادر المذكورة، فإنه لاستكمال هذه النقطة لابد من الإشارة إلى مؤثرات المسلمين فى العمارة النورماندية والتى أنجزها معماريون مسلمون من العصر الفاطمى؛ وفى ذات الوقت تعطينا الخصائص المميزة للعمائر التى دمرها هؤلاء النورمان للمسلمين، وكذلك تم تحويلها إلى كنائس أو منشآت للإقامة والإدارة؛ لذا فإن على المرء أن يعتمد على العمائر من الفترة النورماندية لكى يدرس فيها على وجه التحديد مظاهر الفن المصرى الفاطمى فى صقلية[1].

---

(1) عزيز أحمد: تاريخ صقلية، ص١١٢.

أشرت سلفاً إلى الفترة التاريخية التى مرت بها صقلية بدءاً من الفتح الإسلامى وحكام المسلمين خلال العصور التالية، وفترة الضعف التى جعلت النورمان يبادروا باحتلال صقلية طمعاً فى ثرواتها، وخصبها، فضلاً عن رغبتهم فى القضاء على الوجود الإسلامى بالجزيرة والذى كان يهدد ممتلكاتهم الإيطالية التى استحوذوا عليها منذ عام١٠٦١م[1]. وفى خلال ثلاثين عاماً كان قد تم لهم إخضاع كامل مدن الجزيرة لسلطانهم (١٠٩١م)[2].

ورغم هذا التحول السياسى الذى شهدته صقلية فى هذه الفترة إلا أن الحضارة الإسلامية فى الجزيرة قد ظلت مزدهرة تحت حكمهم، فلقد كان إولئك الأمراء النورمان من ذوى الأفق الواسع، ومن يقدرون تفوق المسلمين الحضارى ويؤثرون الانتفاع بعلومهم ومعارفهم، ومن ثم فقد استطاعت بقية الجالية الإسلامية فى صقلية أن تعيش فى ظلهم مدة آمنة متمتعة بشعائرها ونشاطها العلمى والمهنى[3]؛ فسادت الثقافة الإسلامية والتقاليد الفنية الفاطمية[4] وكذلك تقاليد الفن الأندلسى، إلى جانب التأثيرات من الصقليين المحليين ومن إفريقية والأندلس، ومنهم العلامة الجغرافى الكبير أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإدريسى السبتى المشهور بالشريف الإدريسى[5].

وبذلك يتبين لنا مدى حرص النورمان على الاستفادة بخبرة المسلمين الحضارية والاستعانة بهم فى شئون الحكم والإدارة[6]؛ فأصبحت الجزيرة فى عهدهم مركزاً مزدهراً للثقافة الإسلامية، والبيزنطية[7].

ورغم أن معظم العمائر الإسلامية التى شيدت فى العصر الفاطمى قد تم هدمها أو تغييرها فيما بعد بواسطة النورمان، إلا أن ما شارك فى بنائه المسلمون فى العهد النورماندى كاف لإعطاء صورة صادقة لخصائص العمارة الفاطمية فى صقلية؛ وذلك من خلال العمائر الباقية من الفترة النورماندية؛ والتى كانت عبارة عن كنائس وكاتدرائيات، وقصور، وقلاع.

---

(1) عزيز أحمد: تاريخ صقلية، ص٥٨.

(2) Bellafiore (G); Dall' Islam, pp.16.

(3) محمد عبد الله عنان: مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام، مكتبة الأسرة، ١٩٧٧م، ص٩١- ٩٧.

(4) زكى محمد حسن: كنوز الفاطميين، دار الكتب، ١٩٣٧م، ص٨.

(5) محمد عبد الله عنان: مواقف حاسمة، ص٩٦- ٩٧.

(6) عمر كمال توفيق: المجتمع العربى الإسلامى فى بالرمو، ص١٩٠.

(7) Petersen (A); Dictionary,p.258.

وقد شيدت معظم هذه الأعمال فى القرن الثانى عشر الميلادى/ السادس الهجرى فلقد شيدت كنيسة القصر الملكى (الكابلابلاتينا[1] سنة١١٣٢- ١١٤٠م/ ٥٢٧- ٥٣٥هـ)، وكنيسة شيفلوCefolu المشيدة سنة١١٣١م/ ٥٢٦هـ ١٢٦٧م/ ٦٦٦هـ وكنيسة المارثورانا (سانت ماريا Sainte Marie التى شيدت١١٣٦م/ ٥٣١هـ وكنيسة مونريل Monreale المشيدة فى القرن الثانى عشر؛ وكنيسة سان جيوفانى فى القرن الثانى عشر الميلادى، وكنيسة القديس كتالدو المشيدة ١١٥٤م/ ٥٤٩هـ وأخيراً كنيسة ديلاتينيتا المؤرخة ١١٩١م/ ٥٨٧هـ.

ومن القصور قصر العزيزة ببالرمو[2] المشيد سنة ١١٥٤م/ ٥٤٩هـ وقصر القبة بذات المدينة ١١٦٥- ١١٨٠م/ ٥٦٠- ٥٧٥هـ وقبة القصر الملكى ببالرمو.

ومن القلاع قلعة فترانو ببالرمو ضمن كنيسة ديلاترينيتا (القرن١٢م) وقلعة منسية بسراقوسة (النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادى).

وفيما يلى عرض للعناصر المعمارية والزخرفية فاطمية الأصل التى تضمها هذه العمائر والتى يمكن حصرها فى الآتى: التخطيط المعمارى – القباب – الواجهات – الشرافات – المقرنصات – العقود – المآذن – البوابات والقلاع – الزخارف (هندسية – نباتية – كتابية).

---

(1) الكابلابلاتينا: هى الكنيسة الصغيرة فى القصر الملكى بمدينة بالرمو وقد كانت النموذج الذى بنيت على شاكلته كاتدرائية مونريالى Monreale فى نفس المدينة، وقد شيدت الكابلا وزخرفت فيما بين عامى١١٣٢- ١١٤٠م.
انظر: بريجز: (كريستى ارنولد): تراث الإسلام فى الفنون الفرعية والتصوير والعمارة، ترجمة زكى محمد حسن، دار الكتاب العربى١٩٨٤م، ص١١٤. Bellafiore (G); Dall' Islam, pp.60

(2) قصر العزيزة: تم بناؤه فى سنة٥٧٦هـ/١١٨٠م، وليام الثانى خلفاً لوليم الأول، وهو مستطيل الأبعاد ٣٢×٢٣م وفى هذا القصر نجد العنصر الرئيسى المعبر عنه بالأيوان الذى يرتكز على عمودين كبيرين ويفتح على صالة وخلفه مقرنصات مرتفعة ونجد على جانبى المدخل للبهو الكبير زخارف جصية داخل شريطين أحدهما أيمن والآخر أيسر، كل شريط يتكون من شريطين علوى وسفلى. العلوى يضم جامات مستطيلة رأسية بداخله أوراق شوكة اليهود (لوحة ٢٢، ٢٣) بشكل متقارب (ومكبر)، والشريط السفلى يضم نقش بالخط النسخ على أرضية نباتية مورقة غنية بأوراق العنب ذات الدوائر الحلزونية الشبيهة بأنصاف المراوح النخيلية.
انظر: عبد المنعم رسلان، الحضارة الإسلامية، ص٩٢.
Marcais (G); Manuel D'Art Musulman L'Architecture, Tunisie, Algerie, Morac, Espagne, Sicile Du IX Au XII^5 Siecle, Paris,1926,p.184- 189/

أولاً: التخطيط المعماري:

أمكن التوصل إلى عدة مخططات لبعض الكنائس بصقلية فى الفترة النورماندية، أو تلك التى أُعيد توظيفها فى هذه الفترة توظيفاً جديداً ومن ذلك، كنيسة الماريورانا[1] (شكل ١٢)، وكنيسة سان جيوفانى[2] (شكل ١٣)، وكنيسة كتالدو[3] (شكل ١٤)، وهى مخططات تعكس جميعها التقاليد الفاطمية فى البناء، ومن ذلك مخطط كنيسة المارثورانا والقديس كتالدو، حيث نجد أن مساحة كل كنيسة قد قسمت داخلياً إلى ثلاثة أروقة عمودية على الهيكل اتساعاتها متقاربة، وخمسة أروقة موازية للهيكل فى الكنيسة الأولى، وثلاثة أروقة موازية للهيكل فى الكنيسة الثانية الأمر الذى نتج عنه مساحات مربعة فى الرواق الأوسط العمودى تم تسقيفه بعدة قباب؛ ثلاث قباب فى كنيسة القديس كتالدو، وقبة واحدة فى المارثورانا هى الباقية. وبدراسة هذا التخطيط وجد أنه طراز لا تعرفه الكنيسة التى سارت مخططاتها وفقاً للطراز البازليكى، أو الطراز البيزنطى، والطراز الأول يعد من أقدم الطرز المعمارية وهو يتألف من مساحة مستطيلة الشكل يقسمها صفان من البائكات إلى أروقة ثلاث الأوسط أكثرها اتساعاً ويسمى بالرواق الكبير ويرتفع سقفه الجمالونى عن سقفى الرواقين الجانبيين المسطحين[4].

أما الطراز البيزنطى فى بناء الكنيسة فكان عبارة عن بناء مربع، مع استخدام القباب فى التغطية، بحيث يسقف المنطقة الوسطى قبة مركزية مرتفعة وبقية المساحة تسقفها أنصاف قباب، وقباب صغيرة أو أقبية[5].

وكلا الطرازين المذكورين لا تتوفر خصائصهما فى أياً من الكنيستين من أسقف جمالونية

---

(1) تعرف هذه الكنيسة باسم القديسة " ماري " شيدها مقدم الأسطول النورمانى جورج الأنطاكى فى عهد روجر الثانى (٤٩٤- ٥٤٨هـ/١١٠٠- ١١٥٣م). انظر: عزيز أحمد: تاريخ صقلية، ص١١٤.
Jairazbhoy (R.A); An Outline of Islamic Architecture, London,1972,p.116.

(2) كنيسة سان جيوفانى: عرفت به فى عام ١١٣٦- ١١٤٨م، لها مدخل بارز على جانبيه مئذنتان مغربيتان. انظر: Jairazbhoy (R.A); An Outline of Islamic Architecture, p.117.

(3) عرفت بالوزير Maio سنة ١١٥٤- ١١٦٠م، وجعلها كنيسة تنافس كنيسة سانت ماريا.
انظر: عبد المنعم رسلان، الحضارة الإسلامية، ص٩٥.

(4) مصطفى شيحة: دراسات فى العمارة والفنون القبطية، هيئة الآثار، مشروع المائة كتاب (١١)، ١٩٨٨م، ص٥٧- ٥٨.

(5) مصطفى شيحة: المرجع نفسه، ص٦١.

للرواق الأوسط، ولا قبة مركزية واحدة مرتفعة فى المساحة الوسطى، ولا أنصاف قباب أو قباب صغيرة وأقبية فى المساحات المتبقية. وكل ما هنالك أن هذه المنشآت هى منشآت إسلامية كانت مشيدة كمساجد صغيرة، تم احتلالها وإحداث تغييرات معمارية تناسب الديانة المسيحية، مثل الشرقية والهياكل الثلاثة، وغيرها من عناصر معمارية وزخرفية.

ويمكن أن نلحظ ما حدث من تغيير من خلال وجود عقود تسير بشكل مواز وعمودى على جدار الهيكل لخلق مناطق مربعة تغطيها قباب، وبالتالى فإن مساحة هذه الكنائس كانت قبل قيامها بهذه الوظيفة تسقفها قباب ذات رقاب مرتفعة نسبياً.

ولمحاولة إعطاء الشكل البازليكى للكنيسة تم هدم المساحتين التى على يمين ويسار الرواق الأوسط مع تسقيفهما بأسقف مسطحة وإبقاء قباب الرواق الأوسط.

ولعل السبب وراء التسقيف بالقباب فى هذه المنشآت كان الباعث عليه طقس هذه البلاد الساحلية التى تمتاز بغزارة أمطارها.

وبمقارنة بين هذا الأسلوب المعمارى الذى نراه فى هاتين الكنيستين وبين النماذج المشابهة فى الفن الفاطمى لوجدنا أن هناك تشابهاً بين هذا التخطيط وتخطيط مشهد الجيوشى بالقاهرة٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، والذى يتكون من مساحة مستطيلة مقسمة إلى رواقين يعلو مربع المحراب قبة وكل رواق مقسم إلى ثلاثة مربعات والرواق الأخير يشرف على الصحن بعقد كبير أوسط يرتكز من كل جانب على عمودين متجاورين[1] مع استبدال الدعامات الموجودة بمشهد الجيوشى بأعمدة من الرخام فى عمارة الكنيستين.

وهذا القسم فى مشهد الجيوشى يتشابه إلى حد كبير مع مخطط الكنيستين الأمر الذى يفسر شيوع مثل هذا الطراز فى تشييد مساجد الجزيرة فى العصر الفاطمى.

أما كنيسة سان جيوفانى؛ فإن مخططها يختلف عن الكنيستين السابقتين؛ فهو عبارة عن رواق مسقف بثلاث قباب يتعامد عليه رواق مسقوف بقبتين مكوناً مخططاً على هيئة حرف (T)؛ وقد أضيف إلى هذه الهيئة أجزاء معمارية أخرى فى زمن لاحق.

ومن خلال رؤية مخطط هذه الكنيسة يتضح أنها أيضاً منشأة أعيد توظيفها فى العهد النورماندى، بعد أن تم هدم أجزاء منها، وإلغاء الصحن الأوسط المكشوف؛ الذى يعد سمة

---

(١) مصطفى شيحة: دراسات فى العمارة والفنون القبطية، ص٦١.

من سمات العمارة الإسلامية محاولاً إيجاد تخطيط يتفق ومخططات الكنائس، فوصلتنا بعناصرها المعمارية لتؤكد أنها عمائر إسلامية العصر.

١- القباب :

استعملت القبة كوسيلة تسقيف فى غالبية العمائر فى الفترة النورماندية حيث غطت أروقة الكنائس، وبعض إيوانات العرش فى القصور فوجدناها فى كنيسة القصر الملكى (الكابلابلاتينا)، وكنيسة القديس جيوفانى، وكنيسة القديس كتالدو، وقصر القبة[1]، والقبية[2] بالقصر ذاته وقلعة فيترانو[3] ببالرمو (١٢م/ ٦هـ)؛ وهذه القباب تمتاز بأنها قباب كروية أقيمت على مقرنصات معقودة، عبارة عن نصف قبة يتصدرها عقد مقوس كما فى قباب كنيسة القديس كتالدو (لوحة ١٥) أو عبارة عن مجموعة من الطاقات والعقود بهيئة متدرجة. كما فى منطقة انتقال قصر القبة (لوحة ٢٦، شكل ٢٣).

وقد انتشر استخدام المقرنصات المعقودة فى البلاد التونسية بعد ظهورها لأول مرة فى قبة المحراب بمسجد القيروان التى بنيت ٢٢١هـ/ ٨٣٦م، وظهرت فى مصر فى قبة المحراب

---

(1) قصر القبة: شيده وليام الثانى سنة ١١٨٠م/٥٧٦هـ من الحجر الجيرى المشذب، والقصر مستطيل الأبعاد ١٨×٣٠م يتوسطه بناء مربع كان يغطيه قبة لكنها سقطت وقد تم إعادتها إلى سابق عهدها الآن، تحيط بها مجموعة من الحجرات (انظر شكل ٢١، ٢٢) وهذا التكوين المعمارى يذكرنا بقصور بنى حماد الفاطمية. وداخل هذه الحجرة المربعة نص كتابى: " بسم الله الرحمن الرحيم تأمل وقف وانظر ترى خير إيوان لخير ملوك الأرض غليالم الثانى تقاصر عنه كل قصر وقصرته مجال (...)(وقد) .. فكر المستعزز بيومه ... وللسيد المسيح ألفماية وثمانون تتلوها بنهج حسان ولله حمد دائم أمد كل ما أولاه من كل إحسان واللهم الدائم والعز ".

انظر: عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية، ص٩٢، عزيز أحمد: تاريخ صقلية، ص١١٤.

Hillenbrand (R); Islamic Architecture, pp.441- 442.
Marcais (G); Manuel D'Art Musulman, pp.183- 184.

(2) سرادق صغير يقع فى حديقة قصر القبة وهو شبيه بصحن مسجد صفاقس الفاطمى، وتقوم قبة نصف دائرية على أربعة أعمدة ترتكز عليها أربعة عقود متقاطعة، والقبية تخطيطها مفتوح عبارة عن جوسق مقبى، ومن المحتمل أنه شيد ليغطى فوارة (فسقية) فى حديقة القصر. انظر: عزيز أحمد: تاريخ صقلية، ص١١٦.

Hillenbrand (R); Islamic Architecture, pp.441- 442.

(3) هى بناء فاطمى ضمن كنيسة ترانيتا التى شيدت فى القرن الثانى عشر الميلادى.

انظر: Bellafiore (G); Dall' Islam, p.74.

فى كل من مساجد الأزهر والحاكم والجيوشى[١].

أما الأسلوب الثانى؛ فقد وُجد فى مصر عدة نماذج منها قبة السيدة رقية، وقبة الشيخ يونس٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، وقبتى عاتكة والجعفرى٥١٥هـ/ ١١٢١م وبقبة يحيى الشبيه وتاريخها ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م؛ وفيها نظمت المقرنصات فى نظام زخرفى قوامه التكرار والتدرج؛ ذلك أن المقرنص الذى يمتطى ركن المربع أحيط من كل جانب بطاقة صماء تنتهى ببروز على هيئة رأس العقد فى المقرنص الوسيط، وأقيم على رأس هاتين الطاقتين مقرنص ثان شبيه بالمقرنص الأول يعلوه ويتقدم عليه[٢]؛ وهذه الطريقة تتطابق تماماً مع منطقة انتقال قصر القبة التى تعود لسنة٥٧٦هـ/ ١١٨٠م؛ وهى تعكس صورة لتطور مناطق الانتقال فى العمائر الفاطمية بصقلية، وأن هذا المثل كان على شاكلته أمثلة كثيرة درست معالمها مما يعطينا انطباعاً بشيوع هذا العنصر فى تلك العمائر كتطور طبيعى وهو ما يفسر الانتقال السريع للعناصر الفاطمية من الموطن الأصلى إلى البلاد التى حلوا بها وحكموها؛ مع تميز هذا العنصر فى صقلية عن مثيله فى العمائر الفاطمية بمصر حيث شُحن بالزخارف العربية المورقة، واتخذ شكلاً هرمياً.

كذلك امتازت القباب فى بالرمو باتخاذها الشكل الأملس المغطى بالجص وذلك فى الكنائس سابقة الذكر ويتفق معها قبة موفى الدين المواجهة لخانقاة بيبرس الجاشنكير بالقاهرة والتى تعود للقرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، وقبة مشهد السيدة عاتكة ٥١٥هـ/ ١١٢١م غير أن الجص الذى كان يغطى القبة قد فقد[٣]، وأُعيد ترميمها بعد ذلك، غير أن قباب بالرمو قد امتازت بكسوتها بالجص الأحمر حيث أكد ذلك المقدسى حيث ذكر أن مدينة بالرمو تحت السيادة الإسلامية كان بها القباب ذات اللونين الأبيض والأحمر[٤]. مما يشير إلى التطور المعمارى والزخرفى الذى أصابته العمارة الفاطمية فى هذه الجزيرة.

---

(1) أحمد فكرى: مساجد القاهرة، ص١٦٢.

(2) أحمد فكرى: مساجد القاهرة، ص١٦٤– ١٦٥، لوحة ٣٤، ٣٧، ٤٨.

(3) أحمد فكرى: مساجد القاهرة، لوحة ٦١.

(4) Jairazbhoy (R.A); How Islamic Architecture, Transformed the Face, An Outline of Islamic Architecture, London,1977,p.118.

٢- الواجهات :

شاع على عمائر النورمانديين زخرفة الواجهات بالدخلات الجدارية كالتى أشارت إليها المصادر باسم (الحنايا) فى العمائر التى شيدها المسلمون بمدن الجزيرة المختلفة والتى درست معالمها.

وهذه الدخلات وجدناها فى كنيسة القديس كتالدو وهى دخلات تبدأ من منتصف الواجهة وترتفع إلى ما قبل نهايتها؛ وهى دخلات معقودة بعقود مدببة عددها عقدان، فتحت نوافذ معقودة قرب نهاية كل دخلة عليها سواتر جصية مزخرفة بوحدات من الطبق النجمى وهى تتشابه تماماً مع بعض سواتر نوافذ مسجد الحاكم بأمر الله[١].

كما وجدت هذه الزخرفة الجدارية على هيئة دخلات مصمتة بذات الهيئة فى كنيسة ديلاترانيتا ١١٩١م/٥٨٧هـ فى الواجهة الرئيسية والجانبية (لوحة ١٧، ١٨).

كما زخرفت واجهات قصر العزيزة[٢] بپالرمو ١١٥٤م/٥٤٩هـ وقصر القبة بحيث تم تنفيذها بطول الواجهات، مع وضع نوافذ مستطيلة معقودة، وأخرى مصمتة بهيئة القندليات التى عرفت فى العمارة المملوكية بالقاهرة والشام. ولكن بدون النافذة الدائرية التى تعلوهما كذلك نفذت هذه الزخرفة الجدارية فى وسط جدران قلعة فيترانو ببالرمو (١٢م)، بحيث يتوسطها نوافذ مستطيلة معقودة مع امتداد البروز الحجرى المعقود ليزين جدار الهيكل. (لوحات ٢١، ٢٥، ٢٨).

وهذا الأسلوب فى زخرفة الواجهات قد عرف فى عمائر تونس فى العهد الأغلبى والفاطمى حيث نراه فى واجهة المسجد الكبير بصفاقس المشيد فى العهد الأغلبى والمجدد فى العصر الفاطمى سنة ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م؛ وفى مسجد القصر بتونس[٣] كما وجدت فى منار قلعة بنى حماد؛ ثم انتقلت إلى مصر فنشاهدها فى واجهة مسجد الحاكم فى الجانب الشرقى من البوابة؛ ولكن تبدو العقود فقط التى تتوج الدخلات هى المحاطة بإطارين حجريين[٤]،

---

(1) أحمد فكرى: مساجد القاهرة، لوحة ٦٦.

(2) Petersen (A); Dictionary,p.258.

(3) Mahfoudh (F); La Grande Mosquee de Mahdiya et son Influence sur L'Architecture, pp.128- 140.

(4) أحمد فكرى: مساجد القاهرة، لوحة ٣٠.

وكذلك عقود دخلات مسجد الصالح طلائع بن رزيق[1]، دون أن يمتد لكامل الدخلات وقد انتقل هذا التأثير من تونس إلى صقلية ومصر، وذلك لرسوخه فى هذه البلاد قبل قيام دولة الفاطميين الذين تأثروا بالكثير من أنظمة العمارة فى بلاد المغرب وانتقلت إلى عمائرهم وفنونهم التى شيدوها فى الكثير من البلاد التى خضعت لحكمهم[2].

٣- الشرافات :

ظهر عنصر الشرافات الذى يميز العمارة الإسلامية متوجاً واجهات كنيسة القديس كتالدو. وجاء تصميمها عبرة عن أشكال مسننة مزخرفة بأوراق عنب ثلاثية الفصوص. موضوعة على ثلاثة مستويات وهذه الأوراق مفرغة الوسط[3] (انظر: لوحة١٦، شكل١٦)، كما ظهر هذا العنصر منفذاً بالرسم بطريقة الفسيفساء داخل كنيسة القصر الملكى (الكابلابلاتينا)[4] على الأوراق النباتية الخماسية التى تتج عن تقارب أذرعها مناطق سهمية. وداخل هذه العرائس أشكال هندسية متعددة (انظر: لوحة٦).

وتمثيل هذا العنصر بأسلوب الفسيفساء يوضح امتزاج الفن الإسلامى بالفن البيزنطى.

ولقد شاع هذا العنصر على العمائر الإسلامية فى تونس قبل العصر الفاطمى، وفى العصر الفاطمى، حيث وجدناه بهيئة مشابهة لما وجدناه عليه فى كنيسة القصر الملكى فى الجامع الكبير بالقيروان كما وجد بهيئة عقود دائرية متراصة فى قلعة بنى حماد بالجزائر[5] (انظر: شكلا١٠، ١١).

أما فى مصر فقد تخلفت أجزاء منه فى مسجد الحاكم وهى تتكون من نوعين؛ نوع تتشابك فيه أشكال العقود الثلاثية مكونة دوائر متماسكة، والنوع الثانى نفذ بالنقش على إفريز بمئذنة جامع الحاكم الغربية بحيث تأخذ هيئة قريبة جداً من تلك الشرفات التى نفذت بالفسيفساء داخل (الكابلابلاتينا)، وأيضاً تتشابه مع التى وجدت بأحد أبراج القصر

---

(1) أحمد فكرى: مساجد القاهرة، لوحة ٥٣.

(2) Crespi (G); L'Europe Musulmane,pp.286, 288.

(3) عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية، ص٩٥.

(4) Abou Seif (D); Sicily the Missing Link in the Evolution of Cairene Architecture, Orientalia. Lovaniensia Analecta,73, Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras. Leuven,1995,p.290.

(5) Marcais (G); Manuel D'Art,p.193.

الملكى[1] (شكل ٨، ٩). وتنفيذ هذا الشكل سواء بالرسم أو بالتجسيد يمثل ميل الفنان إلى إعطاء صورة لما كان عليه الفن المعمارى فى العصر الفاطمى خاصة وأن هذا الشكل قد شاع على عمائر هذا العصر فى تونس والجزائر ومصر. وبالتالى فإن تمثيله فى صقلية بهذا الإتقان يشير إلى مدى النضج الذى وصل إليه فن العمارة الإسلامية فى العصر الفاطمى والذى تخلص من تبعيته لفنون بلاد المغرب وأصبح ذا شخصية مختلفة عن تلك المدرسة أثرت بدورها فى الفنون التالية لها، فنجد تمثيل مشابه لتلك العناصر فى العمارة المملوكية بالقاهرة فى الصنجات المعشقة والأعتاب[٢].

٤- المقرنصات [٣] :

استعمل هذا العنصر الإسلامى الهام فى زخرفة سقف كنيسة القصر الملكى ونفذه الفنان من الخشب؛ وهى نفس مادة السقف، ولقد جاء السقف وعناصره الزخرفية تحفة إسلامية رائعة تسجل بوضوح مدى الرقى الذى أصابه الفنان المسلم فى صقلية الفاطمية.

فلقد قسم الفنان سقف الكنيسة إلى وحدات كبيرة تأخذ هيئة نجوم ثمانية تحتوى على أشكال مفصصة[٤] بالإضافة إلى أشكال عديدة للمقرنصات التى تتراص وتبرز من السقف بهيئة جمالية تشبه عش النحل (انظر: لوحة٤، شكل٧).

كما وجدنا هذا العنصر فى إحدى مداخل قصر العزيزة ببالرمو (لوحة٢٤، شكل٢٠) وهو يأخذ قمة مداخل العمائر المملوكية بالقاهرة؛ الأمر الذى يشير إلى قدم استخدام المقرنصات فى مداخل العمائر بصقلية عن غيرها من البلاد وبهذه الهيئة المتميزة[٥].

وقد نفذت هذه المقرنصات بتنوع شديد من مادة الحجر، وتوجت إلى جانب هذا المدخل

---

(1) كان هذا القصر قلعة عربية حصينة حولها الملك روجر الثانى إلى قصر وزاد فيه البرج البيرانى والبرج اليونانى وكنيسة القصر، انظر: عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية، ص٩٥.

(2) Abou Seif (D); Sicily,p.290.

(3) هى ظاهرة إسلامية جديدة ميزت عمارة المسلمين من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب ومن المحتمل أنها تعود لأصول عراقية، وأقدم أمثلتها مؤرخة بالقرن ٥هـ/١١م فى إيران وشمال أفريقية ومصر، انظر: Abou Seif (D); Sicily,p.290؛ بريجز (كريستى): تراث الإسلام، ص١٤٨؛ حسن الباشا: دراسات فى فن النهضة وتأثره بالفنون الإسلامية، دار النهضة العربية، ١٩٩٠م، ص٣٣.

(4) Editoriale (S); Eredita dell' Islam, p.187.

(5) Abou Seif (D); Sicily,p.201.

نهايات حنايا القصر، وكذلك أعلى دخلات النوافذ وقد نفذت على ثلاث مستويات.

وبمقارنة هذه المقرنصات بأقدم أمثلتها الباقية في مصر (مشهد الجيوشي) ٤٧٨هـ/ ١٠٨٧م حيث وجدت هذه المقرنصات في نهاية البدن الأول للمئذنة وهو إطار بارز من طاقات مقرنصة زخرفية[1]. نفذت من الطوب في صفين متتاليين[2]. ويبدو هذا العنصر منكمشاً كالخلايا؛ في حين أنه يمثل أرقى مراحل التطور في سقف الكابلابلاتينا، وفي قصر العزيزة بأسلوب يتماثل تقريباً مع ما وجد من هذا العنصر بواجهة جامع الأقمر بالقاهرة. غير أن مقرنصات هذا الجامع قد نفذت "مزواه" في حين أنها نفذت منحنية في مقرنصات سقف الكنيسة، وقصر العزيزة.

وهي بهذه الهيئة المتطورة عن مقرنصات مئذنة الجيوشي تشير إلى أن هناك أمثلة أخرى تسبقها ولكنها اندثرت، ولعلها ماثلت ما وجد على واجهة الجامع الأقمر، باعتبار أن القاهرة كانت مصدر الإيحاء لهذه الأشكال الزخرفية[3].

٥- العقود :

استخدمت في عمارة صقلية النورماندية عدة أنواع من العقود منها المدبب، ونصف الدائري، فلقد استخدم العقد المدبب في البائكات الداخلية بكنيسة القصر الملكي (لوحة٣، شكل٦)، وفي واجهة كنيسة شيفلو Cefolu ١١٣١، ١٢٦٣م (لوحة٧)، وفي شرقية كنيسة مونريالي (لوحة١٢) وفي إحدى البائكات الداخلية بكنيسة ديلاترانيتا ١١٩١م (لوحة١٩)، والجوسق ذو القبة بحديقة قصر القبة (لوحة٢٧) واستعمل العقد نصف الدائري في زخرفة سقف كنيسة القصر الملكي (شكل٧) وفي عقود النوافذ بذات الكنيسة (لوحة٥) وفي عقود حنايا واجهات قصر العزيزة (لوحة٢٠، شكل١٨، ١٩)، وفي واجهات قصر القبة (لوحة٢٥، شكل٢٢)؛ وفي واجهة قلعة فيترانو (لوحة٢٨).

والملاحظ أن العقد المدبب هو العقد الذي انتشر انتشاراً كبيراً على تلك العمائر النورماندية، وكذلك على معظم العمائر القوطية الغربية[4]. وعرف بالعقد المدبب ذو

---

(1) أحمد فكري: مساجد القاهرة، ص٩٣.

(2) حسني نويصر: الآثار الإسلامية، زهراء الشرق،١٩٩٨م، ص١٩٨.

(3) أحمد فكري: مساجد القاهرة، ص٢٠٥، Abou Seif (D); Sicily,p.290.

(4) بريجز (كريستي): تراث الإسلام، ص١٥٧.

المركزين وهو ذات العقد الذى انتشر فى عمائر القاهرة الفاطمية[1]، والذى كان معروفاً من قبل فى بخارى قبل سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٧م كما عرف فى سوريا أيضاً فى ذات الوقت[2]. ونفذه المعمارى الفاطمى فى مصر وصقلية باقتدار.

ونلاحظ أن بعض هذه العقود التى نفذت فى عمائر نورماندية قد أحيطت بإطارين يأخذان هيئة العقود، كما فى باثكة كنيسة ديلاترانيتا ١١٩١م (لوحة١٩)، وهى ظاهرة وجد ما يماثلها فى تونس فى مسجد صفاقس الكبير الذى اكتمل بناؤه عام ٣٧٨هـ/ ٩٨٨م، كما وجدت فى منار قلعة بن حماد الفاطمية، ووجدت كذلك فى مصر فى عقود واجهة مسجد الحاكم والصالح طلائع. مما يتأكد معه الميل الشديد إلى ترسيخ القيم المعمارية الفاطمية، كذلك استعملت العقود نصف الدائرية فى صقلية مثلما استعملت فى مصر.

٦- المآذن :

أشارت المصادر التى تناولت المدينة إلى وجود مآذن ضمن عمارة مساجد المدينة فى العصر الفاطمى ضمنياً فى إشارة ابن جبير إلى (الآذان) عند ذكره بالرمو فذكر: "... وللمسلمين بهذه المدينة رسم باق من الإيمان يعمرون أكثر مساجدهم ويقيمون الصلاة بآذان مسموع ... ولا جمعة لهم بسبب الخطبة المحظورة عليهم"[3]، وتصريحاً فى رواية ابن الأثير التى يقول فيها: "ومن سنة ٣٤٢هـ/ ٩٥٣م عاد الحسن إلى ريو وبنى مسجداً كبيراً فى وسط المدينة وبنى فى أركانه مئذنة"[4].

وهذان النصان يشيران إلى وجود مآذن للمساجد، وكذلك منابر غير أن صلاة الجمعة قد أبطلت بسبب النورمانديين الذين احتلوا الجزيرة وعملوا على القضاء على الإسلام رغم استعانتهم فى أنظمة الدولة، والفن بالمسلمين.

وقد أمكن من خلال بعض عمائر النورمانديين الدينية الوقوف على هيئة هذه المآذن. فقد اشتملت واجهة كنيسة شفلو Cefolu على برجين مربعين ثم بدن آخر أكثر ضيقاً من المقام عليه. فُتح بهذين البرجين نوافذ توأمية معقودة داخل دخلة معقودة بعقود مدببة ينتهى البدن

---

(1) Abou Seif (D); Sicily,p.288.

(2) أحمد فكرى: مساجد القاهرة، ص١٥٦.

(3) ابن جبير: الرحلة، ص٢٣٠.

(4) ابن الأثير: الكامل، جـ٨، ص٣٥٨.

الثانى بقمة مخروطية (انظر: لوحة٧).

وهذه الهيئة المربعة لأبراج كنيسة شفلو Cefolu تذكرنا بالمآذن المغربية، التى توجد أقدم أمثلتها بالقيروان فى مسجدها الجامع؛ وهى تعود لعهد هشام بن عبد الملك ١٠٦- ١٢٦هـ/ ٧٢٤- ٧٤٣م، وهى تتكون من برج مربع ضخم يستدق كلما ارتفع وتعلوه شرفات وطابقان بنى أحدهما فى فترة متأخرة[١].

ثم ظهرت بهيئة مقاربة لهيئة هذان البرجان فى مئذنة مشهد الجيوشى[٢] التى تتكون من ثلاثة طوابق مدرجة؛ الأول والثانى مربعان أما الثالث فهو مثمن الشكل يتوجه قبيبة من الآجر شأنها فى ذلك شأن كامل بناء المئذنة[٣]. والملاحظ أن مئذنتى الكنيسة ذات طابقين وقمة مخروطية فى حين أن مئذنة الجيوشى من ثلاث طوابق ويتوجها قبيبة بدلاً من الشكل المخروطى؛ وهذه المئذنة تظهر الأصول الأولى لها فى تونس، والتى انتقل منها ذات الشكل إلى صقلية والذى نراه فى هذين البرجين اللذين اختلفا تماماً عن أبراج الكنيسة، لوجود دورة المؤذن أعلى الطابق الأول والتى فقد الدرابزين الخاص بها، كما أن أبراج الكنيسة ينتهى فى قمته بيت الأجراس، وهو ما لم يوجد فى هذه الأبراج ويؤكد عالمية الحضارة الإسلامية[٤].

وبذلك يكون مثل هذا الشكل هو شكل مآذن صقلية فى العصر الفاطمى؛ التى استعملت كأجراس كنيسة.

٧- البوابات والقلاع :

تبقى لنا من البوابات المحصنة التى ربما اختصت بقلعة أو قصر أو مدينة، بوابة كنيسة مونريالىMonreale/ القرن الثانى عشر الميلادى، وهذه البوابة تبقى منها البرجان المربعان المشيد فوقهما حجرتان فوق بعضهما فى البرج الأيمن (لوحة١١) وغرفة واحدة فى البرج الأيسر فتح بها عدة نوافذ معقودة وينتهى هذا البرج ببيت أجراس وُضع للغرض الجديد الذى استعمل من أجله البرج، وما بين البرجين استحدثت بائكة معقودة تؤدى إلى مدخل

---

(1) بريجز (كريستى): تراث الإسلام، ص١٢٩.

(2) أحمد فكرى: مساجد القاهرة، ص٣٨.

(3) أحمد فكرى: مساجد القاهرة، ص٩٤.

(4) صلاح البحيرى: عالمية الحضارة الإسلامية ومظاهرها فى الفنون، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، ص٧٥.

الكنيسة؛ والتى كانت تؤدى فى الغالب إلى القلعة أو القصر. وهذا التكوين المعمارى يذكرنا ببوابة النصر الفاطمية التى شيدت ضمن أسوار القاهرة الشمالية، والتى تتكون من كتلة ضخمة من البناء عبارة عن برجين مربعين كبيرين يحصران بينهما ممراً مكشوفاً يؤدى إلى باب المدخل ثم رحبة واسعة مربعة يغطيها سقف من قبو متقاطع، يرتفع كل برج إلى ثلثى ارتفاعه يليه فى الثلث الأخير حجرة دفاع مسقفة بقبة ضحلة[1]. وقد اشتمل البرج الأيسر فى الكنيسة فى مستواه الأول على فتحات مزاغل طولية لرمى السهام وجدنا ما يماثلها فى الحجرات التى تعلو هذا المستوى فى بوابة باب النصر إلى جانب اشتمال الكنيسة على أكثر من غرفة فوق بعضها بشكل مستدق لا نجد لها مثيلاً فى بوابة النصر.

وهذه البوابة التى تستتر فى بناء الكنيسة تضيف لما هو معروف من العمائر الفاطمية عنصر جديد هو استعمال ذات البوابات التى استعملت فى بناء المدن فى القاهرة، ومن قبلها المهدية بتونس[2] مصدر هذه التأثيرات.

قلعة منيسية بسراقوسة :

هذه القلعة مشيدة على لسان مدينة سراقوسة تلك المدينة التى حفلت بالعمارة والعمران فى العصر الفاطمى.

وهى محاطة بالبحر من جميع جهاتها (انظر: لوحة٢٩) شيدها فردريك الثانى سنة١٢٣٢-١٢٣٩م، لتحصين المدينة من جهة البحر، وقد أكثر هذا الإمبراطور من تشييد القلاع فى جنوب إيطاليا حيث كان النشاط المعمارى فى عهده موجة لبناء القلاع[3].

والقلعة بناء مربع الشكل فى أركانه أربعة أبراج ٣/ ٤ دائرة (شكل٢٥) داخل كل برج حجرات وسلالم تؤدى إلى أعلاه كما زودت القلعة بمجموعة من المزاغل فى الجدران بين الأبراج ومساحة القلعة الداخلية يتوسطها مجموعة من الأعمدة تشير إلى أن مساحتها ربما كانت مسجد وأعيد توظيفه للقيام بمهمة القلعة فى عهد هذا الإمبراطور. وقد توفر فى هذه القلاع العناصر الإسلامية التى ذكر أنها استمرت فى صقلية بعد سقوط النورمانديين وتبعية

---

(1) آمال العمرى، على الطايش: العمارة فى مصر الإسلامية (العصرين الفاطمى والأيوبى)، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٥. حسنى نويصر: المرجع السابق، ص١٦٣.

(2) Bloom (J.M); the Origins of Fatimid Art, p.23.

(3) Arnold (F.N); Storia dell' Arte, Vol. I,1978,p.543.

صقلية للإمبراطورية الألمانية ومن ذلك العقود المدبية[1] (انظر: لوحة٣٠، شكل٢٤).

٨- العناصر الزخرفية :

شاعت على العمارة النورماندية الكثير من أنواع الزخارف الإسلامية مثل الزخارف العربية المورقة (الأرابيسك)[2] والزخارف الهندسية وكذلك الزخارف الكتابية المنفذة بالخط الكوفى المورق الذى شاع فى العصر الفاطمى فى مصر وتونس وانتقل منهما إلى صقلية يتأكد ذلك فى استمرار كتابته على عمائر الفترة النورماندية ويمكن تناول ذلك فى ضوء التقسيم التالى :

أ- الزخارف النباتية :

زخرفت جدران كنيسة شيفلو (لوحة٨، لوحة٩) بزخارف التوشيح أى الزخارف النباتية المتداخلة معاً والتى عرفت باسم الأرابيسك وذلك فى حشوات خشبية بالجدران، وكذلك بالحفر على الحجر بجدران الكنيسة، وداخل قصر القبة (لوحة٢٦، شكل٢٣). حيث نفذت هذه الزخارف النباتية ضمن عناصر هندسية نجمية ولوزية متناسقة وذلك بصورة متكررة لا تملها العين؛ ويتضح فى تنفيذها مدى التطور الذى أصابه هذا الفن فى صقلية.

وهو فرع من فروع الفن الذى ابتكره المسلمون، معتمداً على التكرار فى استعمال العنصر النباتى، والهندسى وكذلك التماثل. مثلما نجد فى الزخارف العربية المورقة التى شاعت على عمائر العصر الفاطمى بمصر، والتى نراها فى الجامه الأزهر، والحاكم[3].

ب- الزخارف الكتابية :

اشتملت العمائر النورماندية على نصوص كتابية تعكس التقاليد الفاطمية من استعمال تلك الكتابات داخل عمائرهم التى شيدوها فى مصر أو بلاد المغرب.

وقد تضمنت كنيسة القصر الملكى ببالرمو عدة كتابات متفرقة، وأخرى متجانسة حول

---

(1) Stefano (C.A.D); Federico e la Sicilia dalla, Terra alla Corona,1995,p.377- 380.

(2) يعود أصل الكلمة إلى اللفظة العربية التوريق وذلك أن فن الأرابيسك كان ينفذه الفنان المسلم عن طريق استخدام عناصر نباتية كأن يكون ورقة نباتية أو فرعاً نباتياً كعنصر فنى يستخدمه فى تكرار ولكنه فى تجدد، ولا يمله الناظر وذلك بسبب السيمترية الجميلة التى كان الفنان يستخدمها فوق المساحات التى يقوم بزخرفتها. انظر: صلاح البخيرى: عالمية الحضارة الإسلامية، ص٤٨.

(3) أحمد فكرى: مساجد القاهرة، ص١٨٦- ١٨٨.

وحدات السقف الزخرفية.

ومن الكلمات المتفرقة التى جمعها أمارى:

كفاية – ظفر – تأييد – كفى – بركة – إجمال – طيب – سعادة – متواصلة – قائم – دائم – نعمة – تأيد – غبطة – إجلال – افضال – كاملة – كمال – عز – سعد – حماية – نصر – حفظ – دعاية – سلامة – عافية – شاملة – إقبال – نصر.

ومن العبارات المتجانسة :

الدعاية والنصر – السلامة والظفر والحماية والظفر – والحماية والنصر والسلامة والجمال والنصر – والنصر والكفاية والقبول والدعاية – واليمين والشكر الكامل والنصر سنة ...ماية وألف[1].

وقد نفذت هذه الكتابات بخط كوفى مورق وهو أحد الأنواع التى شاع تنفيذها على عمائر الفاطميين فى مصر حيث نراها فى كتابات الجامع الأزهر، وجامع الحاكم والجامع الأقمر وعلى الكثير من التحف الفنية[2] ووجود هذه الخاصية فى العمائر النورماندية يجعلنا نقول أنها وجدت كذلك على عمائرهم التى شيدها المسلمون فى صقلية الفاطمية مثلما وجدت على عمائرهم فى مصر وتونس.

ج- الزخارف الهندسية :

استعملت العديد من العناصر الهندسية النجمية واللوزية، ضمن الزخارف النباتية التى شاعت على العمائر النورماندية. ووجدنا منها أشكالاً أخرى نفذت كسواتر جصية أو حجرية أو رخامية وضعت على فتحات النوافذ كالتى نراها فى العمائر الإسلامية.

ومن ذلك نافذة ضمن عدة نوافذ بكنيسة القصر الملكى ببالرمو نفذت بالتفريغ (لوحة٥) وكانت زخارفها عبارة عن وريدات خماسية نفذت بأسلوب هندسى، وأجزاء متكررة من هذا الشكل كما اشتملت كنيسة القديس كتالدو على زخرفة هندسية تمثل نجمة سداسية (ترس) ووحدات من الطبق النجمى نفذت فى سواتر النوافذ التى فتحت بجدرانها (لوحة١٦).

---

(1) عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية، ص٧٢، لوحة٢٦.

(2) أحمد فكرى: مساجد القاهرة، ص١٩٣– ١٩٦، لوحة١٠، ١٤، ١٧؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية، ص١١٦– ١١٧.

وهذا الشكل نفذ كاملاً فى سواتر مسجد الحاكم بأمر الله بالقاهرة[1]، وهو ما يشير إلى رسوخ التقاليد المعمارية للمعمار الفاطمى فى كافة البلاد التى خضعت لسلطانهم.

وبالتالى فإن وجودها فى هذه الكنائس أمر يدعو إلى القول أنها قد كانت تضمها مساجد المسلمين فى صقلية فى عصر الفاطميين ونفذها بذات الهيئة أرباب الحرف المسلمون.

د- الزخارف الآدمية :

أما الزخارف الآدمية التى وجدت داخل كنيسة القصر الملكى فإنها تعطينا فكرة واضحة عن فن التصوير الفاطمى؛ فضلاً عن رسم الطيور والحيوانات كالطائر الذى يحمل ورقة نباتية فى منقاره، وأكثر الطيور المرسومة هى الطاووس.

ومن الحيوانات الأسد وقد نفذ وهو يصارع ثعباناً، والصقر وهو ينقض على حيوان كالأرنب أو الظبى[2]، وجميعها تصاوير تعكس التقاليد الفاطمية ووجودها على سقف الكنيسة يشير إلى رسوخ التقاليد الفنية والمعمارية الفاطمية فى صقلية.

وبعد استعراض العمائر النورماندية وما اشتملت عليه من عناصر معمارية فاطمية تأثرت بها تأثراً كاملاً أخرج العمارة النورماندية عن هيئتها الوظيفية يجدر بنا أن نشير إلى أن هذه المؤثرات هى ذاتها خصائص العمارة الفاطمية التى درست معالمها بسبب الهدم أو تغيير الوظيفة.

ومما سبق يمكن القول بأن العمارة الفاطمية قد عرفت عدة أنواع من العمائر منها الدينى، والمدنى، والحربى :

- جاءت مخططات العمائر الدينية متوافقة مع مخططات المساجد الفاطمية الصغيرة، والتى تتفق ومخطط مشهد الجيوشى بالقاهرة وقد عم هذا المخطط أسلوب التسقيف بالقباب نتيجة تقسيم مساحة الظلة إلى عدة مربعات تسقفها تلك القباب.

  وقد تعامل المعمار المسلم مع هذه المساجد عند تحويلها إلى كنائس بهدم أجزاء من ظلة القبلة وإبقاء قسم منها هو الذى استغله المعمار كرواق عمودى على الجدار الذى استبدل فيه الممرات بشرقية الكنيسة بعد تعديل اتجاهها.

---

(1) أحمد فكرى: مساجد القاهرة، لوحة٦٦.

(2) عزيز أحمد: تاريخ صقلية، ص١١٨- ١١٩.

- زخرفت الجدران التى حوت هذه المخططات الكنسية بالزخارف المعبر عنها بـ (الحنايا) والتى تعد انعكاساً للتقاليد الإسلامية فى تونس فى العصرين الأغلبى والفاطمى، وهذه الحنايا قد تميزت باشتمالها على عقود نصف دائرية عددها عقدان يتوجان كل دخلة.
- استعمل المعمار الفاطمى عنصر الشرافات التى تتوج العمائر الإسلامية لتتويج عمارة هذه الكنائس، وهذا الأمر يشير إلى أن هذه الكنائس قد شيدت كمساجد فى العصر الفاطمى وتغيرت وظيفتها فى العصر النورماندى مع إحداث بعض التغيرات الداخلية؛ وهذه الشرافات تتطابق مع مثيلاتها الفاطمية فى تونس ومصر.
- ظهرت على الكثير من العمائر النورماندية عنصر المقرنصات وهو عنصر إسلامى وجدناه فى كنيسة القصر الملكى فى سقفها الخشبى وفى الدخلات وأعلى فتحات النوافذ وفوق كتلة المدخل بقصر العزيزة ببالرمو؛ وهذه المقرنصات تتشابه مع تلك التى وجدت على عمائر مصر الفاطمية مثل مشهد الجيوشى والجامع الأقمر.
- استعملت المآذن المربعة، والتى وجدنا لها مثيلاً فى أبراج كنيسة شيفلو Cefolu وهو ما يؤكد ما ذكره ابن الأثير عن استعمال المآذن فى أركان المساجد وهى بهذه الهيئة تعكس التقاليد التونسية والتى وجدناها فى القيروان ثم وجدناها فى مشهد الجيوشى، مع تغيير القمة التى سقفت بقبة فى هذا المشهد وسقفت بقمة مخروطية فى أبراج تلك الكنيسة.
- ظهرت بوابات بعض الكنائس على هيئة أبراج مربعة مزودة بعنصر المزاغل التى كانت تزود به الأبراج فى العمارة الحربية، وهو ما يشير إلى أن بناء الكنائس فى العصر النورماندى كان يتم فى مكان مشيد بالفعل تتوفر به الحصانة مثلما وجدنا فى كنيسة مونريالى وهذه الأبراج المربعة تتشابه مع أبراج بوابة النصر بالقاهرة المشيدة فى العهد الفاطمى (عصر بدر الجمالى٤٨٧هـ/ ١٠٩٣م).
- شاعت العناصر الزخرفية المعروفة بالأرابيسك إلى جانب العناصر الهندسية المنفذة على الجص والتى استعملت كسواتر للنوافذ فى تلك العمائر والتى تشابهت مع سواتر المساجد الفاطمية فى مصر مثل سواتر مسجد الحاكم بأمر الله التى تشابهت مع سواتر كنيسة القديس كتالدو.

- استعملت الزخارف الكتابية بالخط الكوفى المورق على الوحدات التى تزخرف كنيسة القصر الملكى وداخل بعض المنشآت مثلما نلحظ فى كثير من مساجد مصر الفاطمية.
- استعملت مخططات القصور التى عثر على بعضها فى قلعة بنى حماد بمدينة أشير كنمط لتخطيط بعض قصور صقلية فى هذا العصر مثلما وجدنا فى قصر الفوارة وقصر العزيزة والقبة.
- وبهذا نجد أن هذه الخصائص تتشابه إلى حد كبير مع تلك الخصائص التى وجدت فى عمائر تونس والجزائر ومصر فى ذات الفترة مما يشير إلى التأثيرات المتبادلة بين صقلية وتلك البلاد نتيجة العلاقات التجارية التى كانت قائمة بينها وبينهم، فضلاً عن خضوعها لسلطة الفاطميين فى القاهرة بعد انتقالها من بلاد المغرب.
- استمرت القلاع فى القرن الثالث عشر الميلادى متأثرة فى عمارتها بالعناصر الإسلامية من حيث استعمال الأبراج الركنية ٣/ ٤ الدائرة فضلاً عن العقود المدببة وكذلك الأحجار الضخمة التى تكفل حصانة البناء.

** ** ** **

المراجع

التى تناولت صقلية فى السنوات العشر الأخيرة

حسن الباشا : دراسات فى فن النهضة وتأثره بالفنون الإسلامية، دار النهضة العربية، ١٩٩٠م.

أشار البحث إلى معلومات عن صقلية باعتبارها إحدى المعاقل التى ازدهرت فيها الثقافة العربية الإسلامية حتى بعد أن فقد العرب سلطانهم عليها واستولى عليها النورمان سنة ١٠٩١م، وحتى بعد أن خلفهم فى حكمها الإمبراطور فريدريك الثانى فى القرن الثالث عشر. وبذلك فقد غدت الجزيرة عربية الطراز طوال عهد النورمان ومن بعدهم. كما أشار البحث إلى بعض عمائر النورمان مثل قصرى القبة والعزيزة وما وجد بهما من صور مرسومة حسب التقاليد الفنية الفاطمية.

وجيدة يحيى عزب رزق : النقود الإسلامية فى الشام وفلسطين وصقلية فى العصر الفاطمى، مخطوط رسالة ماجستير، كلية الآثار، ١٩٩١م.

فى هذه الرسالة دراسة لمسكوكات صقلية فى العصر الفاطمى وما امتازت به هذه السكة من خصائص، وقد أفادت الرسالة فى معرفة أن صقلية غدت داراً لضرب العملة منذ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م، وذلك فى خلافة المنصور بالله وقبل قيام دولتهم بمصر، الأمر الذى أشار إلى تمتع الجزيرة بأهمية خاصة لدى الخلفاء الفاطميين.

آمال العمرى، على الطايش : العمارة فى مصر الإسلامية (العصرين الفاطمى والأيوبى)، القاهرة، ١٩٩٦م.

وقد أفادت هذه الدراسة فى المقارنة بين مساجد ومشاهد وأضرحة وأسوار وبوابات القاهرة الفاطمية وبين العمارة النورماندية وعناصرها الفاطمية.

محمد عبد الله عنان : مواقف حاسمة فى تاريخ الإسلام، مكتبة الأسرة، ١٩٩٧م.

وفيه قدم المؤلف دور النورمان وتفتحهم الحضارى الذى دعاهم إلى الاستعانة بالمسلمين فى كافة مناحى الحياة؛ الأمر الذى ساعد على ظهور مؤثراتهم فى الناحية المعمارية.

موجز دائرة المعارف الإسلامية : (الجزء الحادى والعشرين)، ط١، ١٩٩٨م، مركز الشارقة للإبداع الفكرى.

فى هذا الجزء وردت معلومات عن موقع الجزيرة وحكم المسلمين لها، ومن بعدهم الاحتلال النورماندى وحكامهم، وكيف استعان هؤلاء بالعناصر الإسلامية التى تأثرت بها عمائر النورمان، وبالتالى غدت عمائر إسلامية.

حسنى نويصر : الآثار الإسلامية، زهراء الشرق، ١٩٩٨م.

ضم الكتاب دراسة لبعض العمائر الفاطمية تم الاعتماد عليها لإجراء الدراسات المقارنة مع عمائر صقلية؛ لتأكيد حقيقة نسبة المؤثرات إلى العصر الفاطمى.

أحمد عبد الرازق : العمارة الإسلامية فى العصرين العباسى والفاطمى، القاهرة، ١٩٩٩م.

تناول الكتاب عمائر العصرين العباسى والفاطمى، وقد تم الاعتماد على عمائر الفاطميين للمقارنة؛ مع الاستعانة بما ورد من وصف للحمام الفاطمى بمنطقة أبو السعود، والذى تم الكشف عنه أثناء أعمال الحفر التى قام بها متحف الفن الإسلامى بالقاهرة وتطبيقها على جملة الحمامات الفاطمية التى شيدت بصقلية قياساً.

حسن الباشا : موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد الثانى، ط١، ١٩٩١م. (أثر الفنون الإسلامية بصقلية وإيطاليا فى أوروبا).

وقد وردت به إشارات لتاريخ المسلمين فى صقلية منذ الفتح الإسلامى وحتى حكم الفاطميين للجزيرة؛ التى ازدهرت الفنون الإسلامية فى عهدهم. كما أشار إلى استعانة النورمان بالمسلمين، وازدهار الفنون والعمارة الإسلامية فى عهدهم.

أحمد محمد الدسوقى : الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا، ندوة العرب وأوروبا عبر التاريخ، اتحاد المؤرخين العرب، ١٩٩٩م.

وفيه وردت معلومات عن الفتح الإسلامى لصقلية، والعوامل التى ساعدت على قيام الكيانات العربية الإسلامية.

سعاد حسين : تأثيرات إسلامية على مجموعة نسيج من صقلية، محفوظة بمتحف كلية الآثار، جامعة القاهرة، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، ١٩٩٩م.

وفى هذا البحث تناولت الباحثة استمرارية التقاليد الإسلامية التى عرفها الفنان الصقلى فى العصر الفاطمى وحتى بعد نهاية العصر الإسلامى وخضوع الجزيرة لتبعية النورمان والإمبراطورية الألمانية، وقد أفاد البحث فى توضيح دور الجزيرة الفنى فى العصر الفاطمى فى مجال النسيج.

يسرى أحمد عبد الله زيدان : البناء الثقافى والعلمى لصقلية العربية (٢١٢-٤٨٤هـ/ ٨٢٧-١٠٩١م)، ندوة العرب وأوروبا عبر عصور التاريخ، اتحاد المؤرخين العرب، (حصاد٧)، ١٩٩٩م.

وقد تناول الباحث دور العناصر المغربية والأندلسية والمصرية فى بناء الثقافة العربية الإسلامية فى صقلية؛ وقد أمكن من خلال ذلك معرفة مدى تأثير ذلك على تنامى حركة البناء والتعمير؛ الأمر الذى وضح معه ظهور تأثيرات عديدة على هذه العمائر.

المراجع الأجنبية

*** Hillenbrand (R); Islamic Architecture, Edinburg University Press, 1994.**

وفيه وردت بعض المعلومات عن التأثيرات التى وقعت على عمائر صقلية فى العصر النورماندى، ومن ذلك عمائر قلعة بنى حماد بالجزائر، حيث نلحظ ذلك فى قصر الفوارة وقصر القبة والعزيزة فى زخرفة الواجهات بالحنايا الرأسية.

*** Editoriale (S); Eredita dell' Islam Arte Islamica in Italia, 1994.**

وفى هذا الكتاب الضخم تم معالجة الميراث الإسلامى فى إيطاليا. وقد بدأ الكتاب بدراسة تاريخ الفن الإسلامى ومصادر هذا الفن من القرن الأول الهجرى وحتى القرن الرابع/ السابع - عشر الميلادى، وبلاد الفرس الشرقية وأسبانيا منذ القرن الثانى وحتى السابع الهجرى/ الثامن - الثالث عشر الميلادى، وكذلك إفريقية الشمالية منذ القرن الثالث الهجرى وحتى السابع - التاسع الميلادى وحتى الثالث عشر. باعتبار هذه الروافد هى التى حددت طبيعة الفن الإسلامى فى صقلية. ثم أفرد الكتاب فصلاً لدراسة صقلية فى ظل المسلمين من ص١٨٣-٢١٢ متناولاً ما ورد عن عمائر المسلمين وتأثيراتهم فى العمارة

النورماندية.

* Abou Seif (D); Sicily the Missing Link in the Evolution of Cairene Architecture, (Egypt and Syria in the Fatimid, Ayyubid and Mamluk Eras), Orientalia. Lovaniensia Analecta,73, Leuven,1995.

وقد أشارت الدراسة إلى أهمية دراسة عمائر الفترة النورماندية بصقلية لاشتمالها على عناصر معمارية وزخرفية تشير إلى أسبقية وجودها فى هذه العمائر عن العمائر المملوكية التى عم انتشارها بها.

كما وجدت عناصر تعكس التقاليد الفاطمية التى شاعت على العمارة فى مصر وصقلية مثل العقد المدبب ذو المركزين.

* Stefano (C.A.D); Federico e la Sicilia, dalla Terra alla Corona, Palermo, 1995.

وهو كتاب ضخم يتناول وصول فردريك إلى العرش، وقد احتل الكتاب جزءاً عن تاريخ سقوط صقلية فى عهده؛ والحياة السياسية فى القرن الحادى عشر وحتى القرن الثالث عشر وإصدار العملة فى عهده فضلاً عن العملات الأجنبية المتداولة، وكذلك الصنجات الزجاجية.

وفى مجال العمارة اشتمل الجزء الثانى منه على دراسة مفصلة للقلاع ألتى شيدها فردريك لحماية إمبراطوريته والتى جاءت متأثرة بالعناصر الإسلامية.

ومن هذه القلاع قلعة منيسيه، وقلعة أوغسطين، وقلعة لمبارديا. مع تزويد هذه القلاع باللوحات والمساقط الأفقية.

* Peterson (A); Dictionary of Islamic Architecture, New York,1996.

وقد ورد فى القاموس تعريفاً للجزيرة وموقعها ومدة حكم المسلمين لها واحتلال النورمان وما تركه العرب من منشآت وإشارات إلى احتلال النورمان لهذه العمائر وهدم بعضها، وإشارة إلى كنيسة القصر الملكى وسقفها الخشبى ذو التأثيرات الإسلامية من حيث المقرنصات والتصوير ثم الإشارة لقصر العزيزة وعناصره الإسلامية.

* Irwin (R); Islamic Art, Laurence King, 1997.

وفى هذا البحث معلومات عن صقلية وحكم المسلمين لها واحتلال النورمان، والعمائر التى شيدها المسلمون فى هذه الفترة والتأثيرات الإسلامية الواقعة عليها مثل المقرنصات والكتابات الكوفية؛ ومدرسة التصوير الفاطمية التى وجدت فى الكابلابلانيتا بيالرمو.

* Pellitteri (A); 1 Fatimid e la Sicilia (Sec.x), Evol Ogente dell' Isolo di Sicilia, Palermo,1997.

وفيه قدم المؤلف فصلاً عن السكان فى صقلية منذ وصول الحملات العربية لفتح الجزيرة وحتى حكم الفاطميين للجزيرة، وقد أفاد هذا الفصل فى معرفة التركيب العام للسكان وبذلك تم معرفة المؤثرات الواقعة على عمائر الجزيرة فى العصر الفاطمى، فلقد أشار البحث إلى التوافد التونسى والمغربى والمصرى والأندلسى وغيرهم من جنسيات أثرت على الثقافة داخل الجزيرة.

* Tonshini (C); Fatimid Ceramics from Italy: The Archaeological Evidence, L'Egypte Fatimide son Art et son histoire, Actes du Colloque Organise a Paris, les28, 29 et 30, Mai, 1998, Presses de l' Universite de Paris-Sorbonne, 1999.

وهو بحث جيد عن بعض القطع الزخرفية التى تم الكشف عنها حديثاً، وتعود للعصر الفاطمى فى صقلية، وقد أشارت هذه الدراسة إلى ما تمتعت به صقلية فى هذا المجال من رقى فنى؛ الأمر الذى ساعد على إعطاء صورة فنية مكتملة لنشاط المدينة فى ذلك العصر.

وفى هذا المؤتمر وردت الأبحاث التالية :

* Cutler (A); The Parallal Universes of Arab and Byzantine Art (with Special Reference to the Fatimid Era).

عرض هذا البحث لمدينة بالرمو القديمة فى ضوء خريطة للمدينة تعود للقرن السابع عشر الميلادى وضح بها أسوارها وما تضمنته من عمائر مثل قصر العزيزة والقبة، والكتابات الواردة بالخط النسخ والمنفذة بألوان متعددة من القصر الملكى.

* Mahfoudh (F); La Grande Mosquee de Mahdiya et son Influence sur L'Architecture Medievale Ifriqiyenne.
وقد وردت فى هذا البحث عناصر العمارة التونسية والتى ساعدت على دراسة عناصر التأثير الواقعة على العمارة النورماندية بصقلية.

* Mazot (S); L'Architecture d'Influence Nord-Africaine a Palermo.
وفى هذا البحث أشار الباحث إلى المؤثرات الفنية الواردة من شمال إفريقية وتأثيرها فى العمارة النورماندية بصقلية مثل الحنايا الرأسية والمقرنصات والشرافات ومناطق الانتقال وغيرها.

* Borruso (A); Some Arab Muslim Perceptions of Religion and Medieval Culture in Sicily, New York,1999.
وفيه دراسة حول بعض العرب المسلمين وحضارة العصور الوسطى؛ الأمر الذى خدم بناء الثقافة الإسلامية فى صقلية فى العصر الفاطمى والتأثيرات الواقعة على عمائرهم.

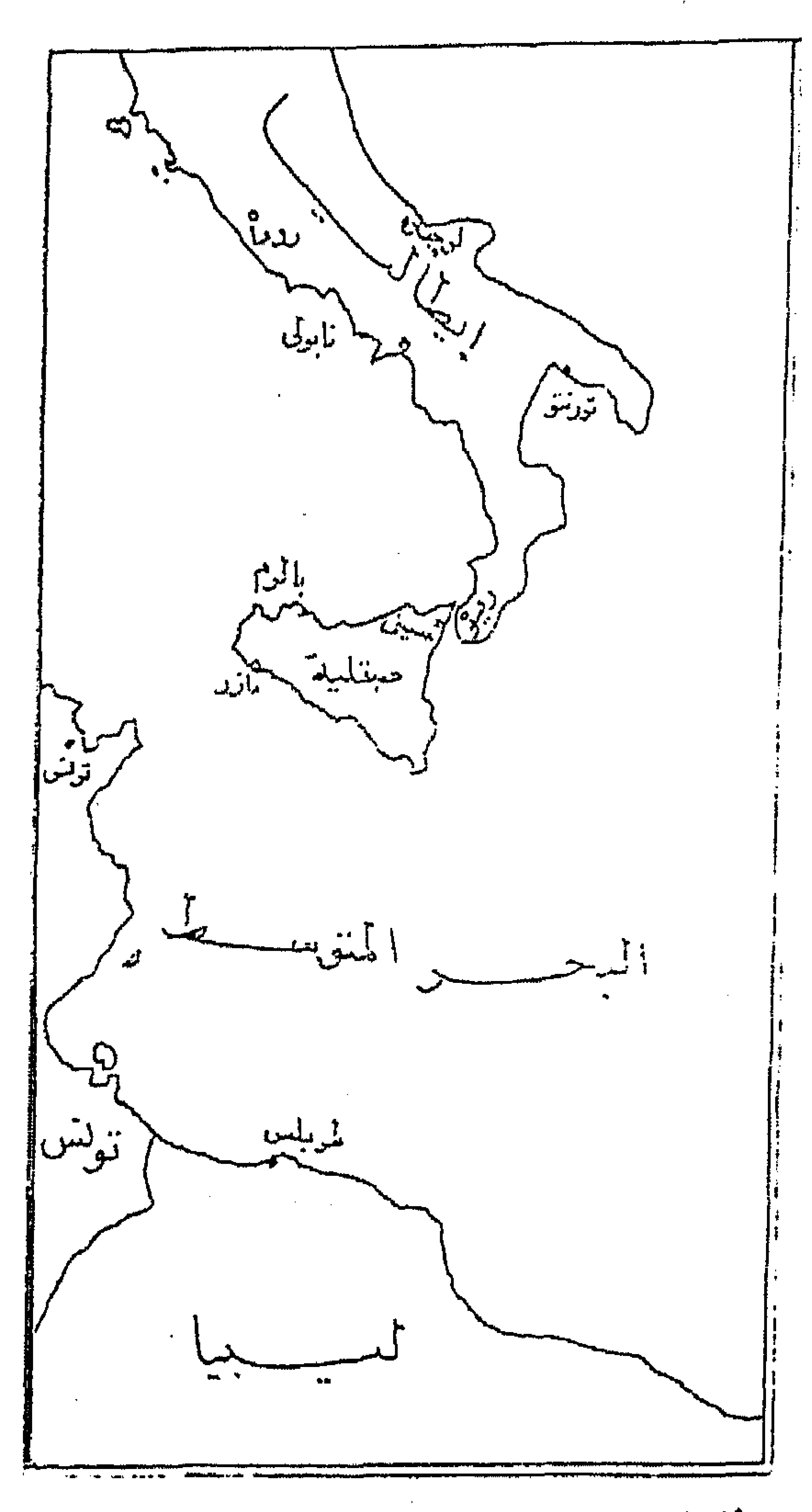
ومن المراجع الأجنبية التى تناولت صقلية فى الفترتين الإسلامية والنورماندية ما يلى :

* Abulafia (D.S.H.); The End of Muslim Sicily Muslims Under Latin Yule (1100-1300), Princetion University Press, 1990.
* Johns (I); The Norman Kings of Sicily and the Fatimid Caliphate Anglo-Norman Studies xv Proceedings of the xv Battle Conference and of the XI Colloquio Medievale of the Afficino di Studt Medieval, 1992.
* Take Yama (H); The Administration of the Norman Kingdom of Sicily, Leden, 1993.
* Ettinghousen (R) & Grabar (O); The Art and Architecture of Islam, Yale University Press, 1994.
* Agnesi (V); Breve Storia der Normanni in Sicilia, Palermo, 1994.
* Maurici (F); Breve Storia delgi Arabi in Sicilia, Palermo, 1995.
* Borruso (A); Regards Sur la Civilization Islamique en Sicile au Moyen Age Scholarly Approaches to Religion Interreligions Perception and Islam, Woordenburg,

1995. Federico II to Traduzions Culturade Arabo-Islamic, Marsillio, 1995.
* Granara (W); Jihad and Cross Culturad Encounten in Muslim Sicily, Harvard Middle Eastern and Islamic Review, 1996-1997.
* Johns (I) & Metcalfe (A); An Administrative my Story What it Revealts about the Arab Administration of Norman Sicily Photographs, Arabic Texts & Trans, 1999.

** ** ** **

الأشكال واللوحات



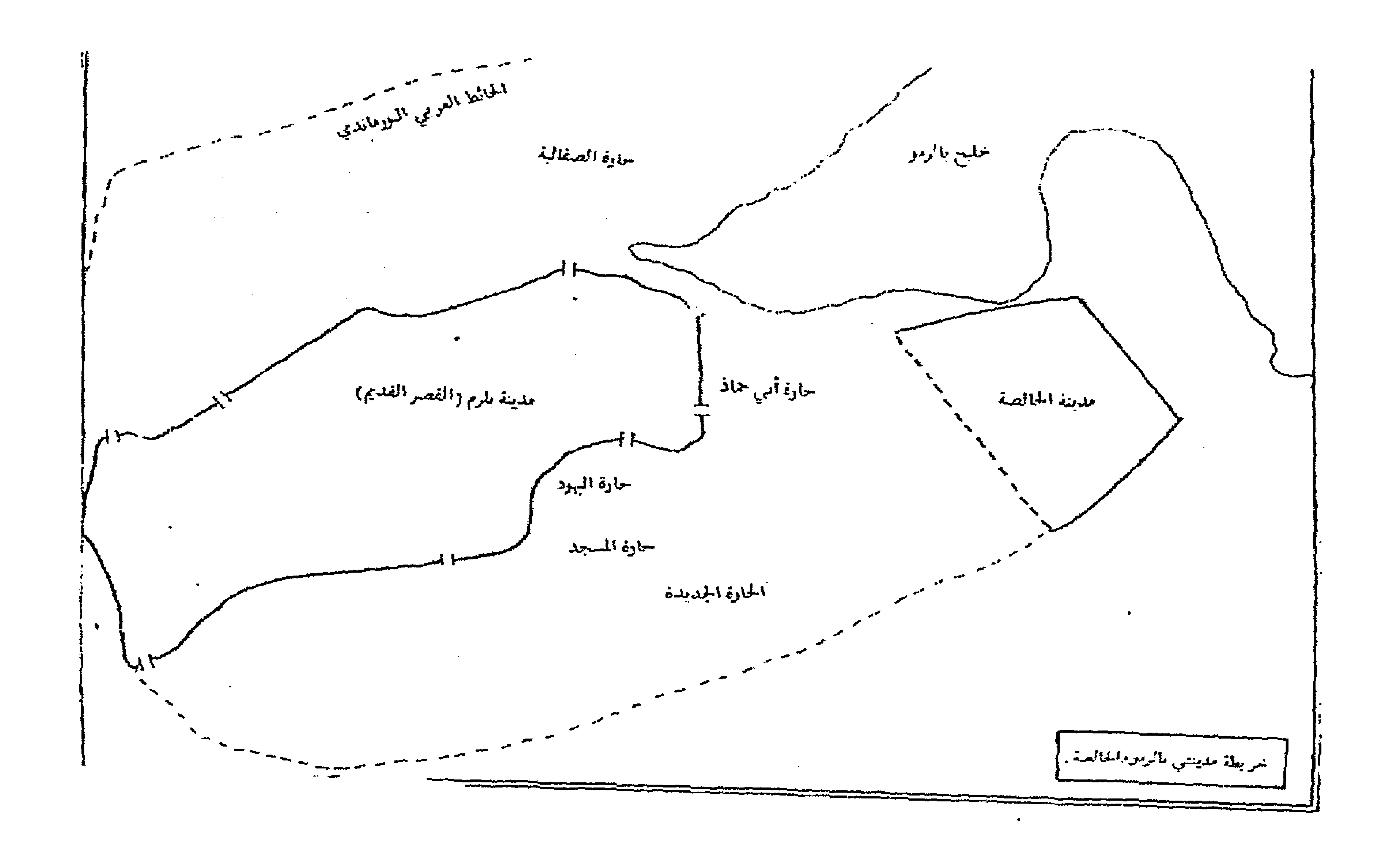
شكل (١) خريطة لجزيرة صقلية ومدنها

(عن عبد المنعم رسلان)

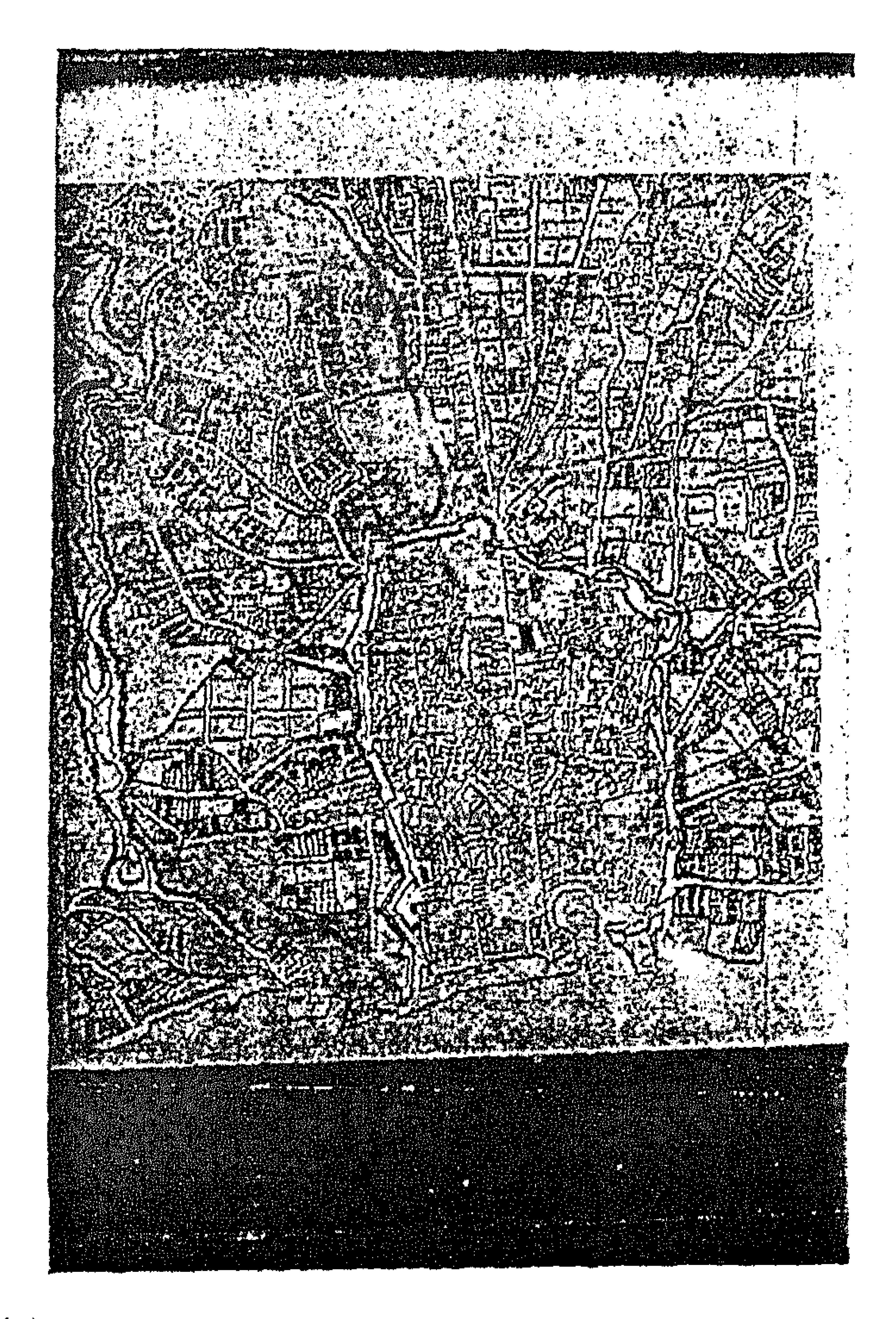


شكل (٣) خريطة لمدينة بالرمو ومواقعها الأثرية

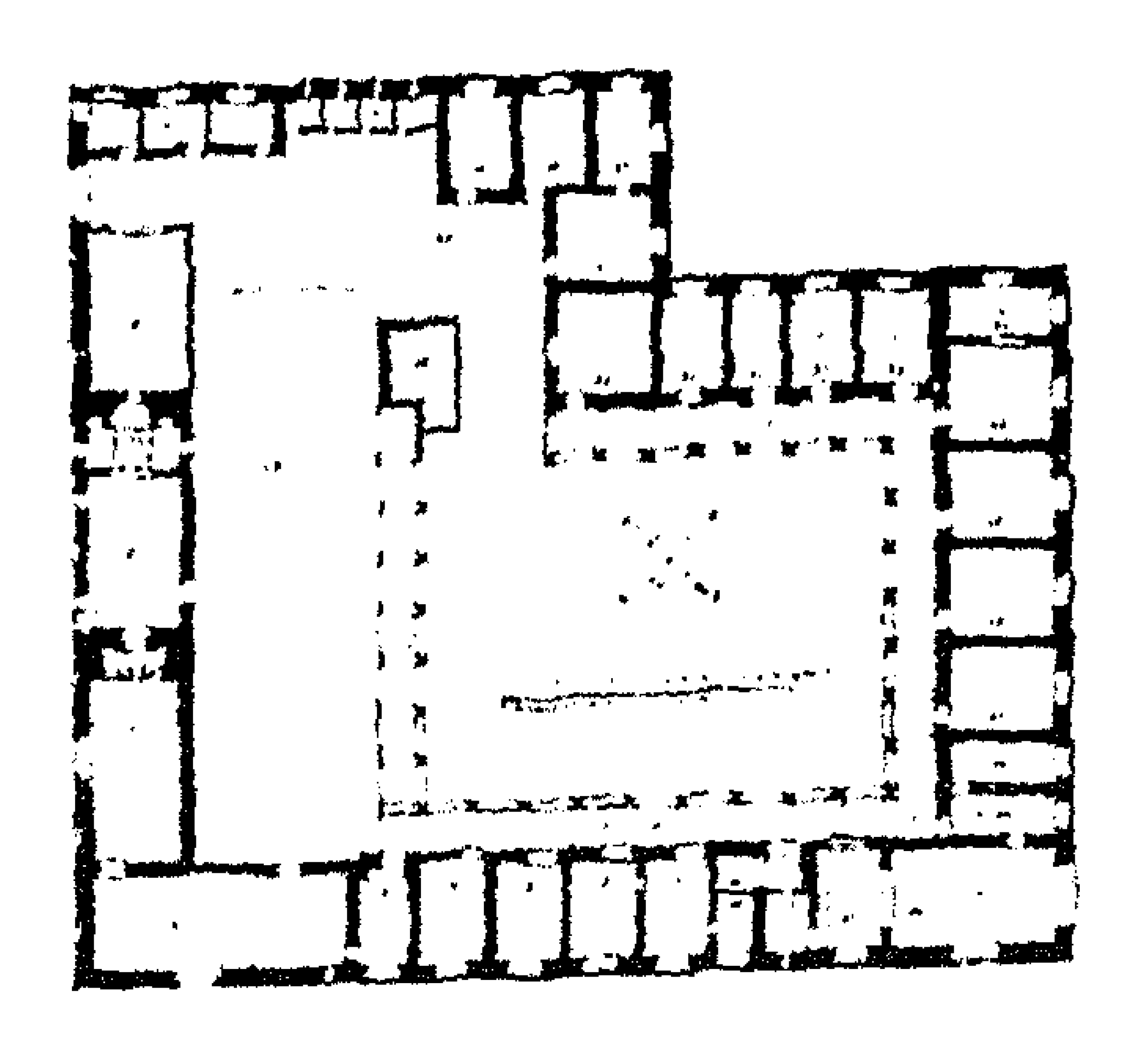
عن : حسين مؤنس : أطلس التاريخ الإسلامى



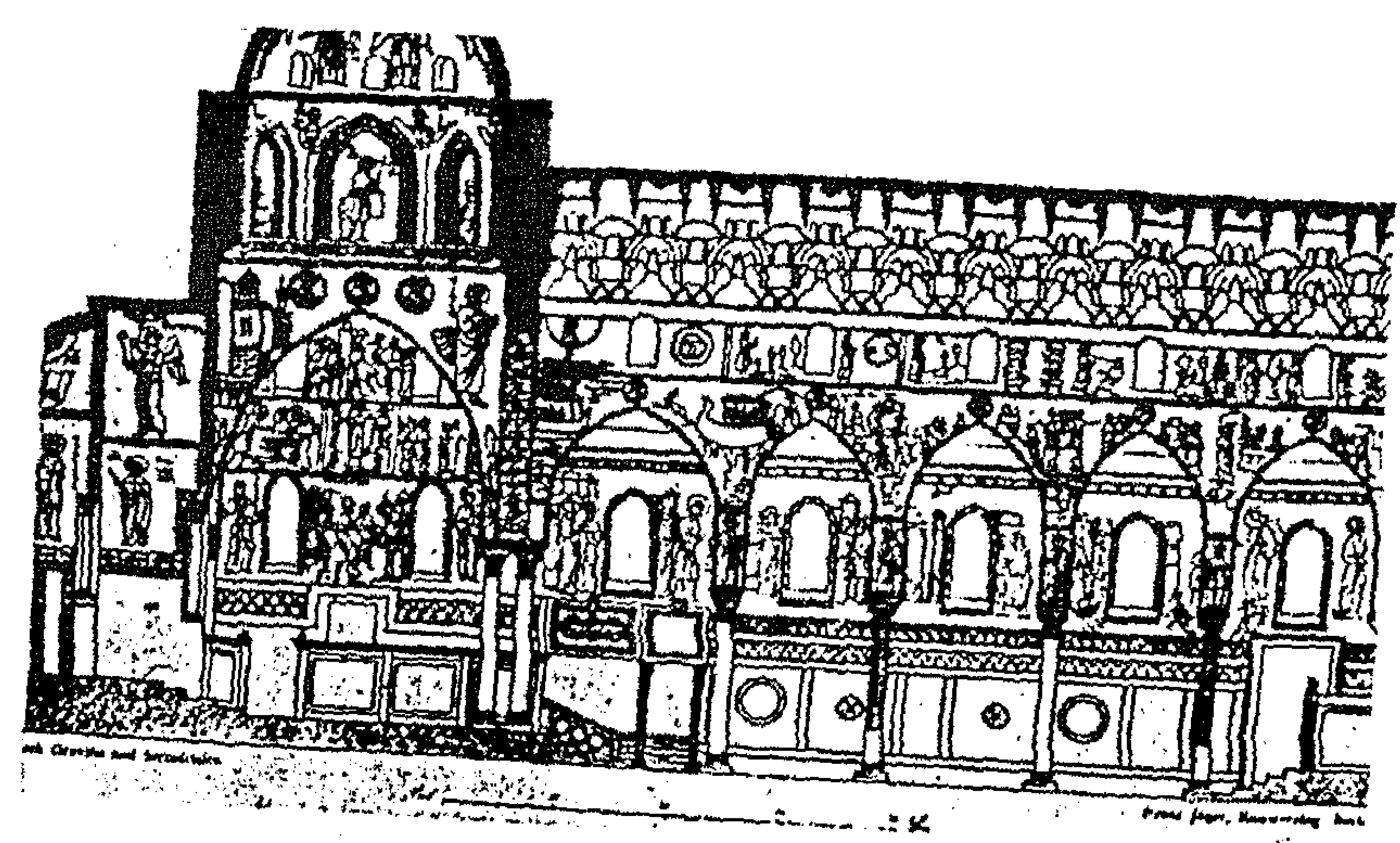
شكل (٣) خريطة لمدينتى بالرمو والخالصة
(عن عبد المنعم رسلان)



شكل (٤) خريطة لمدينة بالرمو في القرن السابع عشر الميلادي تتوسطها مدينة الخالصة بأسوارها وداخلها قصري العزيزة والقبة عن :
Cutler, (A)
The parallel universes of Arab and Byzantine Art with special Reference to the fatimid Era., Plan 105.

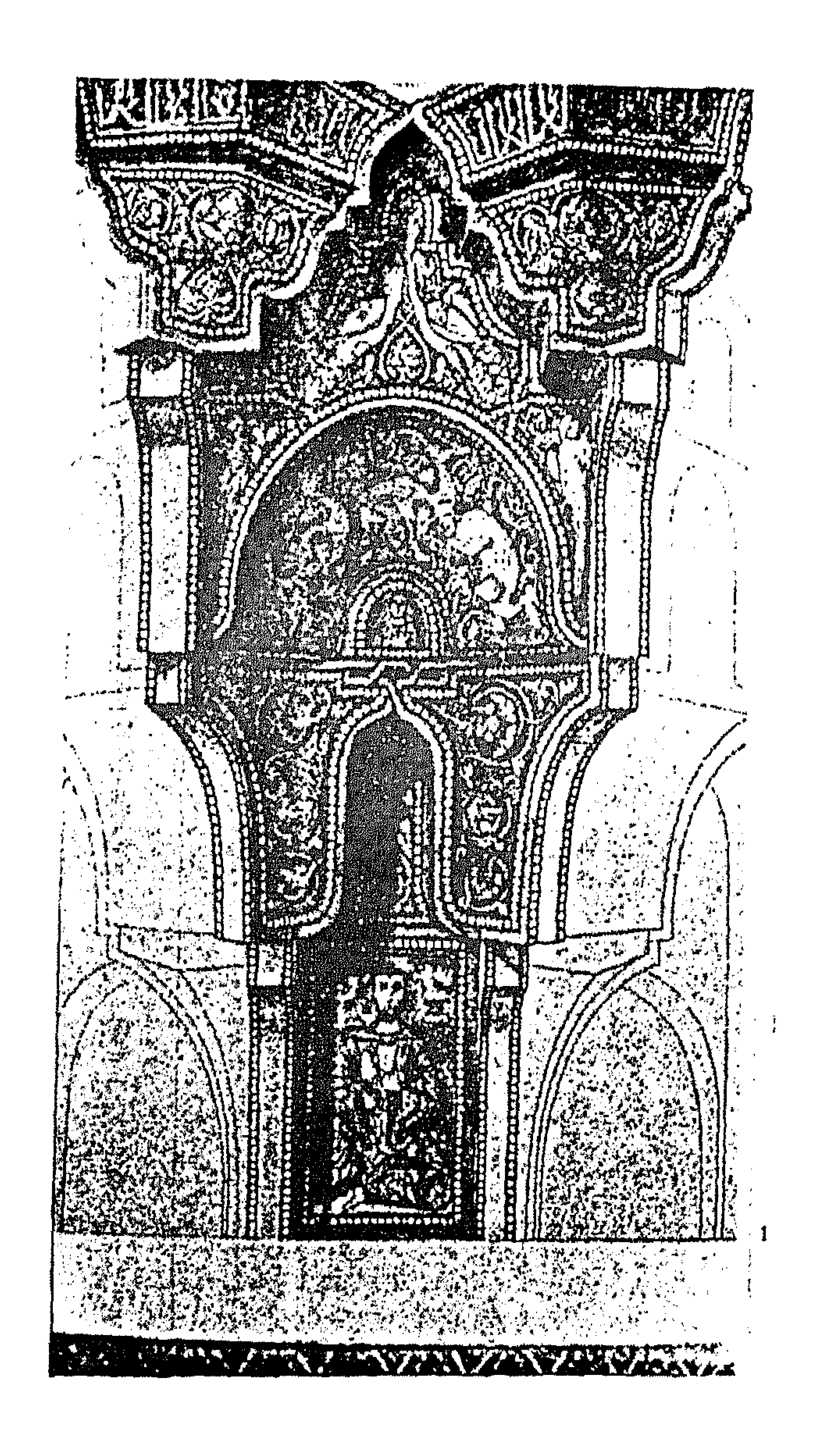


شكل(٥) مسقط أفقي لقصر الفوارة عن :
Bellafiore

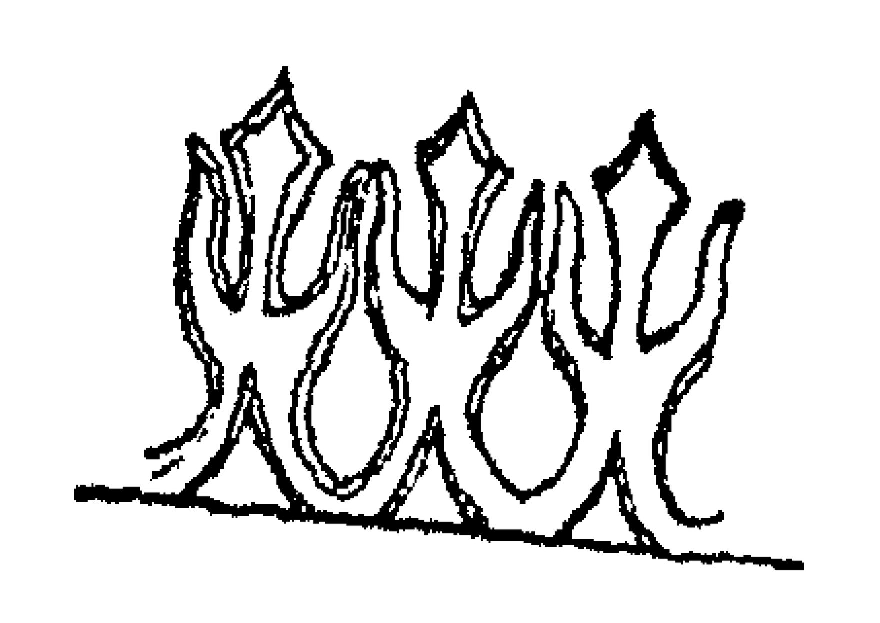


10A. Palermo, Palatina : Section.

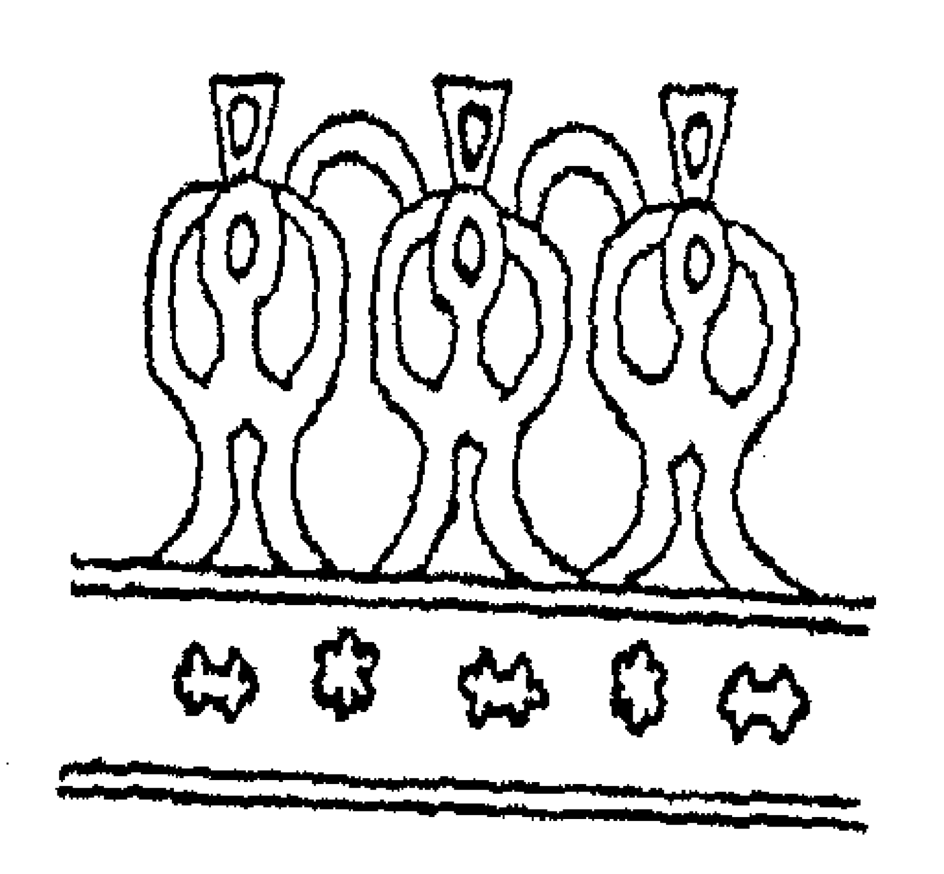
شكل (٦) قطاع داخل الكابلابلاتينا بباليرمو عن :
Ottodemus



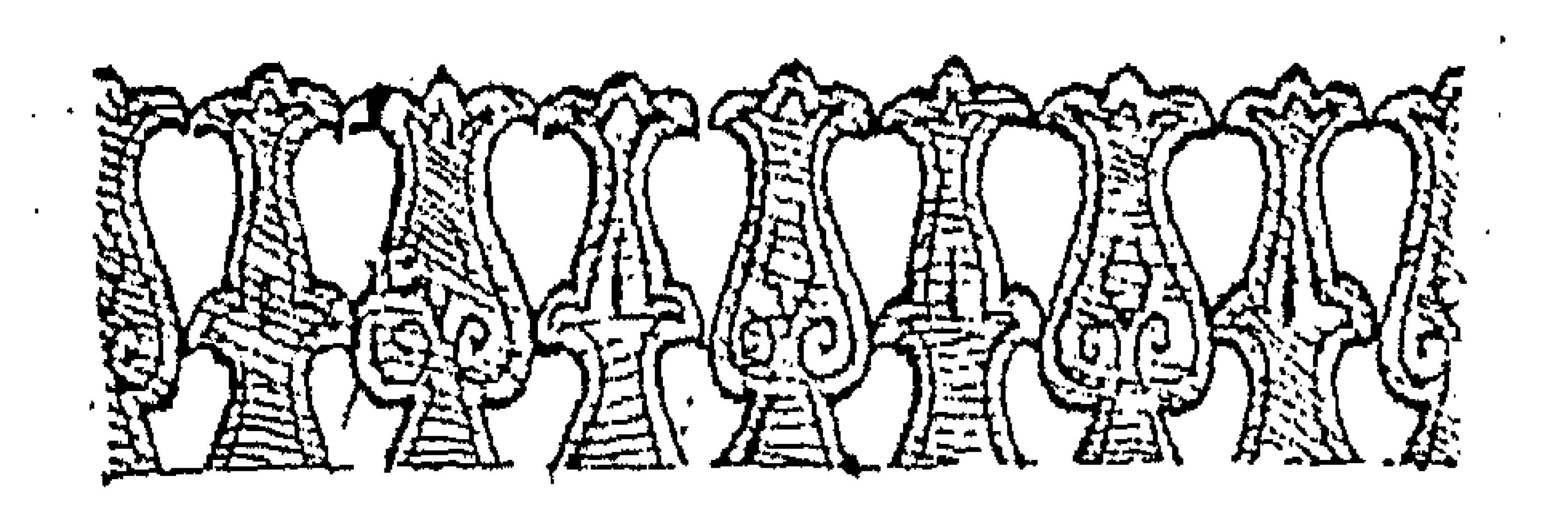
شكل (٧) زخارف فاطمية على سقف كنيسة الكابلاتينا بباليرمو عن :
Bellafiore



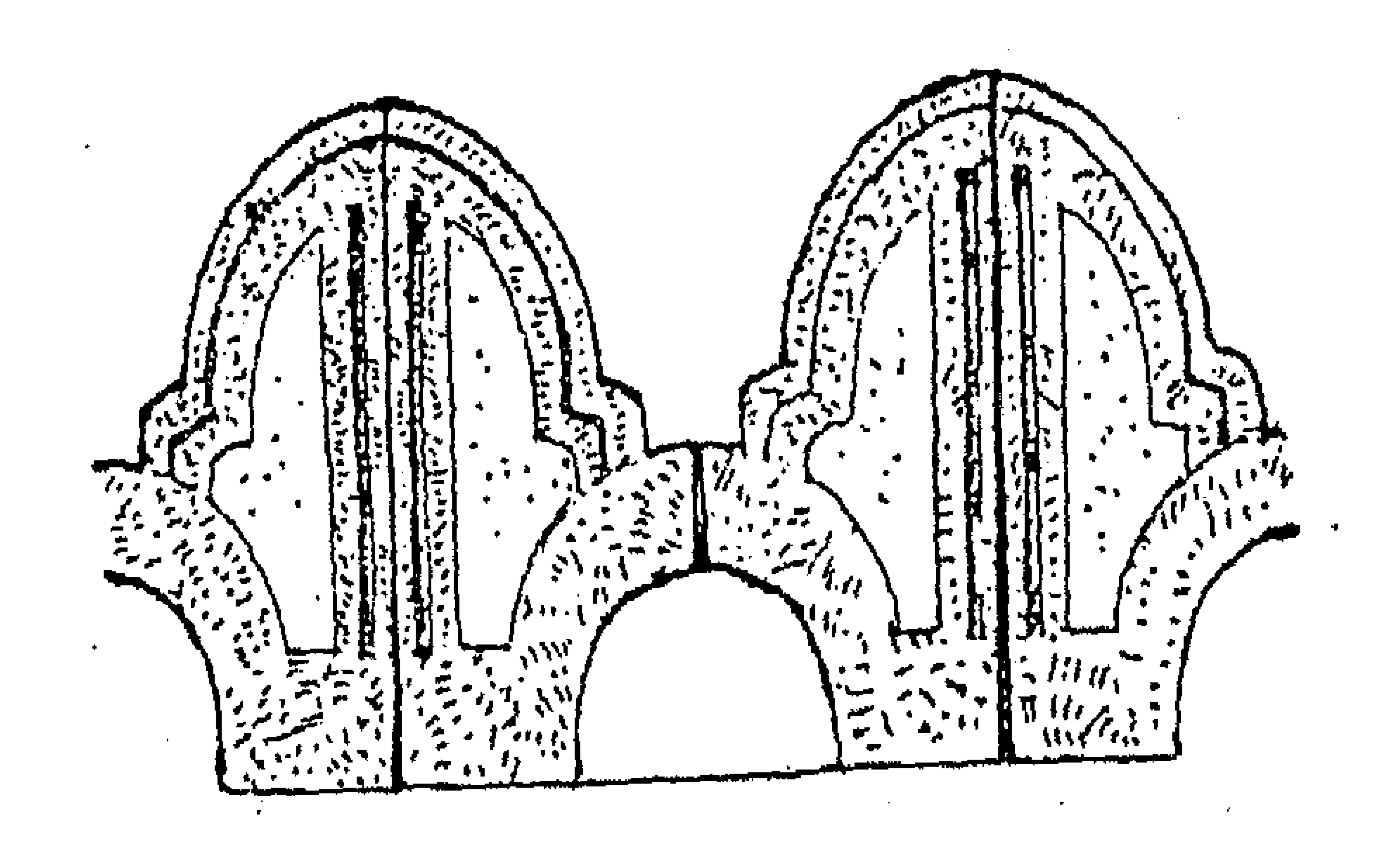
شكل (٨) تفريغ لشرفات بإحدى أبراج الكابلا بالاتينا (١١٣١ - ١١٤٠م) عن :
Jairazbhoy



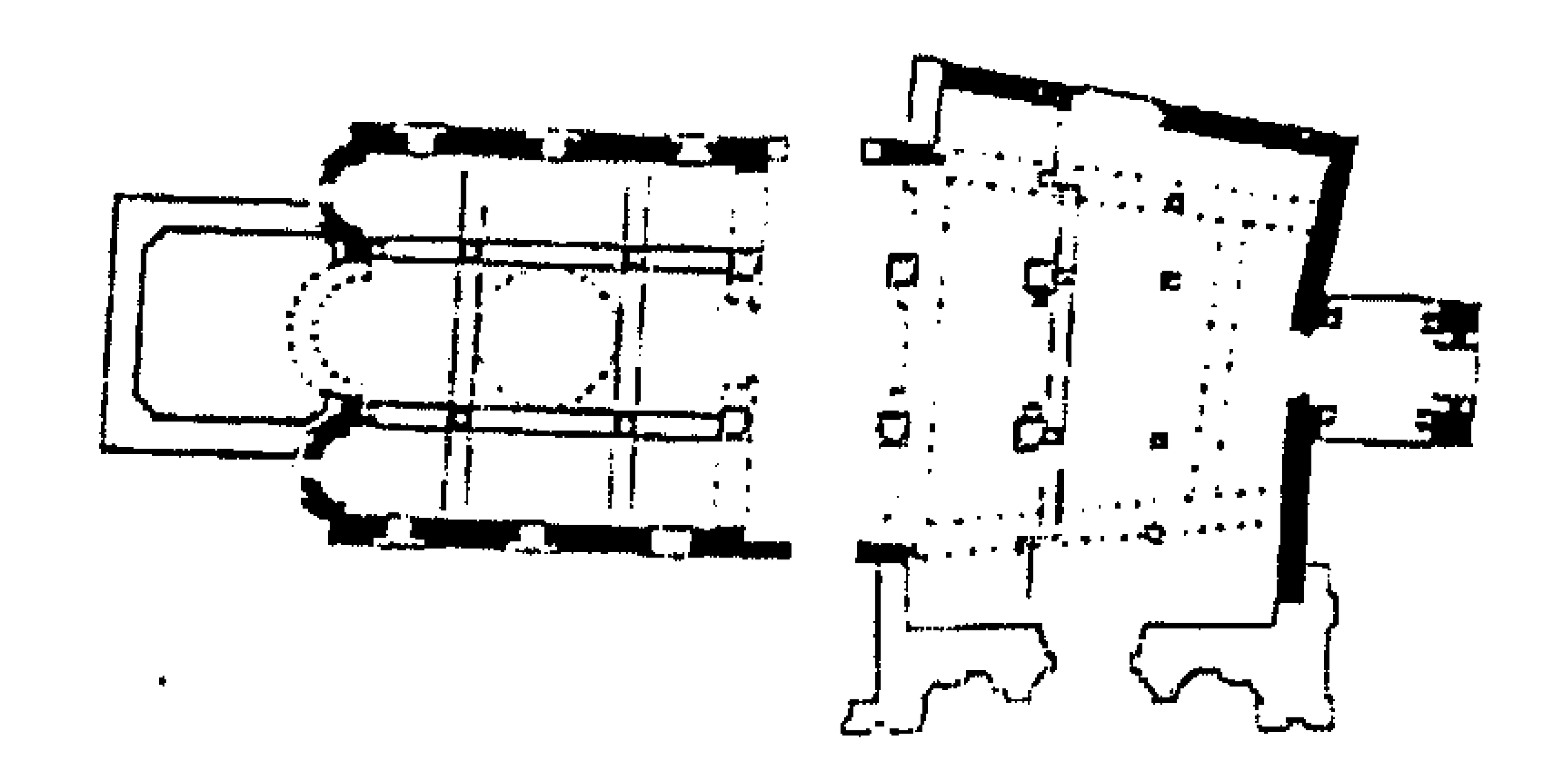
شكل(٩) تفريغ لشرفات بالمئذنة الغربية لمسجد الحاكم بأمر الله بالقاهرة
(٣٩٣-٤٠٣هـ) عن :
Jairazbhoy



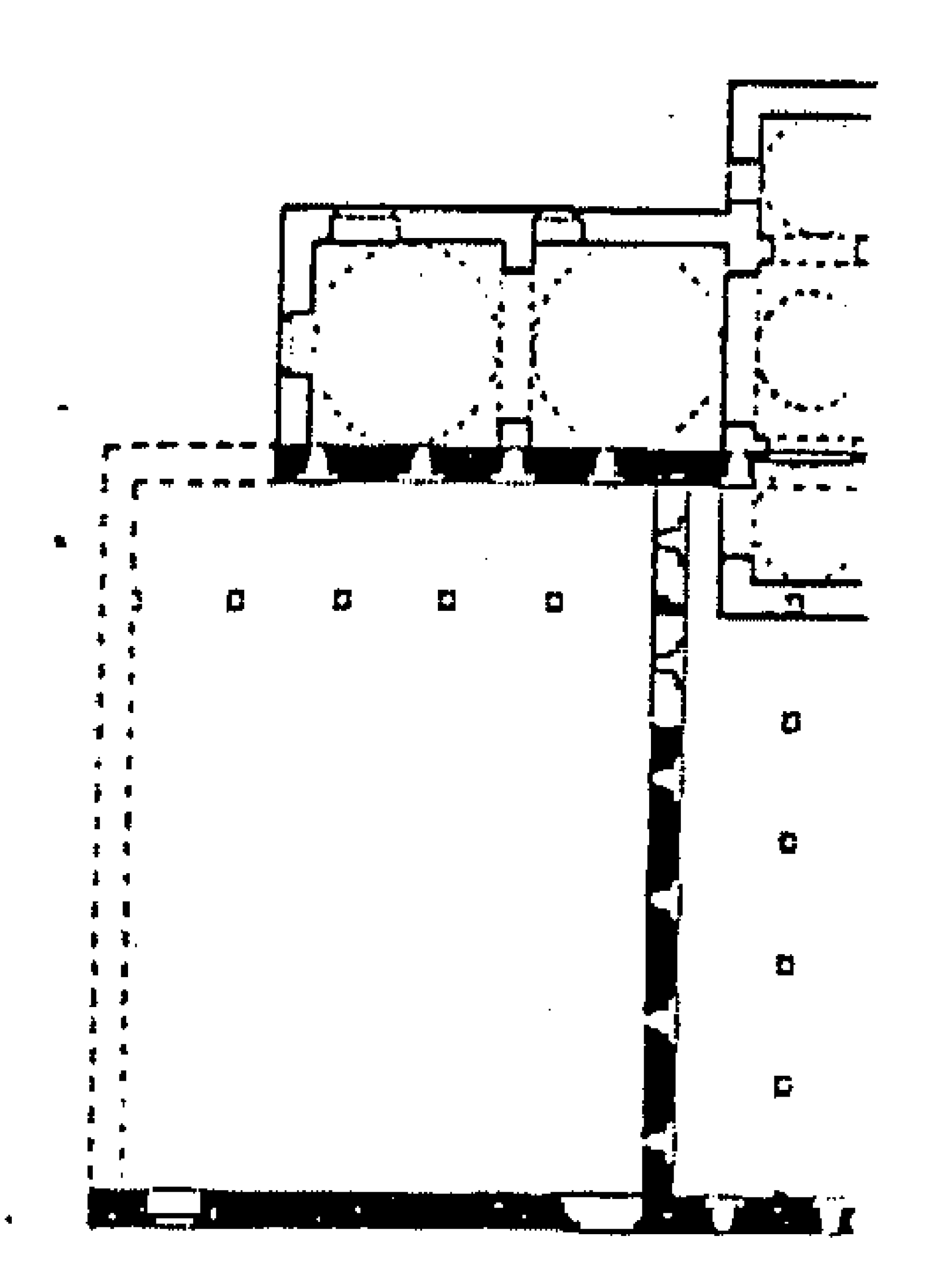
شكل (١٠) شرفات بالمسجد الكبير بالقيروان عن :
Marcais



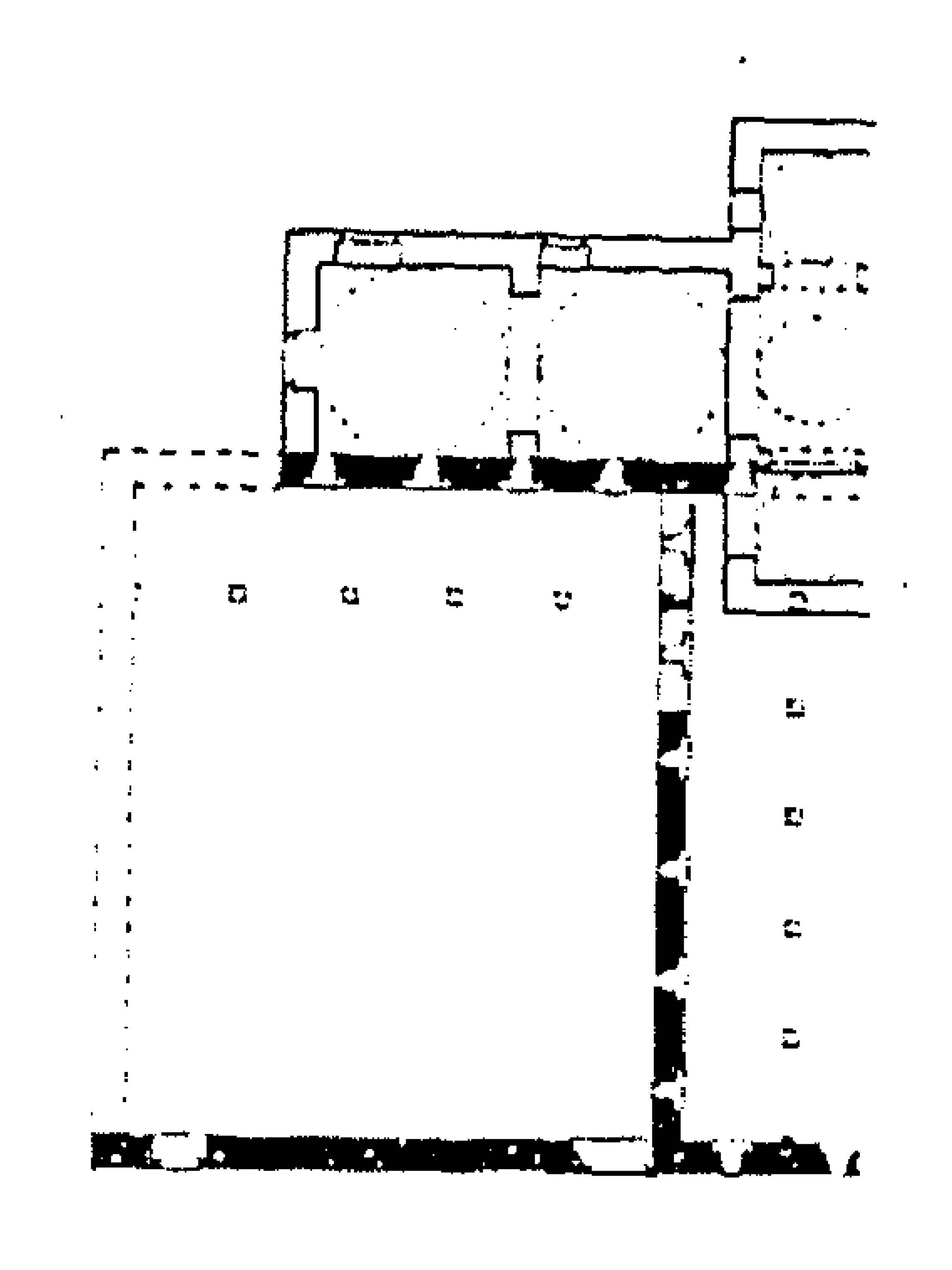
شكل (١١) شرفات بقلعة بنى حماد عن :
Marcais



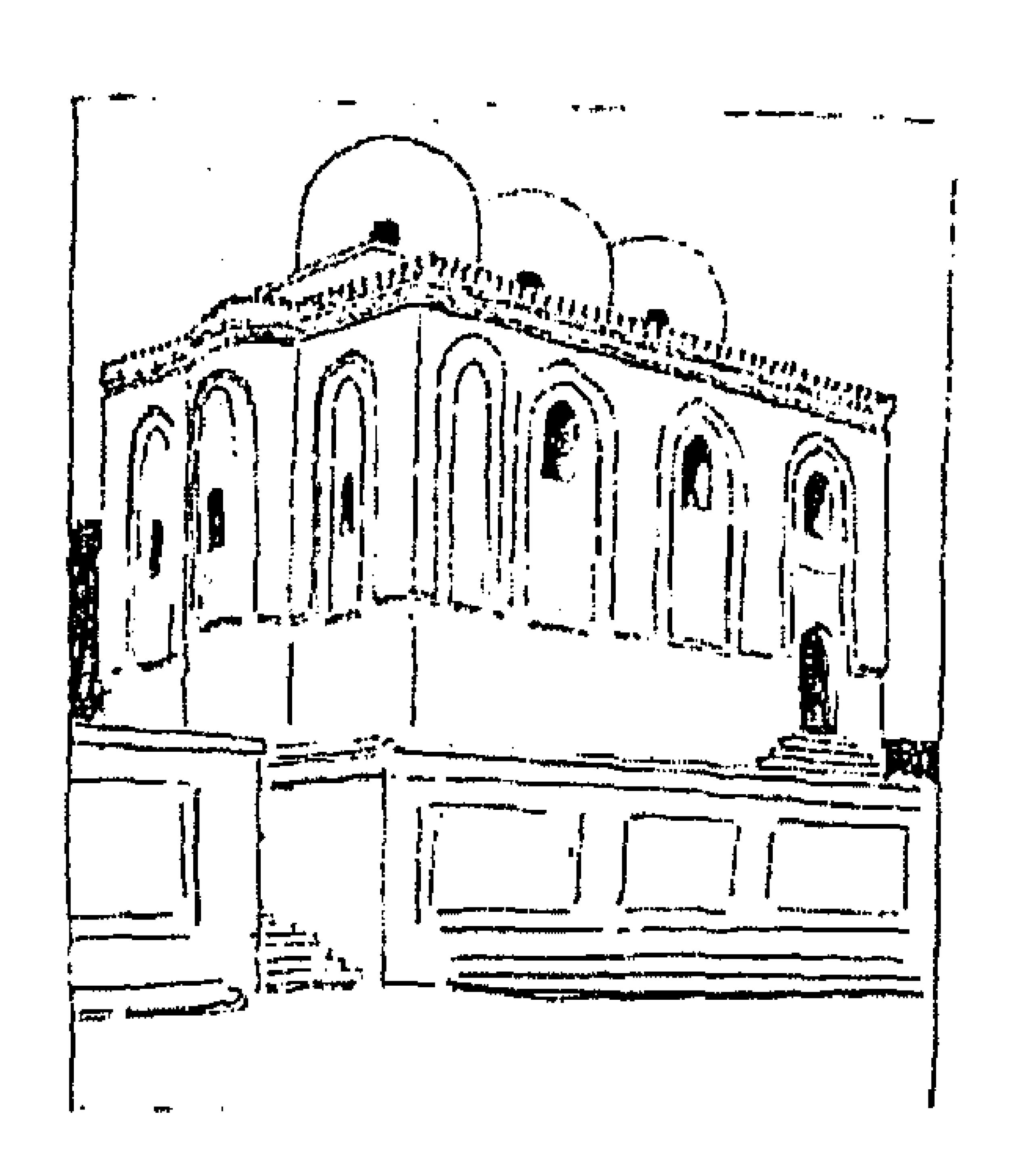
شكل (١٢) مسقط أفقى لكنيسة المارتورانا (١١٣٦م/٥٣١هـ) عن :
Bellafiore



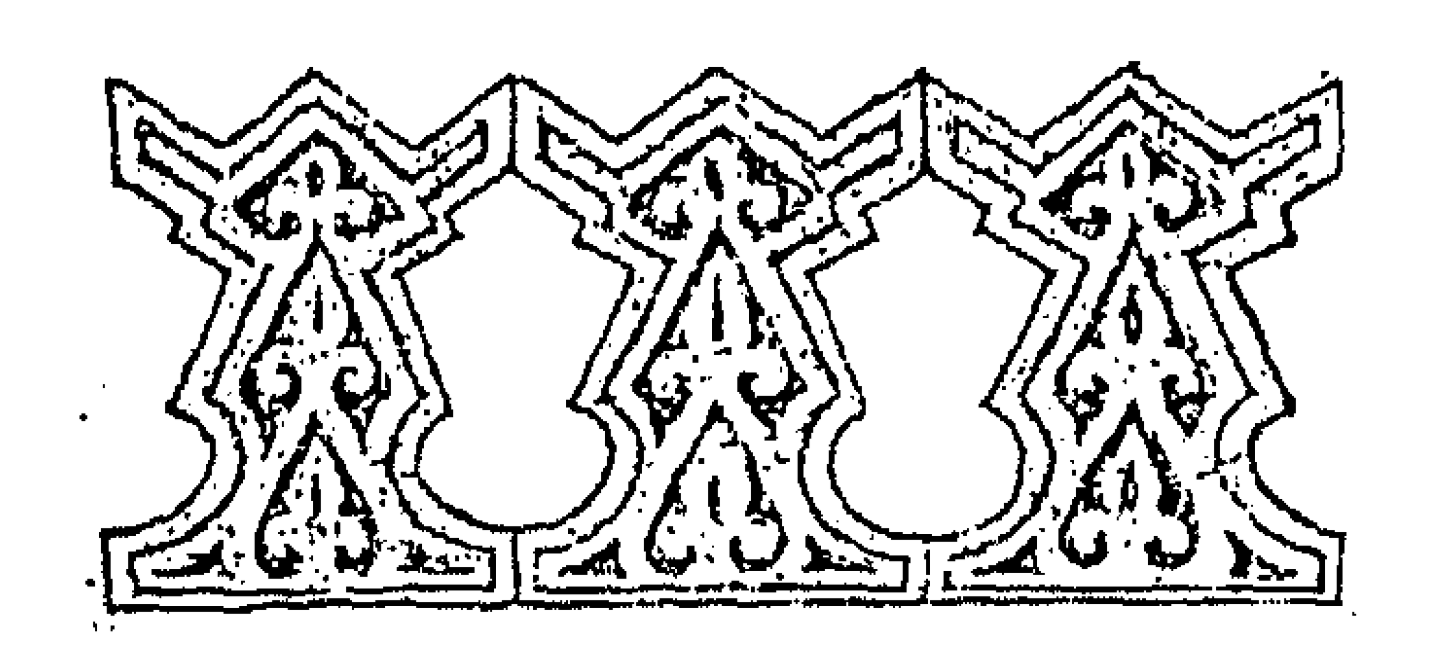
شكل (١٣) مسقط أفقى لكنيسة القديس جيوفانى بپالرمو (القرن ١٢م) عن :
Bellafiore



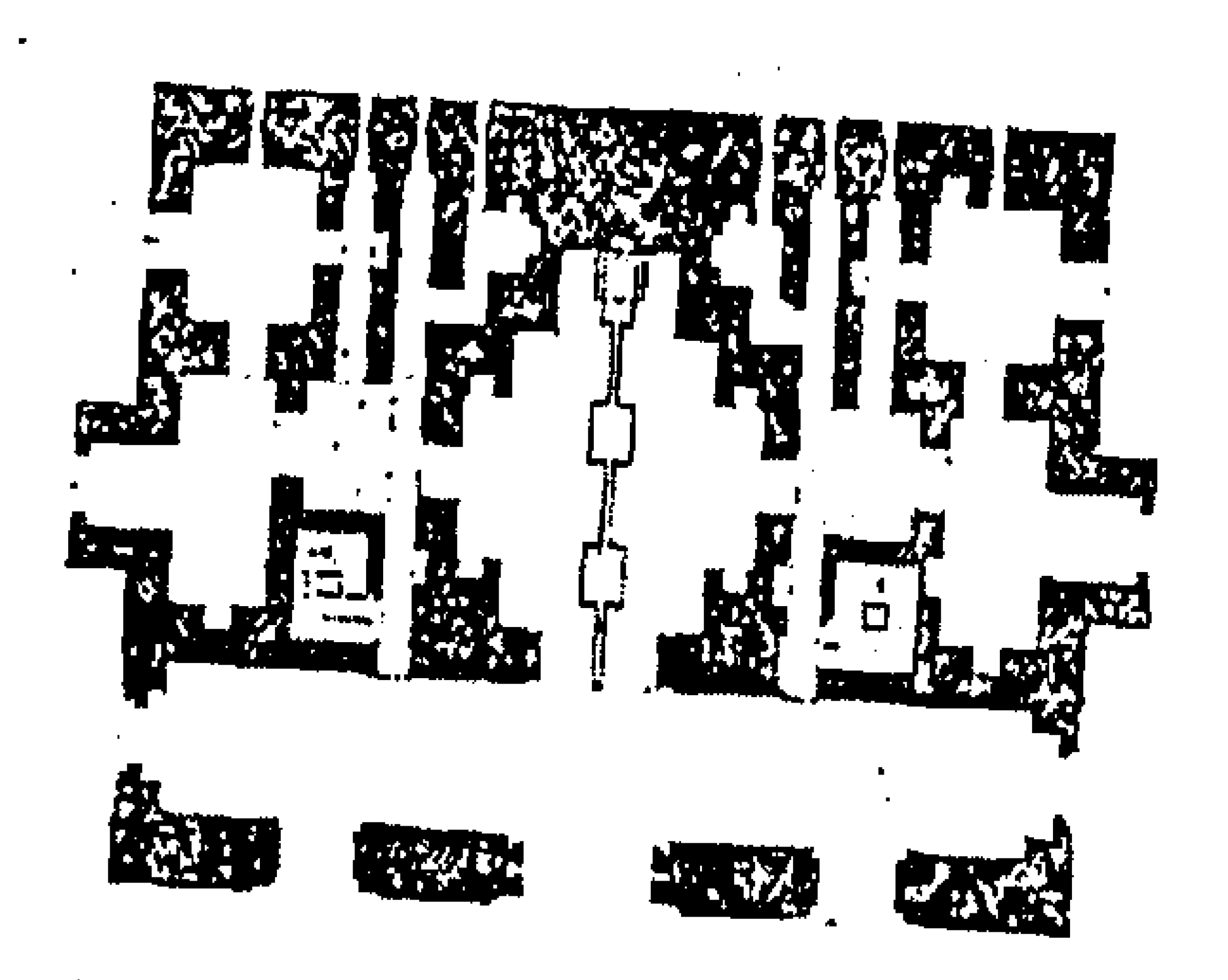
شكل (١٣) مسقط أفقي لكنيسة القديس جيوفاني بالرمو (القرن ١٢م) عن :
Bellafiore



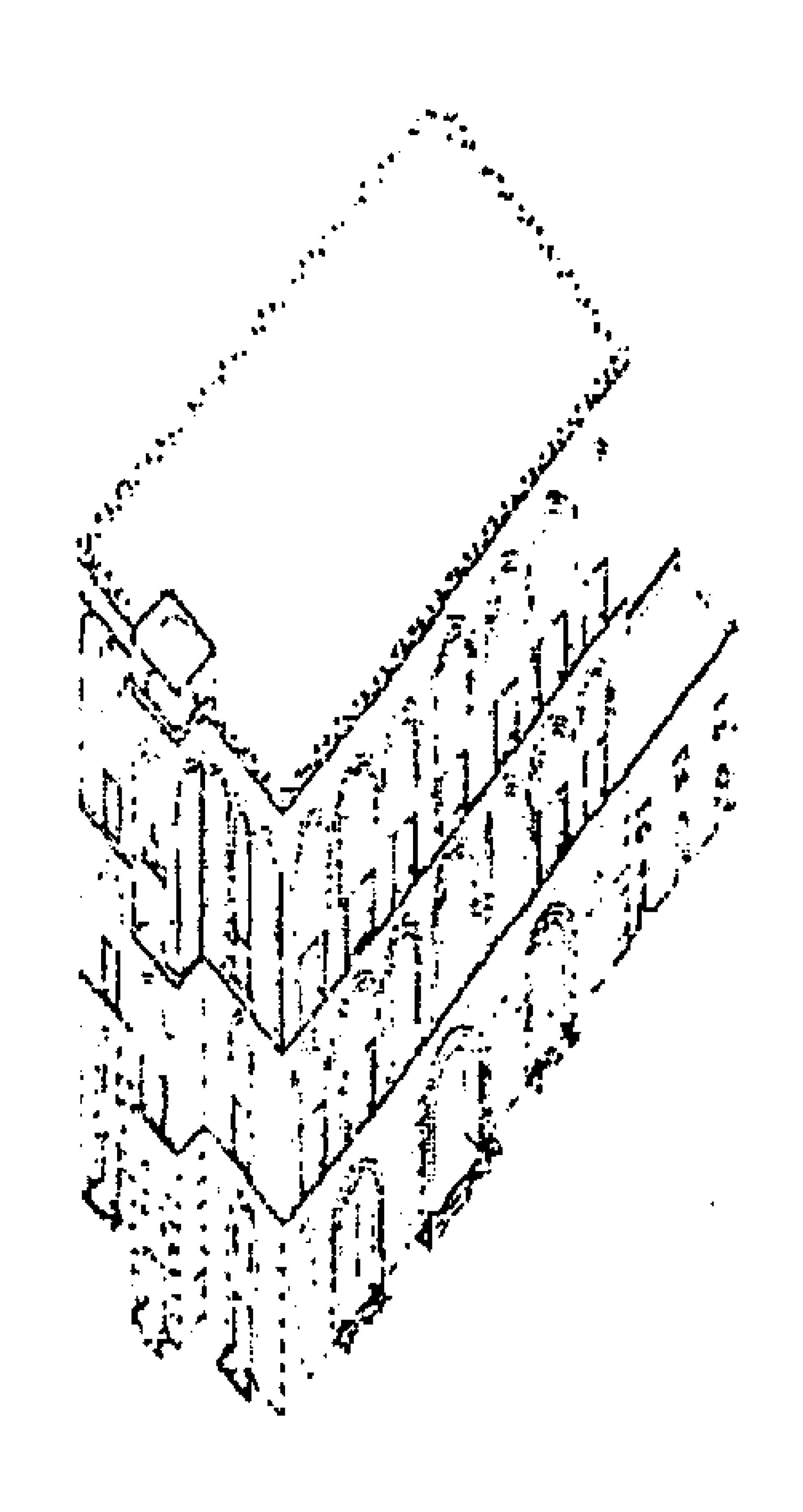
شكل (١٥) تفريغ لواجهات كنيسة القديس كتالدو ببالرمو (١١٥٤م) عن :
Marcais



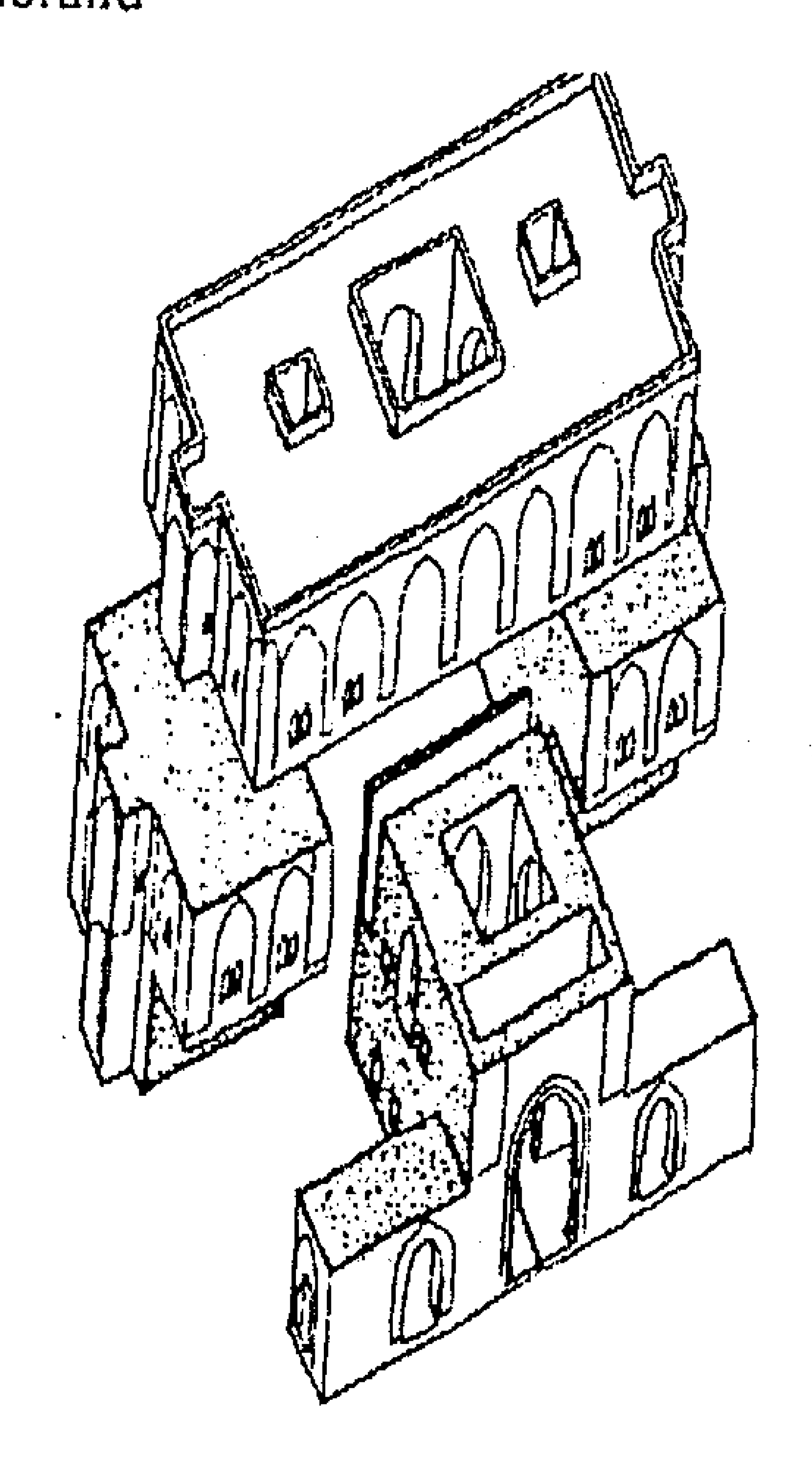
شكل (١٦) تفريغ لشرفات كنيسة القديس كتالدو ببالرمو (١١٥٤م) عن :
Marcais



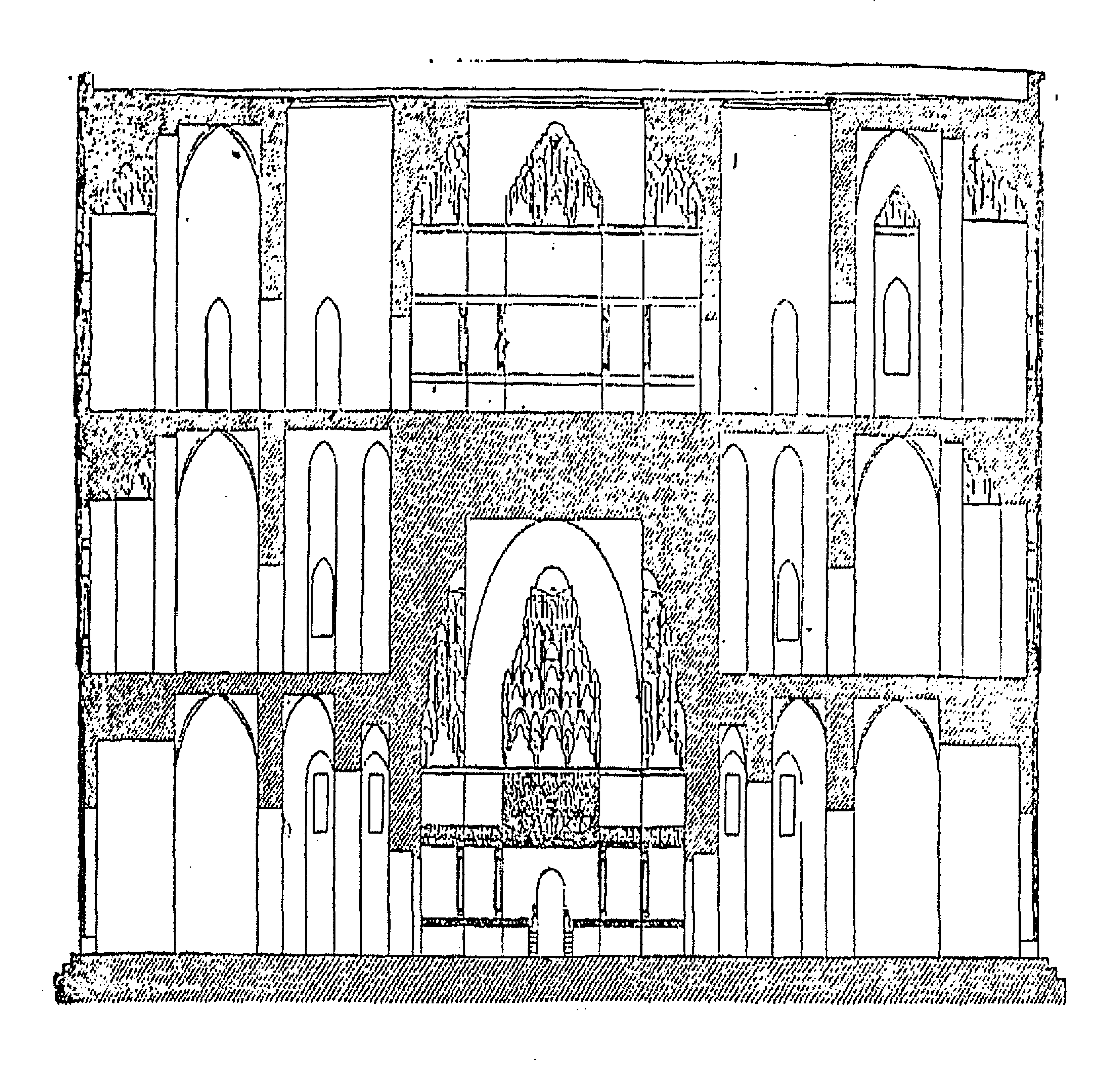
شكل (١٧) مسقط أفقي لقصر العزيزة ببالرمو (١١٦٥ - ١١٨٠م) عن :
Marcais



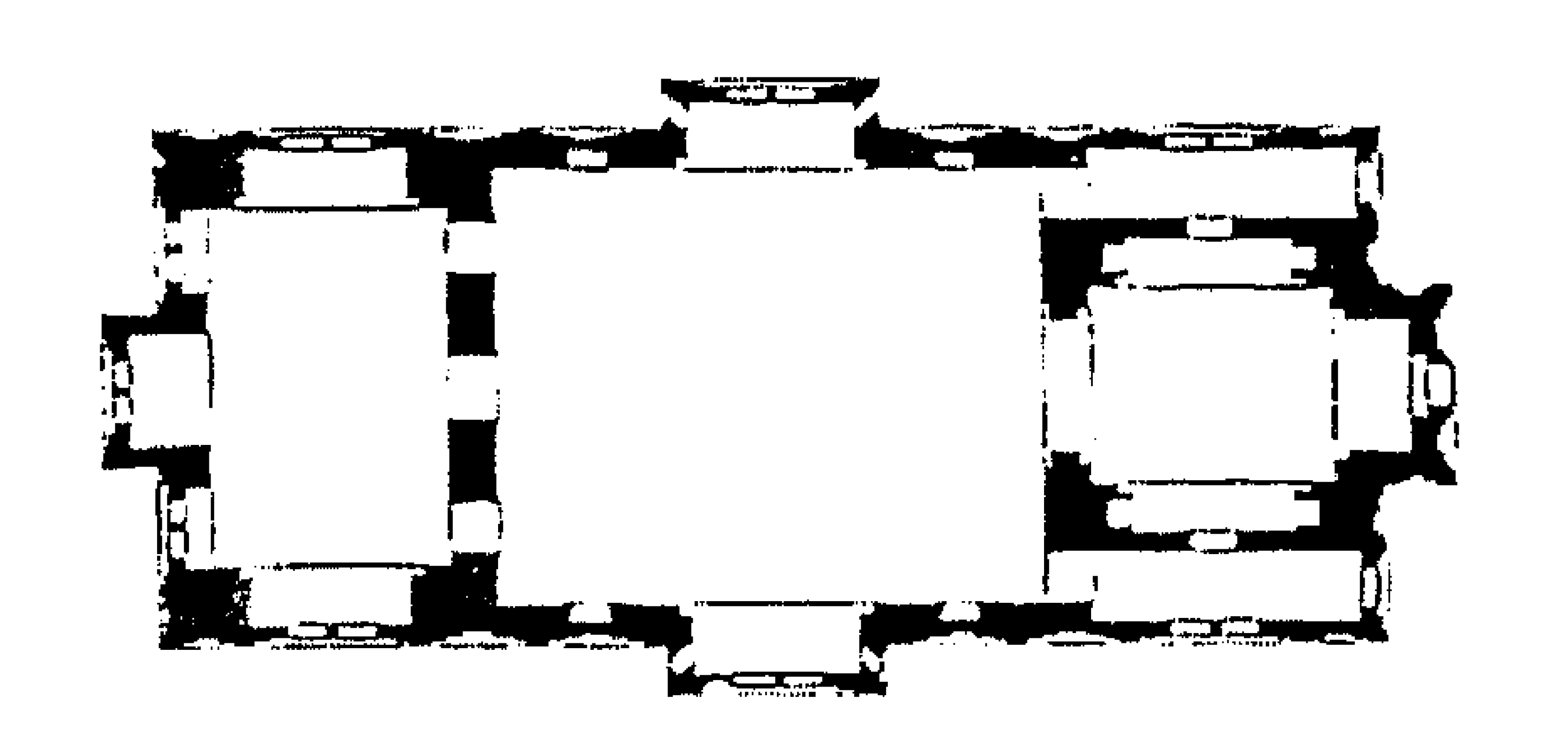
شكل (١٨) منظور لواجهتى قصر العزيزة عن :
Hillenbrand



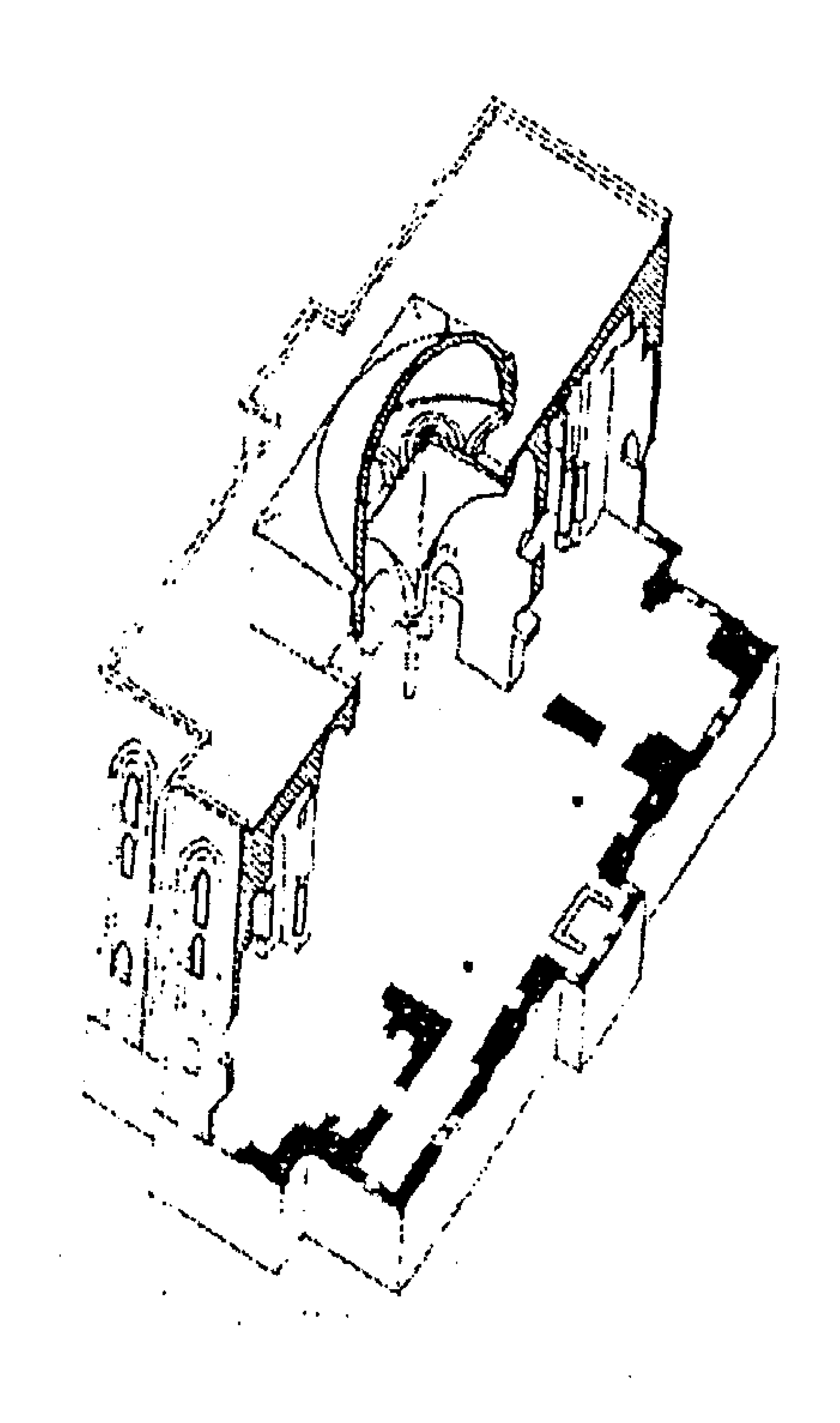
شكل (١٩) منظور لواجهة قصر العزيزة ببالرمو (١١٦٥ – ١١٨٠م) عن :
Hillenbrand



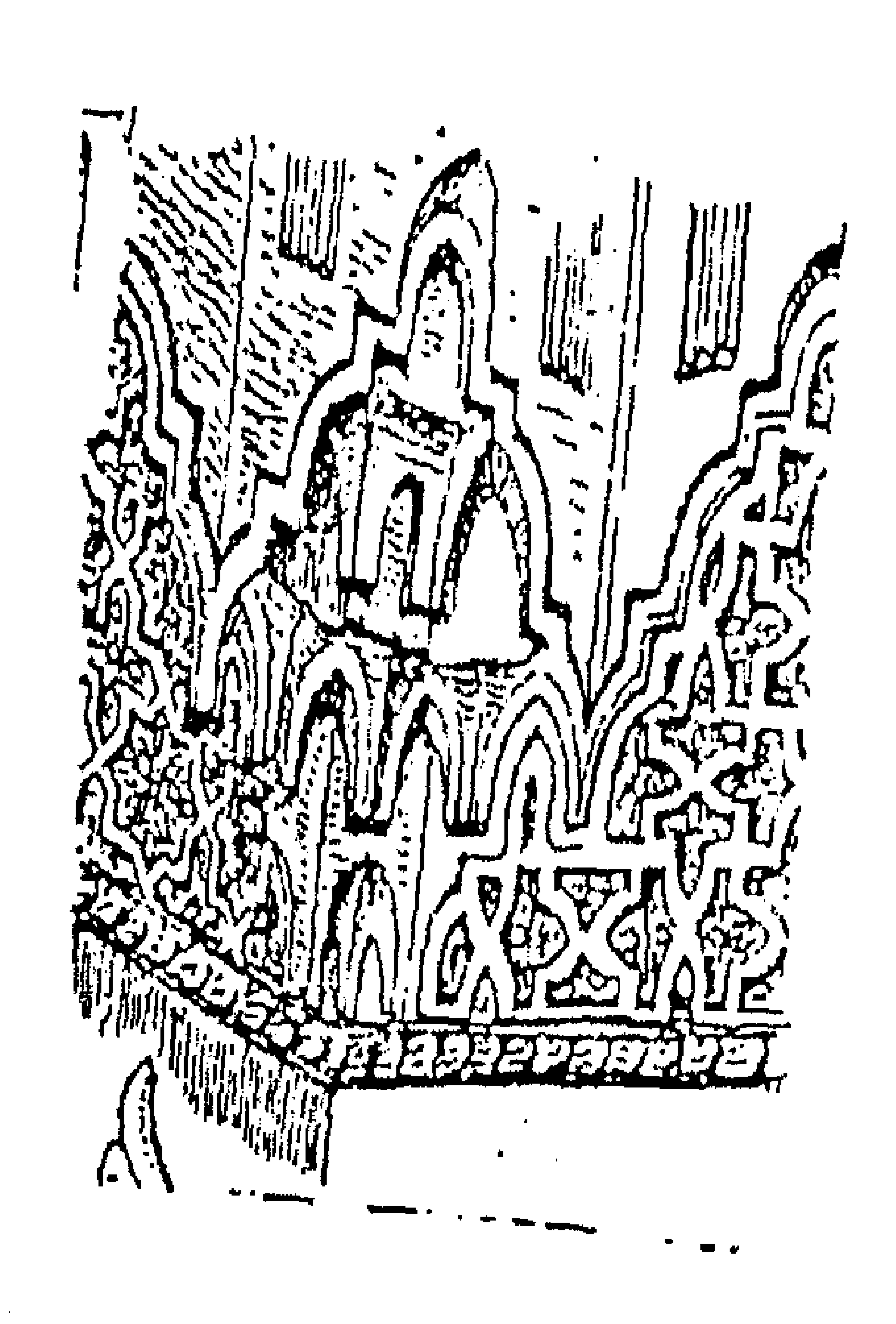
شكل (٣٥) قطاع داخلى بقصر العزيزة بباليرمو (١١٦٥ - ١١٨٠م) عن :
Jairazbhoy



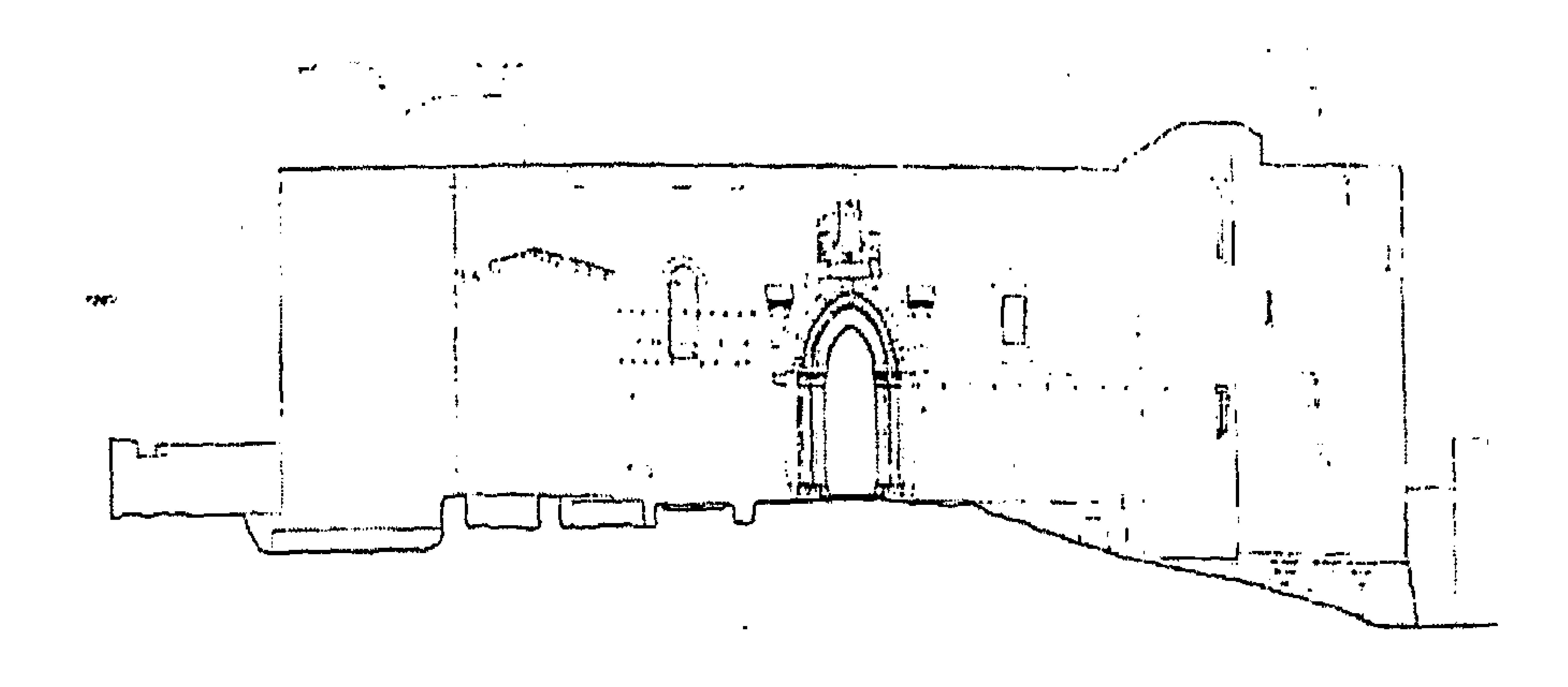
شكل (٣١) قصـر القبـة ببالرمو عن :
Bellafiore

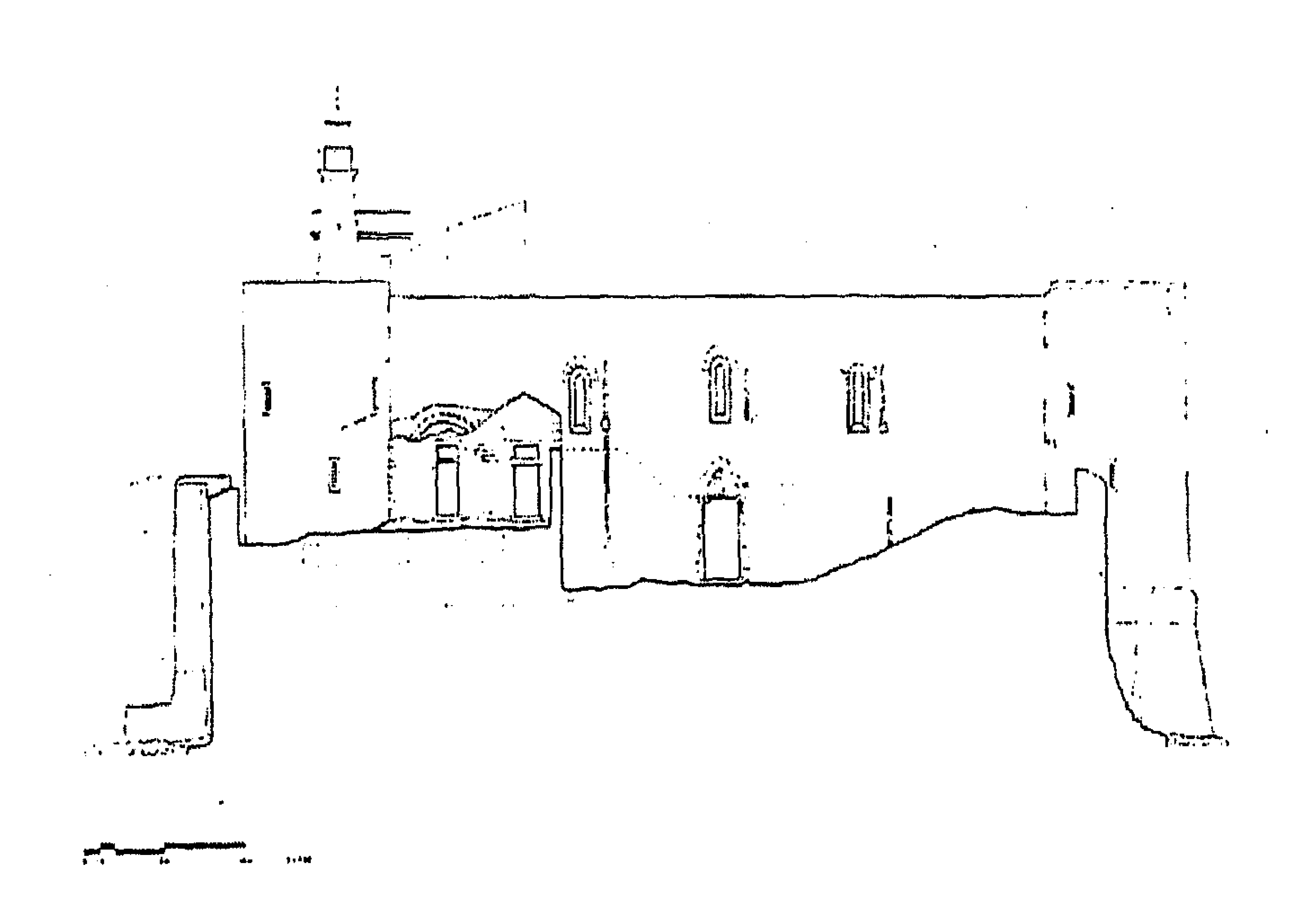


شكل (٣٢) قطاع ومسقط أفقى بقصر القبة ببالرمو عن :
Hillenbrand

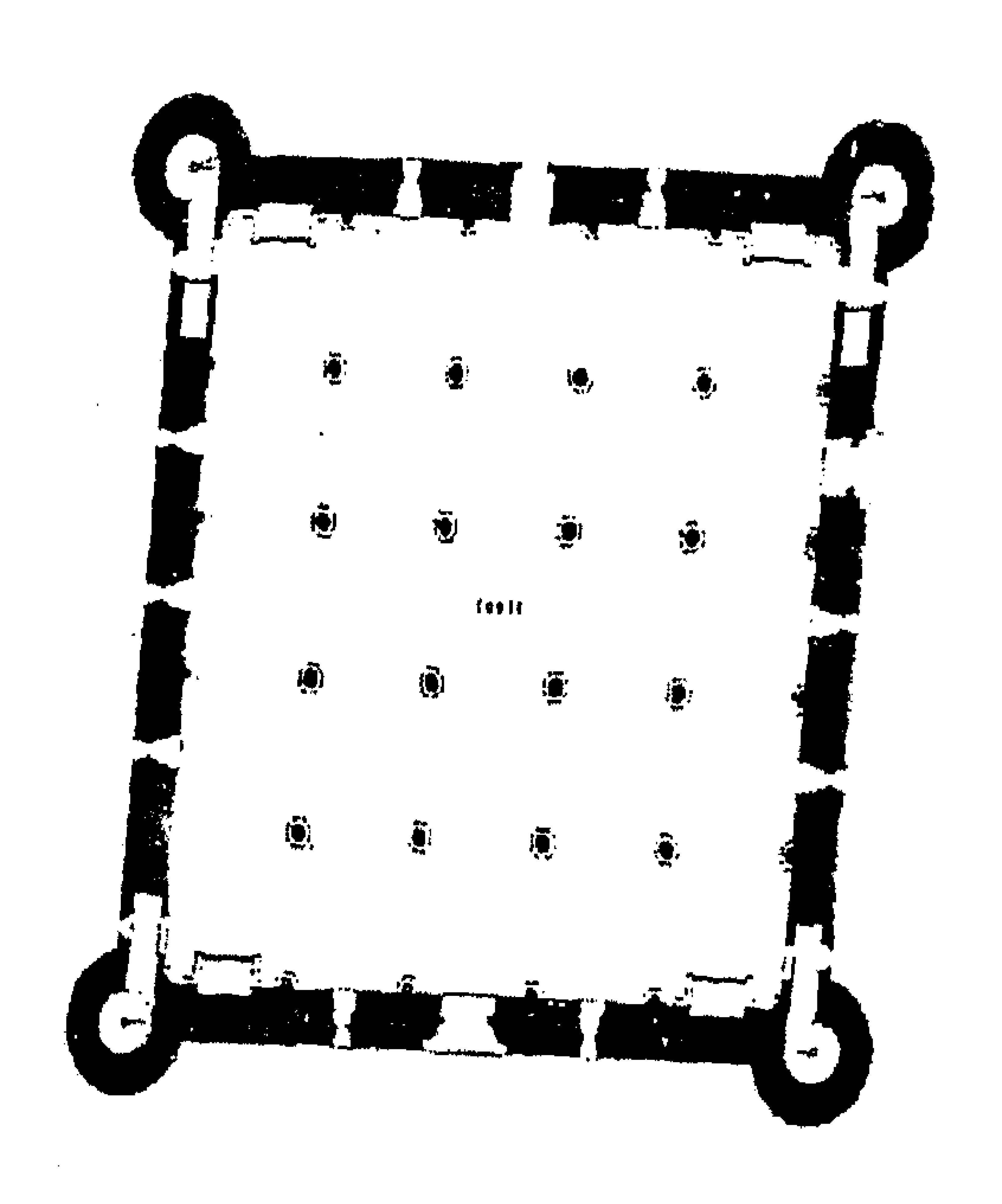


شكل (٢٣) تفريغ لمنطقة الانتقال بقصر القبة عن :
Marcais

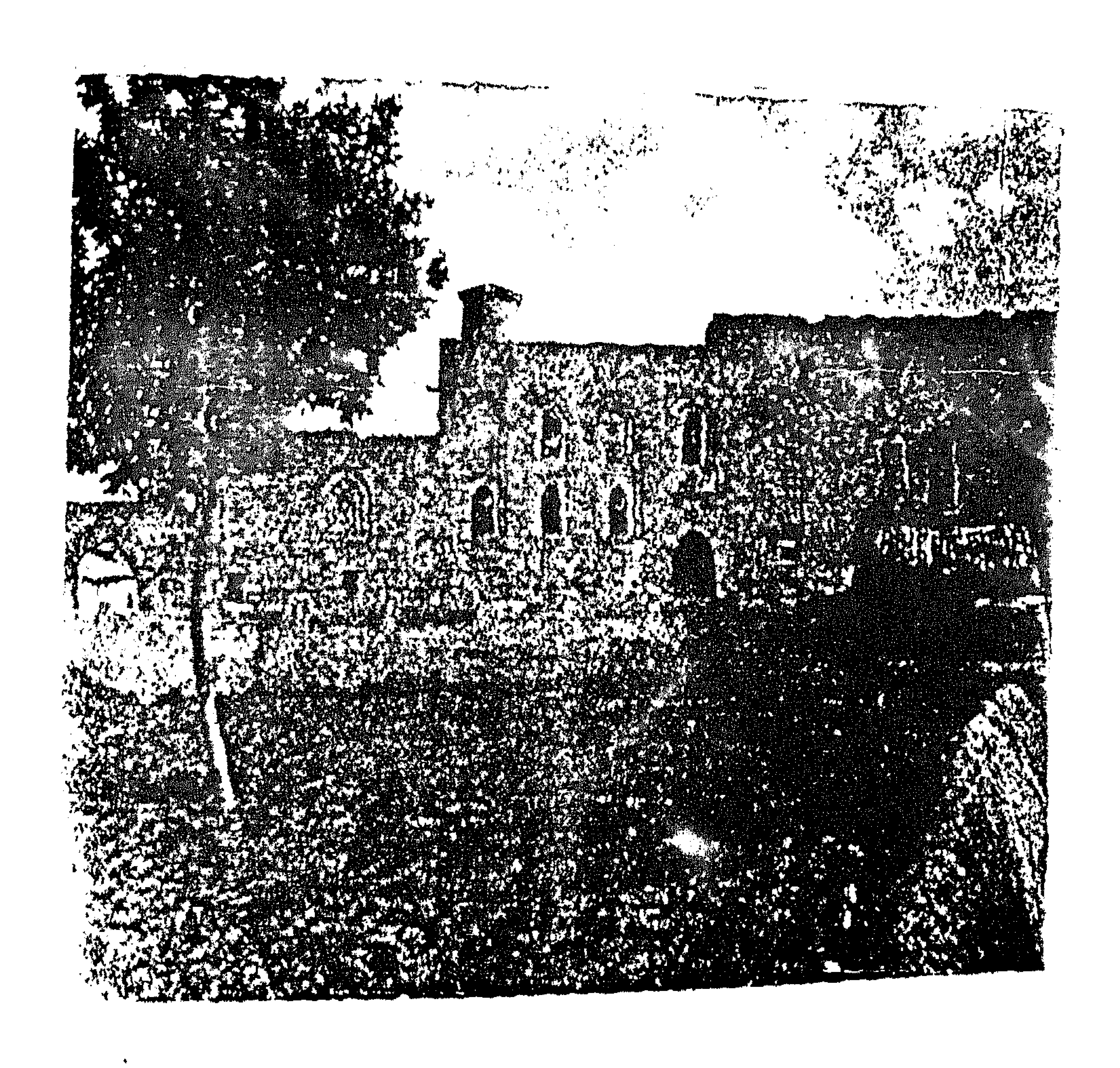




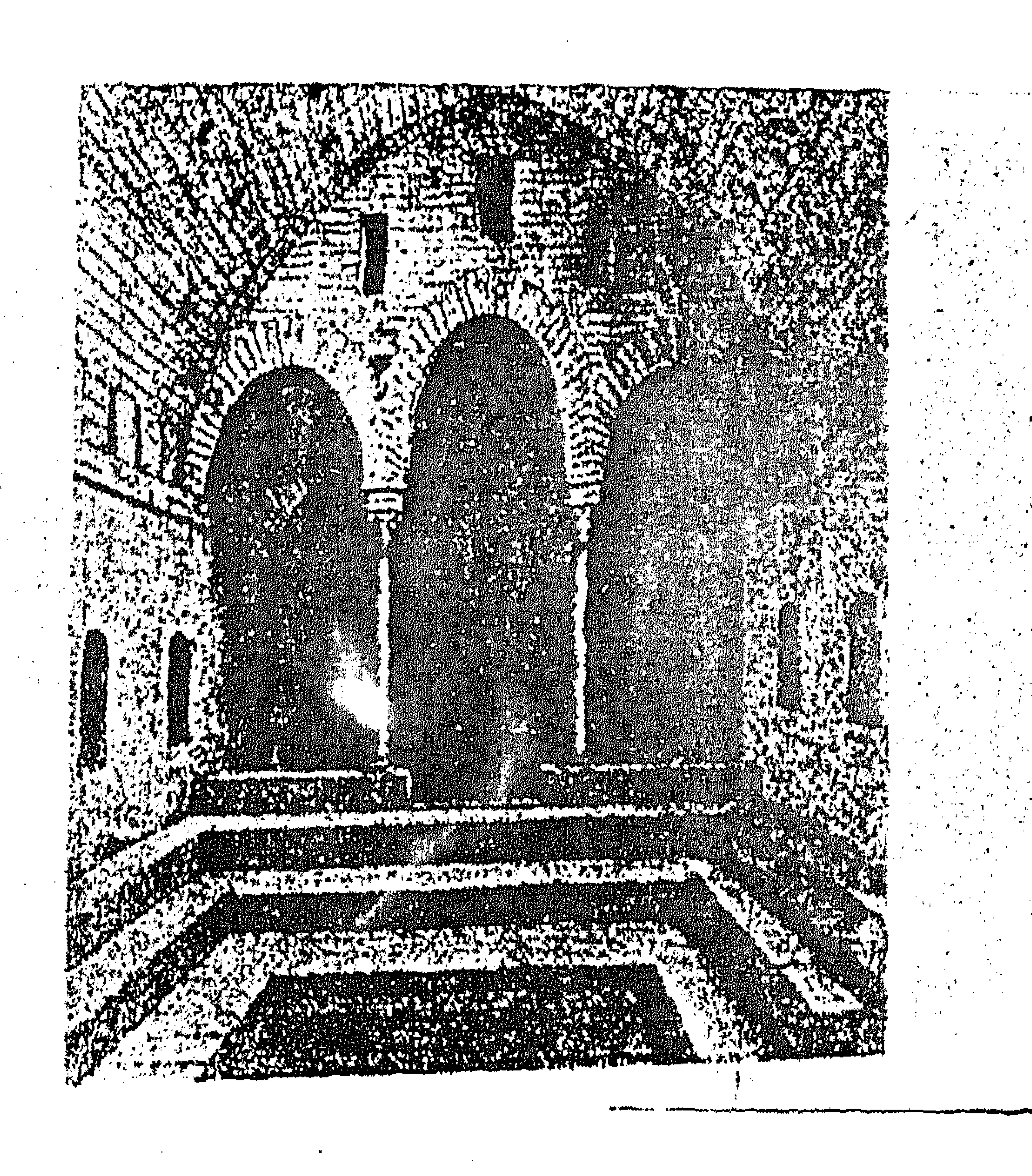
شكل (٢٤) واجهتان بقلعة منيسية Maniace – سراقوسة (١٢٣٢ – ١٢٣٩م) عن :
Distefano



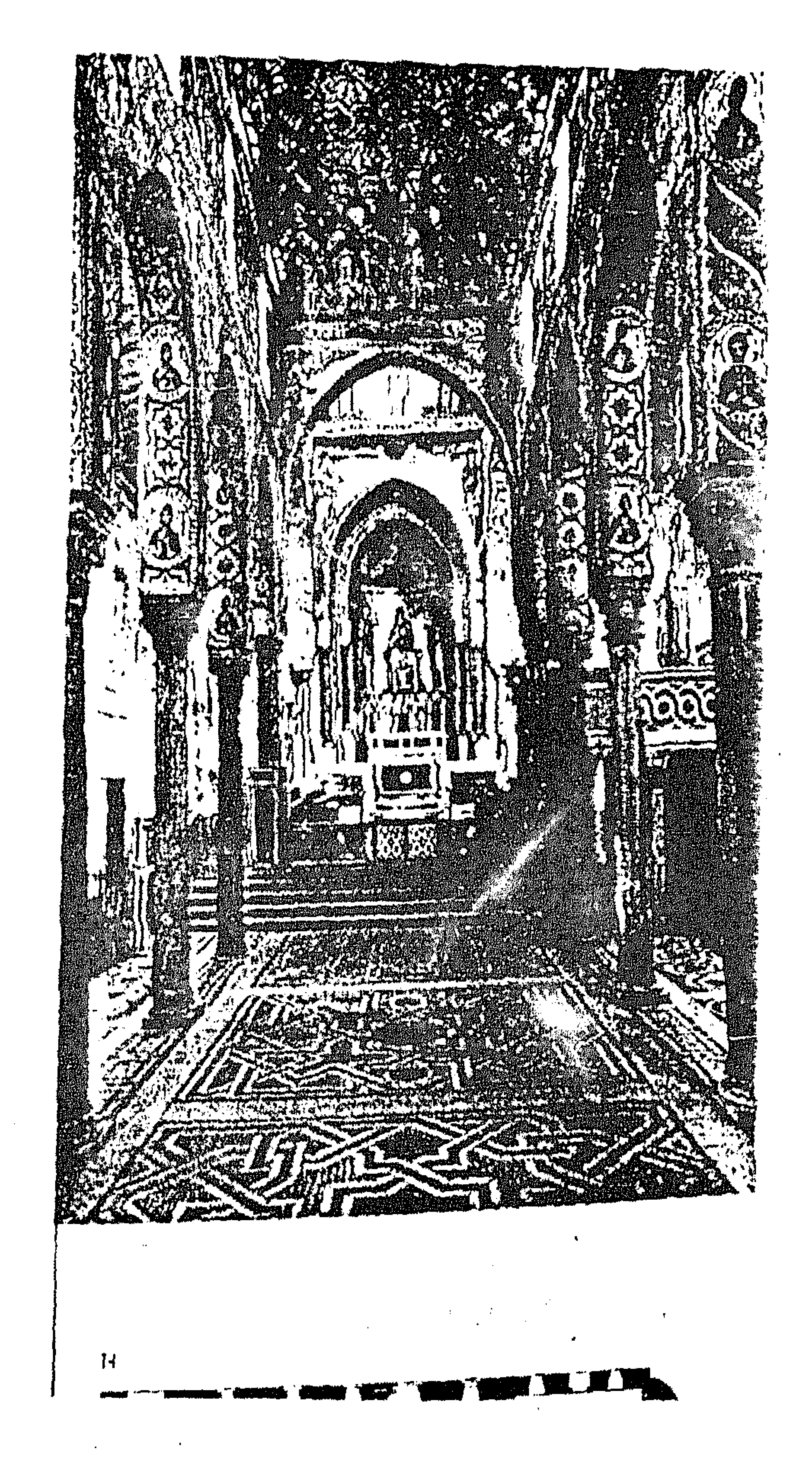
شكل (٣٥) مسقط أفقى بقلعة منيسية - سراقوسة (١٢٣٢ - ١٢٣٩م) عن :
Bellafiore



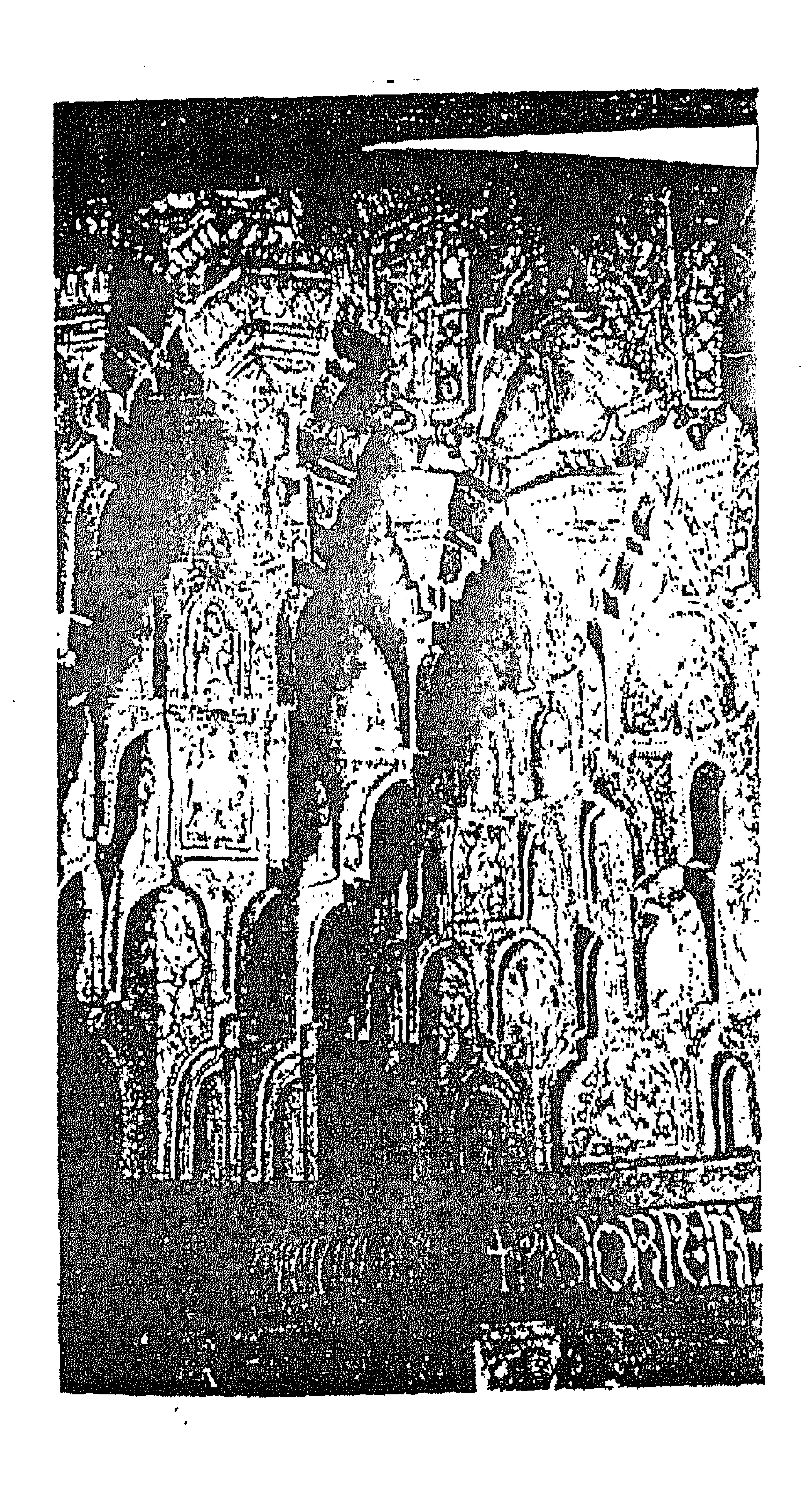
لوحة (أ) منظر عام لقصر الفوارة ببالرمو (٩٩٧ - ١٠١٩م) عن :
Bellafiore



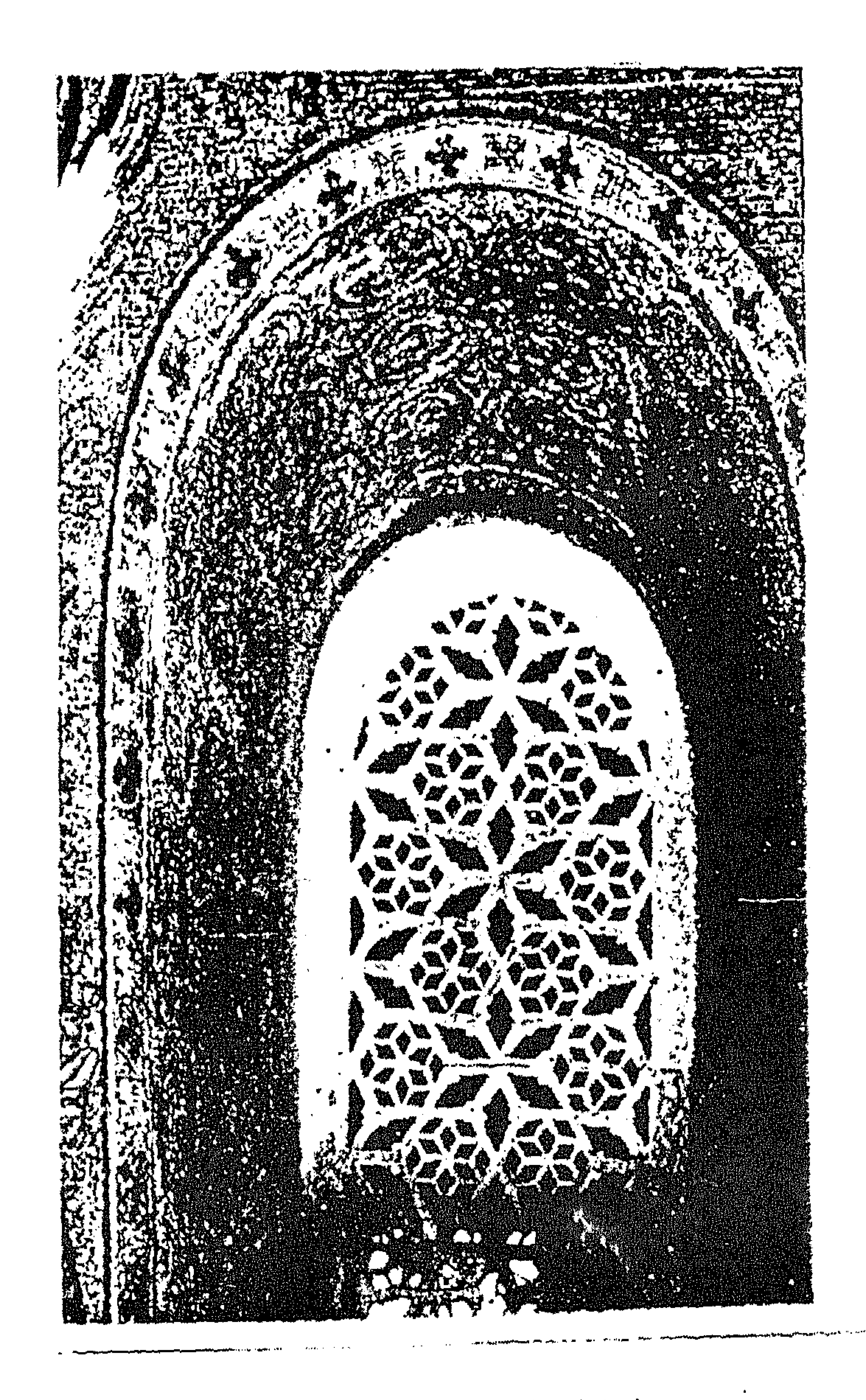
لوحة (٢) داخل قصر الفوارة عن :
Bellafiore



لوحة (٣) داخل كنيسة الكابلاتينا بباليرمو (١١٣١ - ١١٤٠م) عن :
Bellafiore

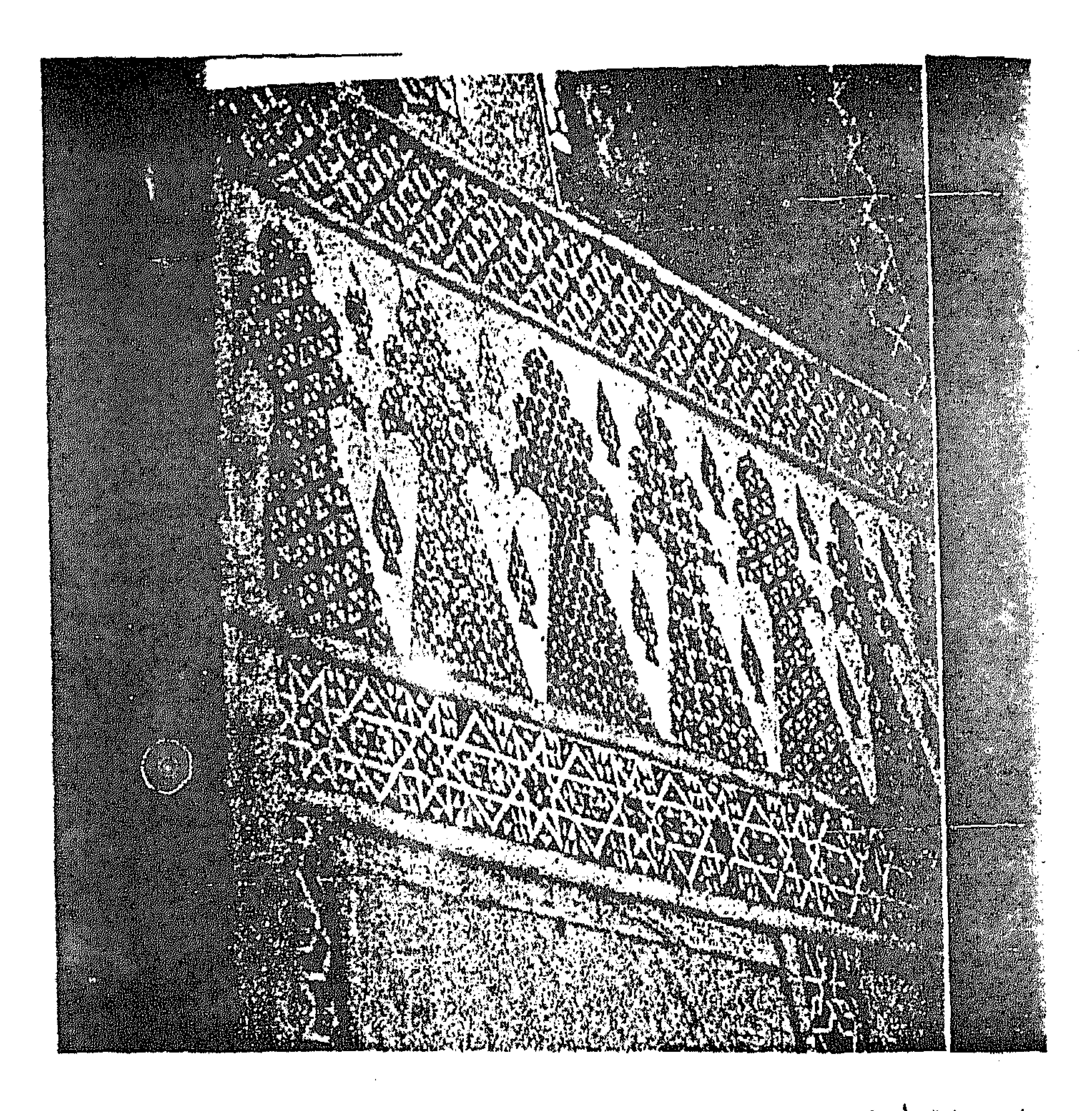


لوحة (٤) جانب من سقف الكابلاتينا بالرمو (١١٣١ - ١١٤٠م) عن :
Uberto Bizzitano ; La Cultura Araba Nella Sicilia, Parte (827-948), 1961.

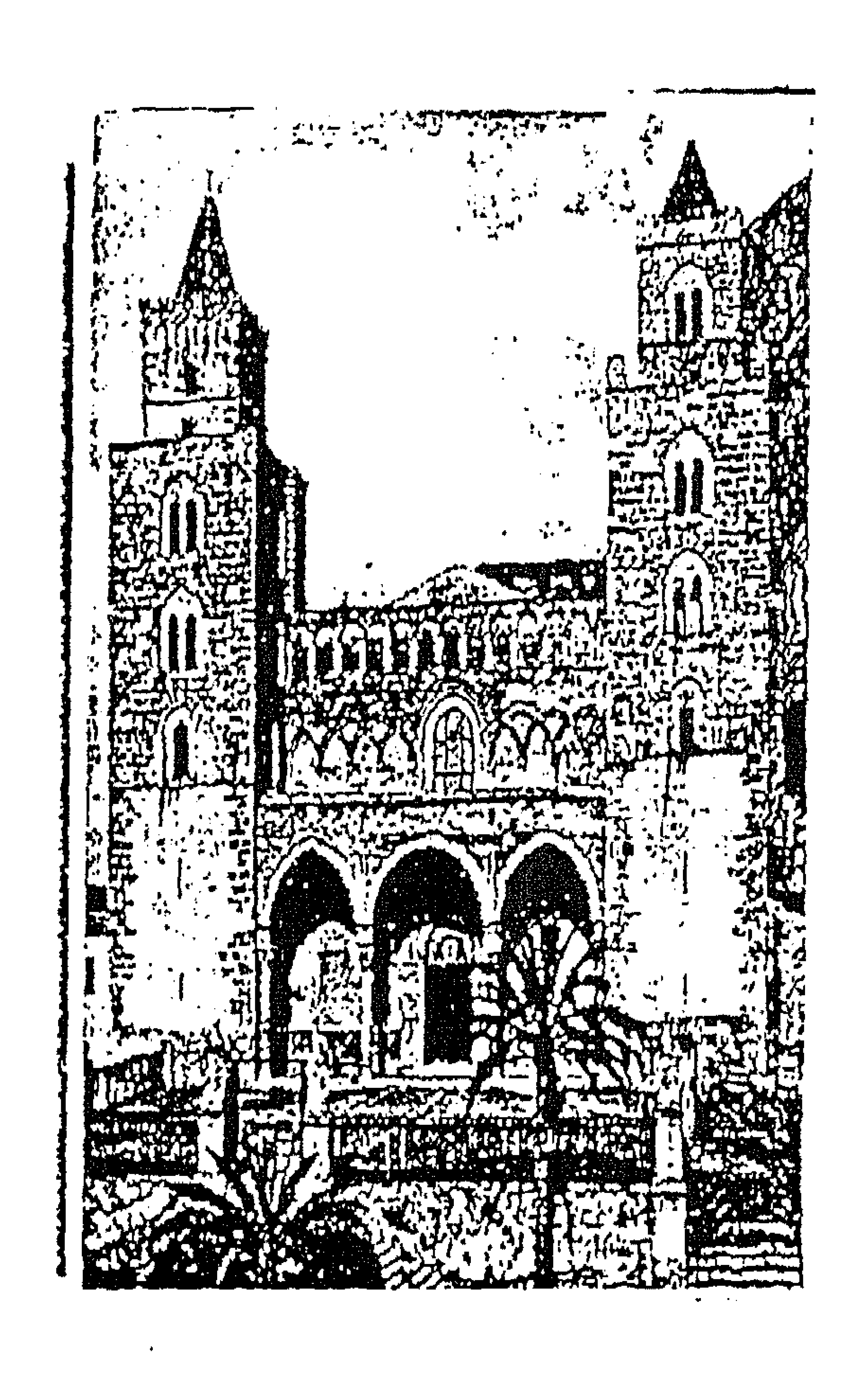


لوحة (٥) نافذة جصية بالكابلابلاتينا عن :

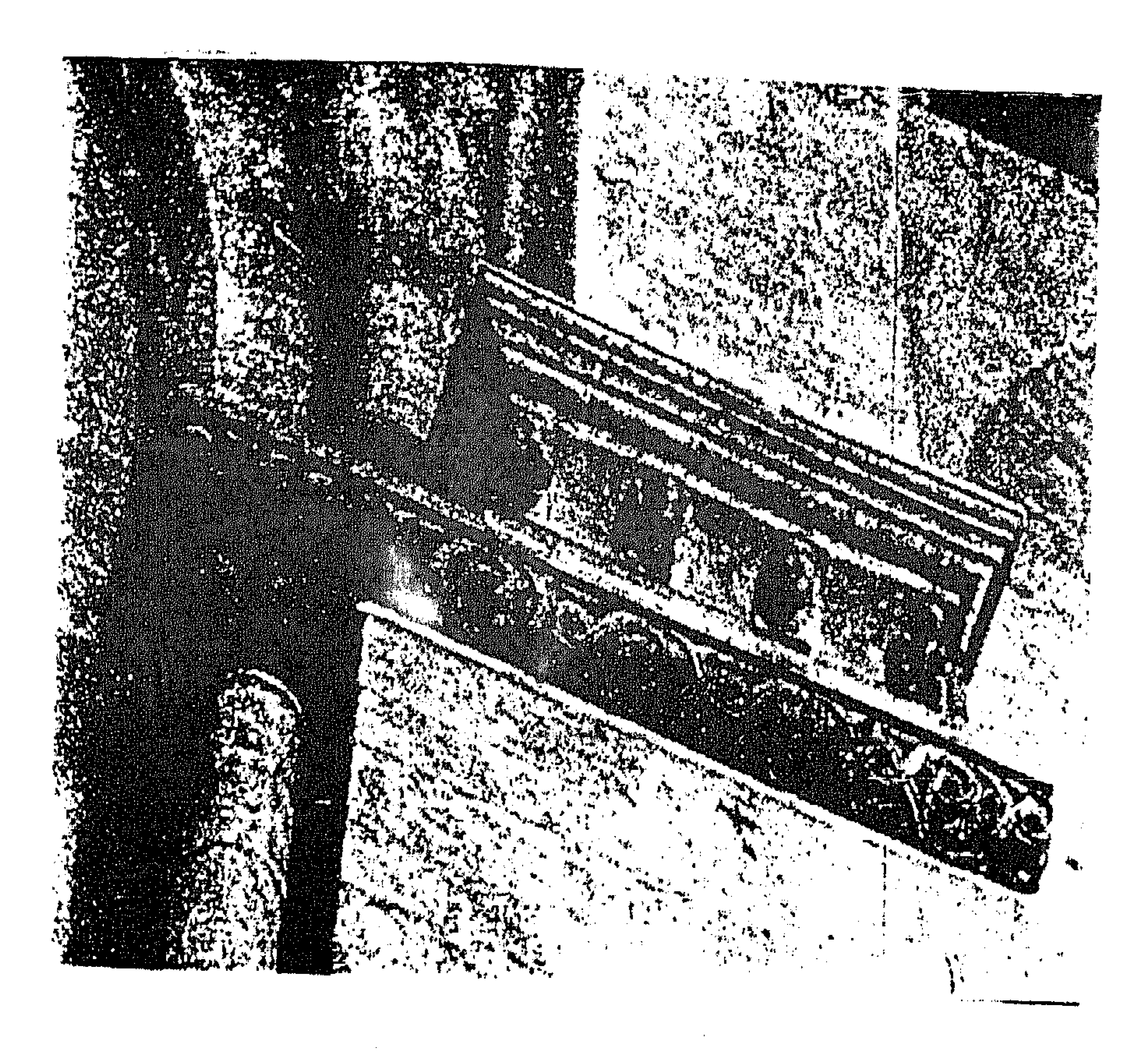
Ottodemus; The Mosaics of Norman Sicil, London, 1949.



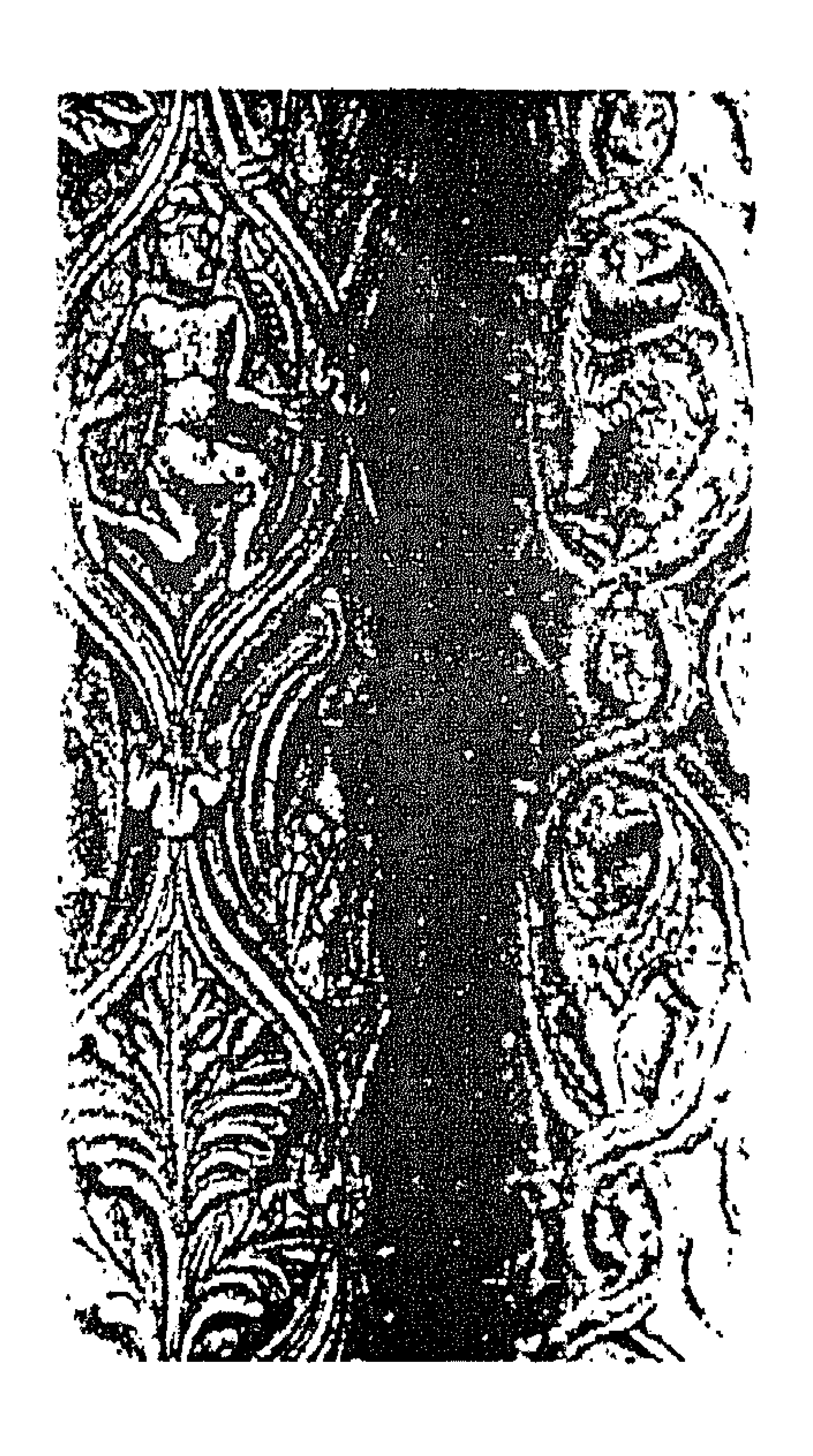
لوحة (٦) أشكال للشرفات داخل الكابلاتينا ببالرمو منفذه بالفسيفساء عن :
Doris



لوحة (٧) كنسية شفلو Cefolu (١١٣١ ، ١٢٦٧) عن :
(شبكة الانترنت)



لوحة (٨) زخارف داخلية بكنيسة شفلو Cefolu عن :
Bellafiore

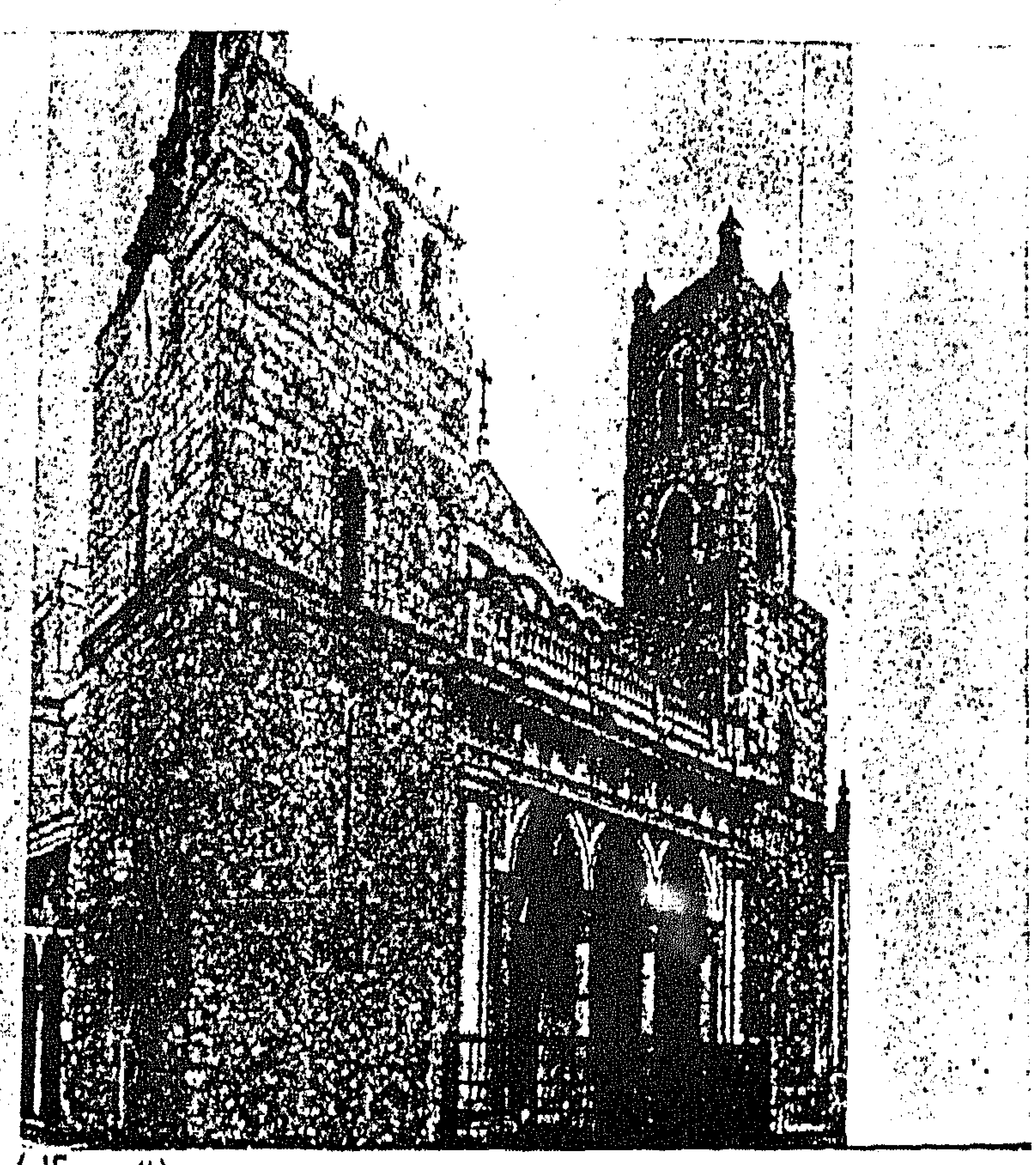




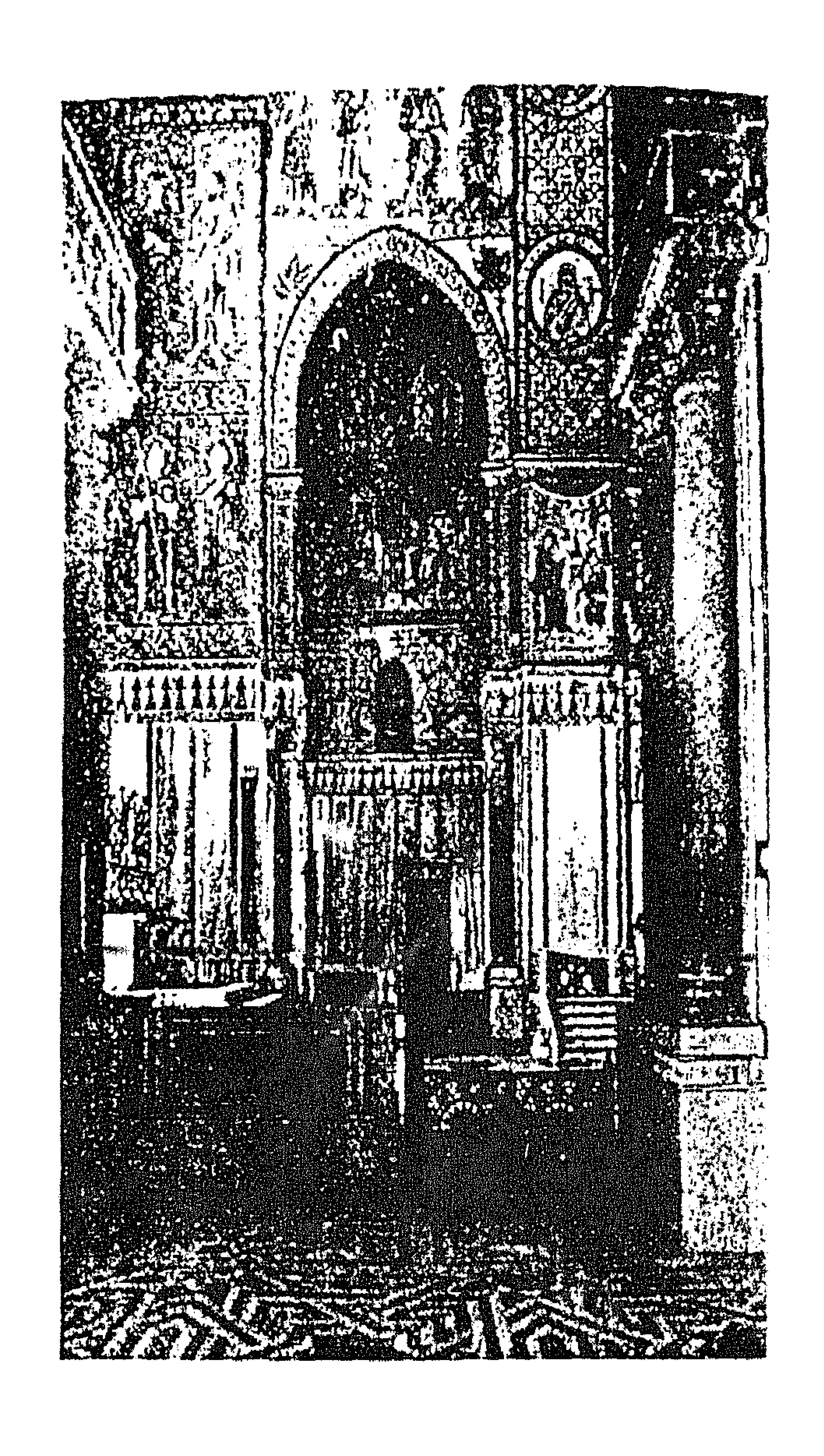
لوحة (٩) زخارف نباتية وآدامية داخل كنيسة شفلو Cefolu عن :
Bellafiore



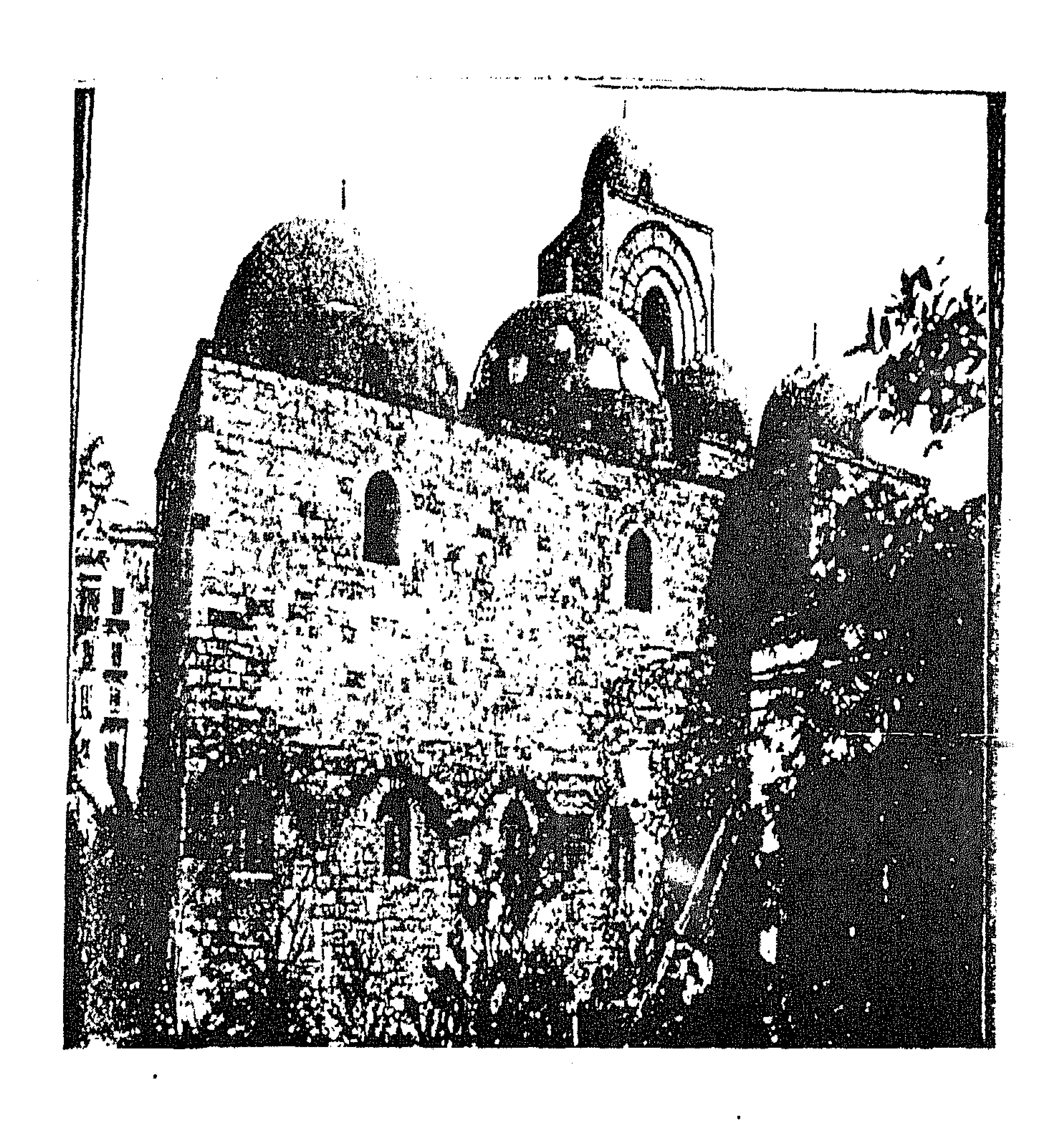
لوحة (١٠) منظر داخلي في كنيسة المارتورانا (سانت ماريا) توضح عقود الواجهـات (١١٣٦م/٥٣١هـ) عن : Bellafiore



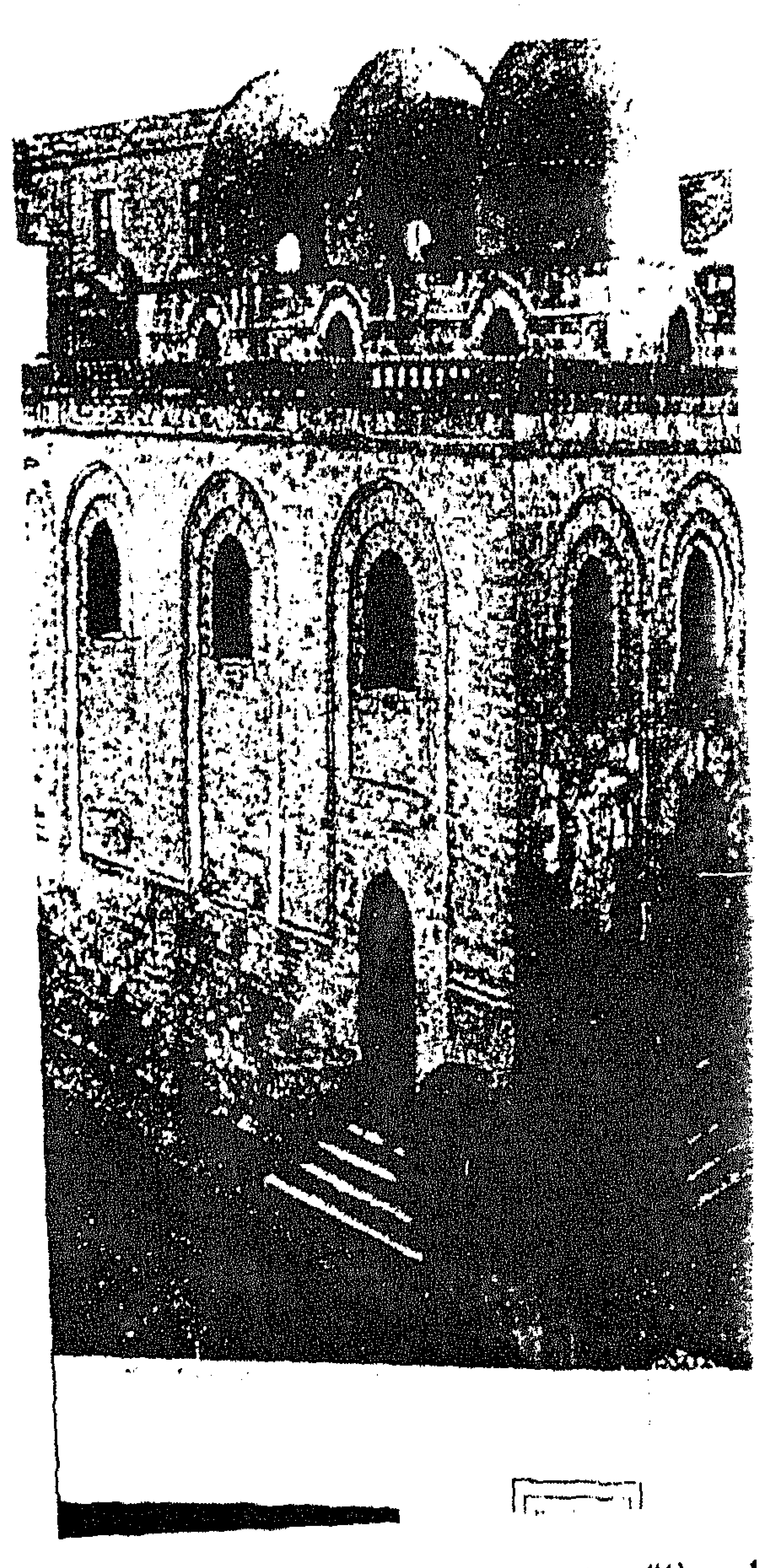
لوحة (١١) منظر خارجى لكنيسة مونريالى Monreale (القرن ١٢م)



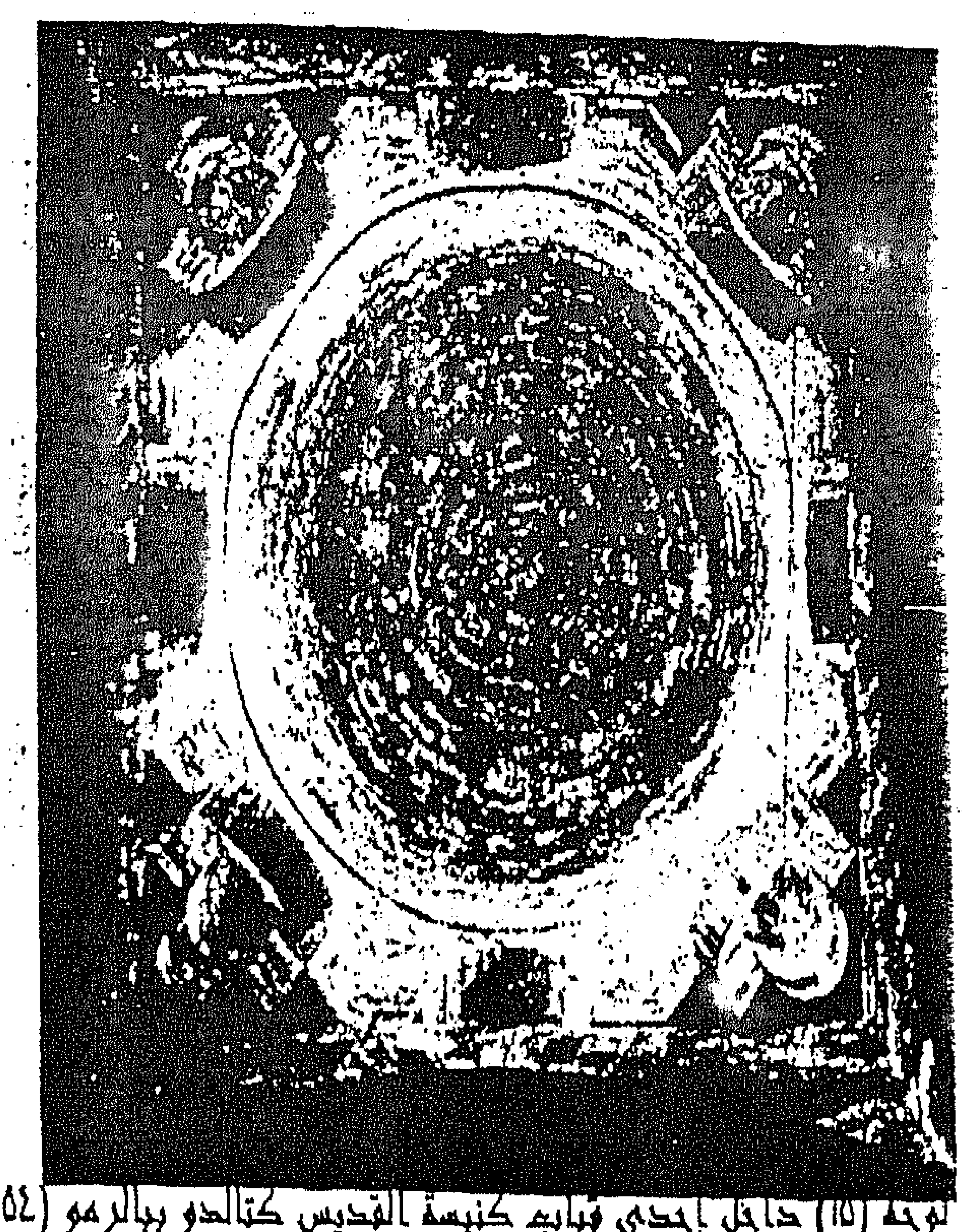
لوحة (١٣) الشرقية بكنيسة مونريالى Monreale (القرن ١٢م/٦هـ) عن :
Bellafiore



لوحة (١٣) منظر عام لكنيسة القديس جيوفانى بپالرمو (القرن ١٢م) عن :
Bellafiore

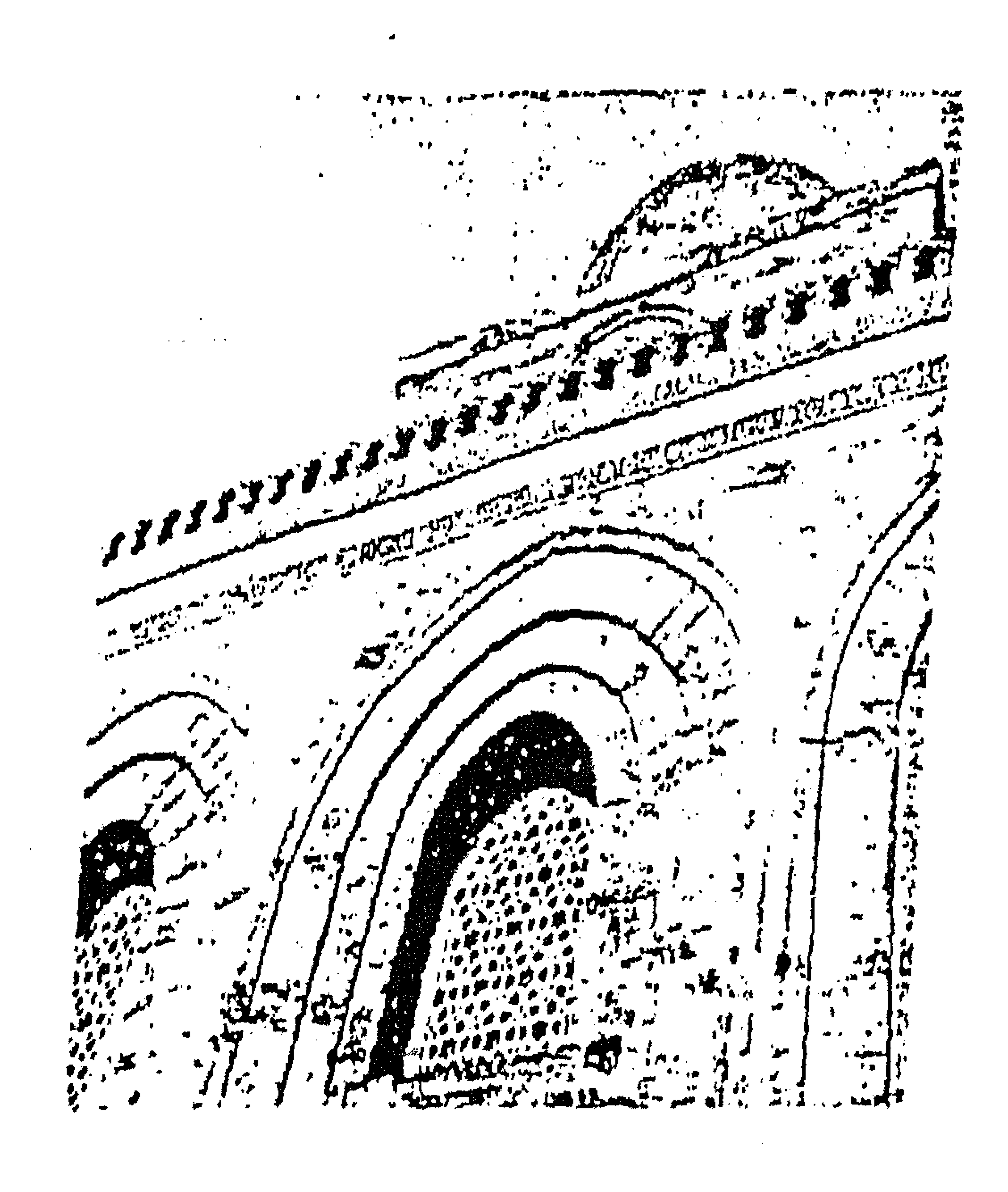


لوحة (١٤) منظر عام لكنيسة القديس كتالدو ببالرمو (١١٥٤م) عن ،
Bellafiore

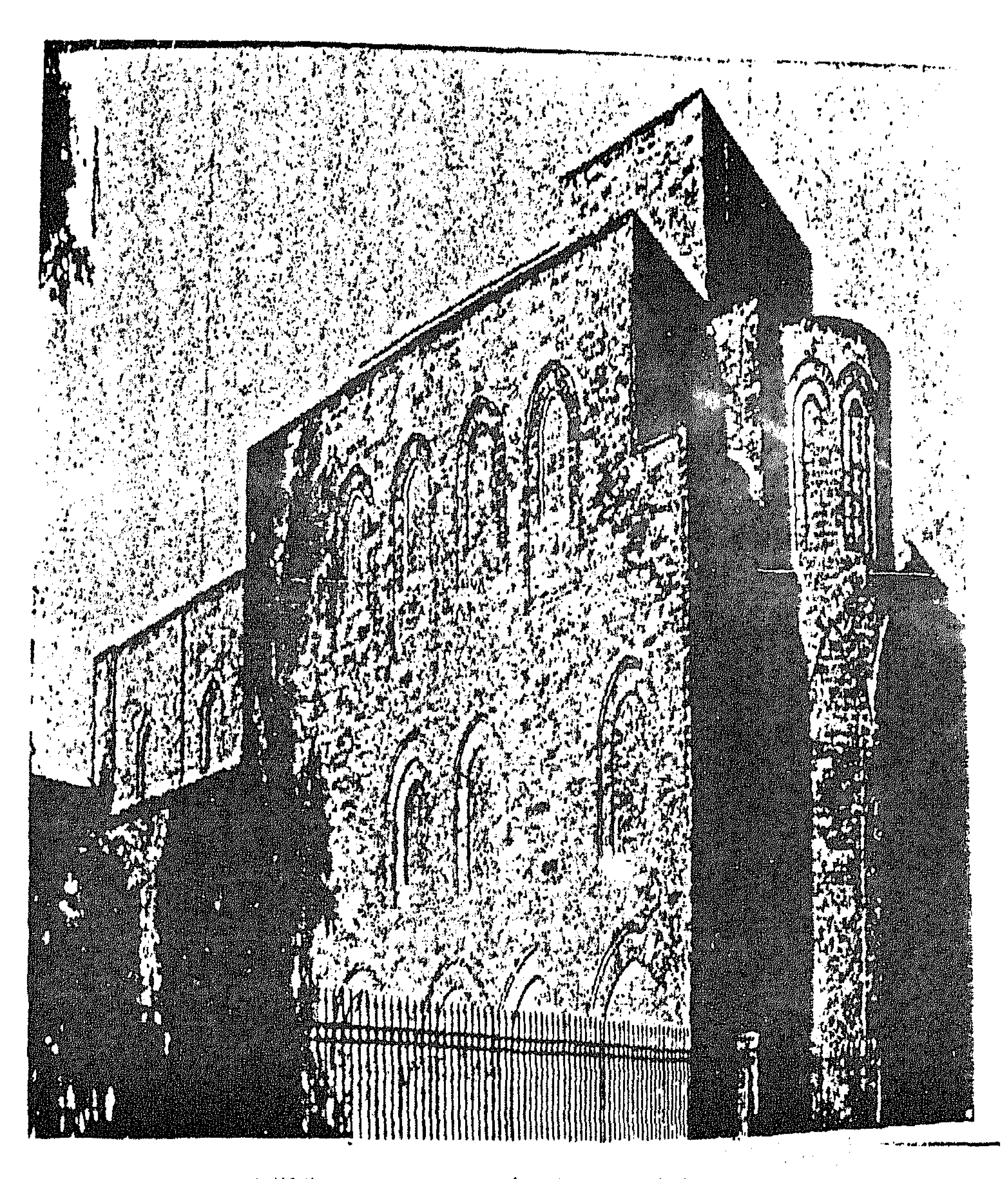


لوحة (١٥) داخل إحدى قباب كنيسة القديس كتالدو ببالرمو (١١٥٤م) عن :

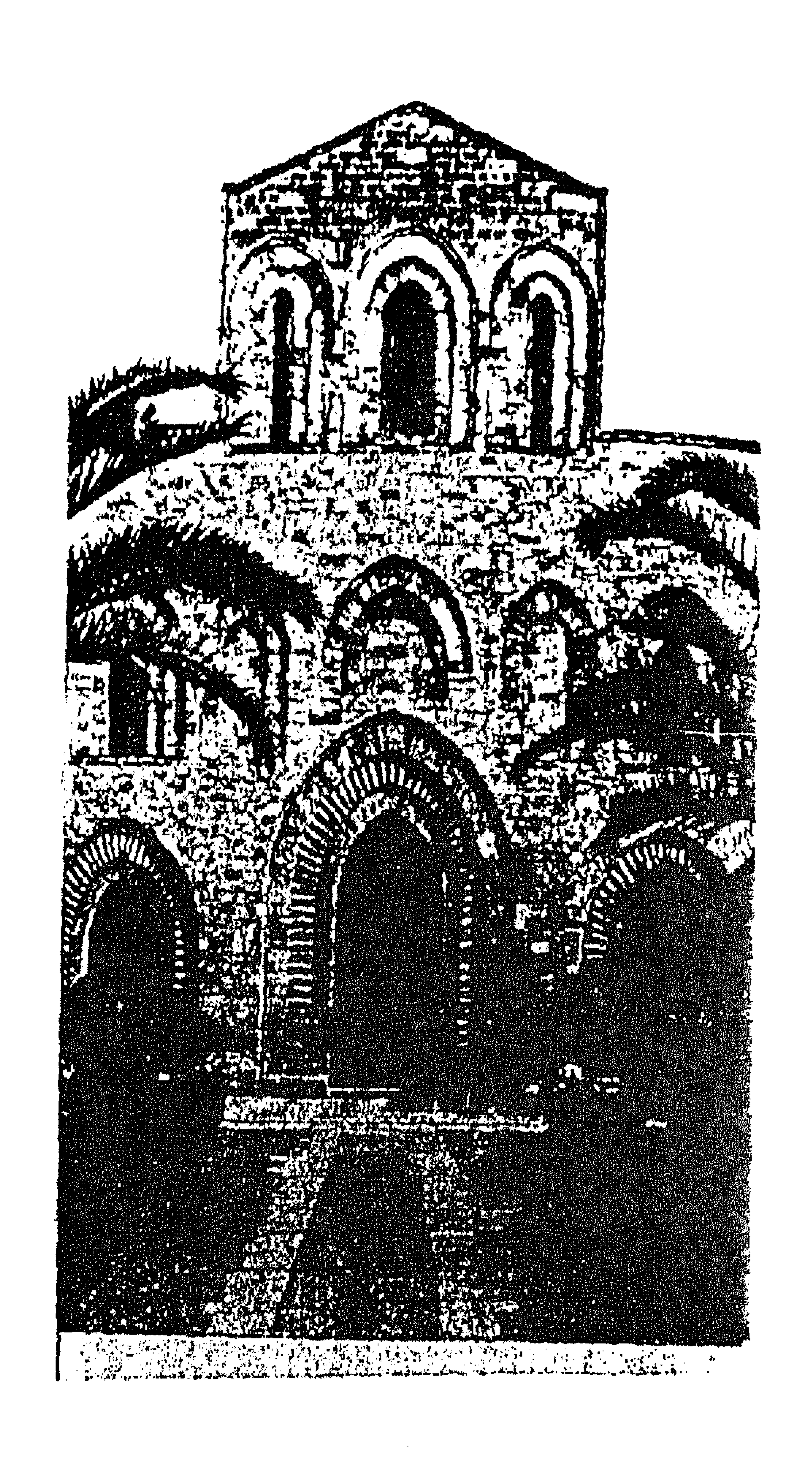
Giuseppe



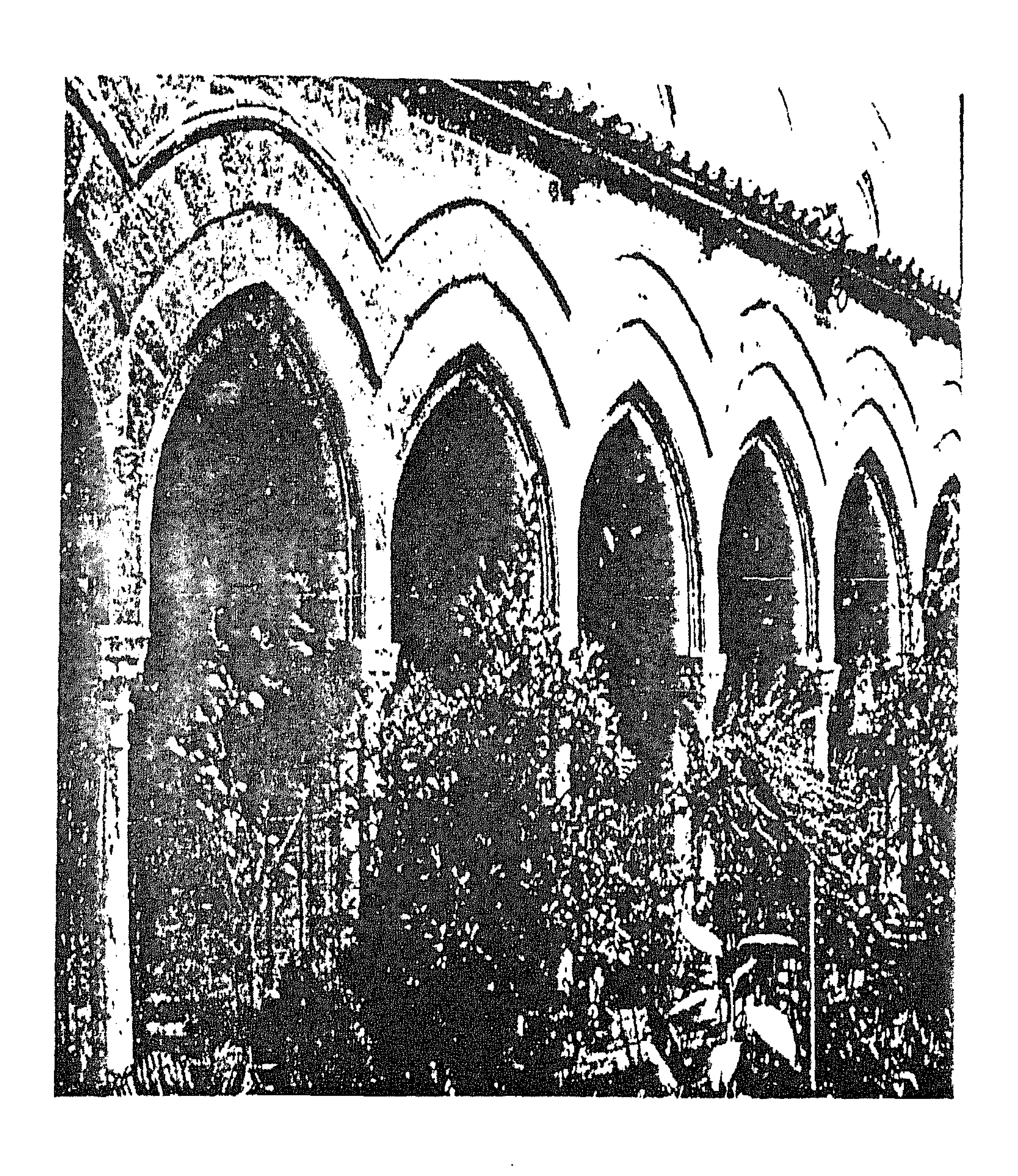
لوحة (١٦) شرفات بكنيسة القديس كتالدو بپالرمو (١١٥٤م) عن :
Jairazbhoy



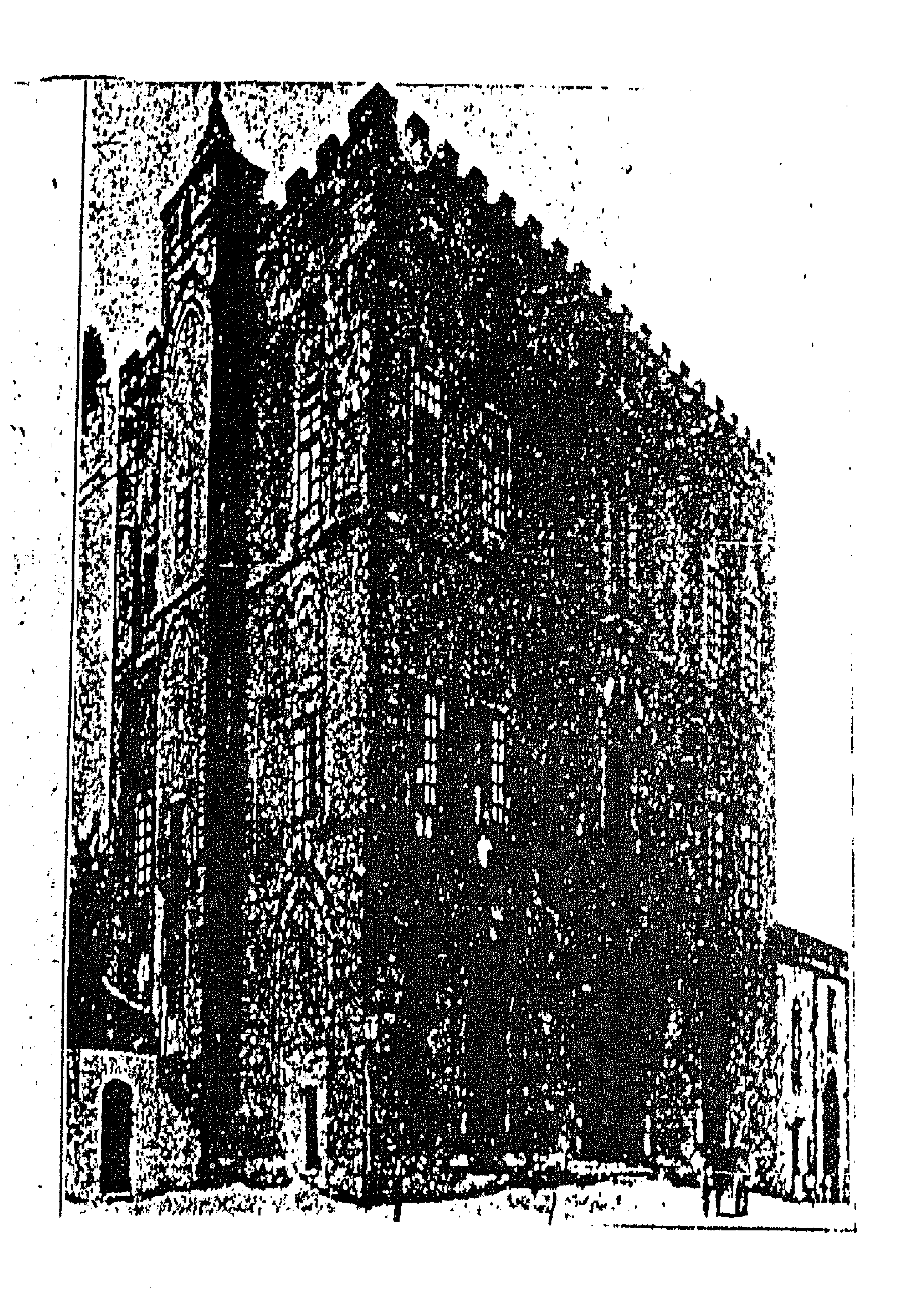
لوحة (١٧) منظر عام لكنيسة ديلاترينيتا (١١٩١م) عن :
Bellafiore



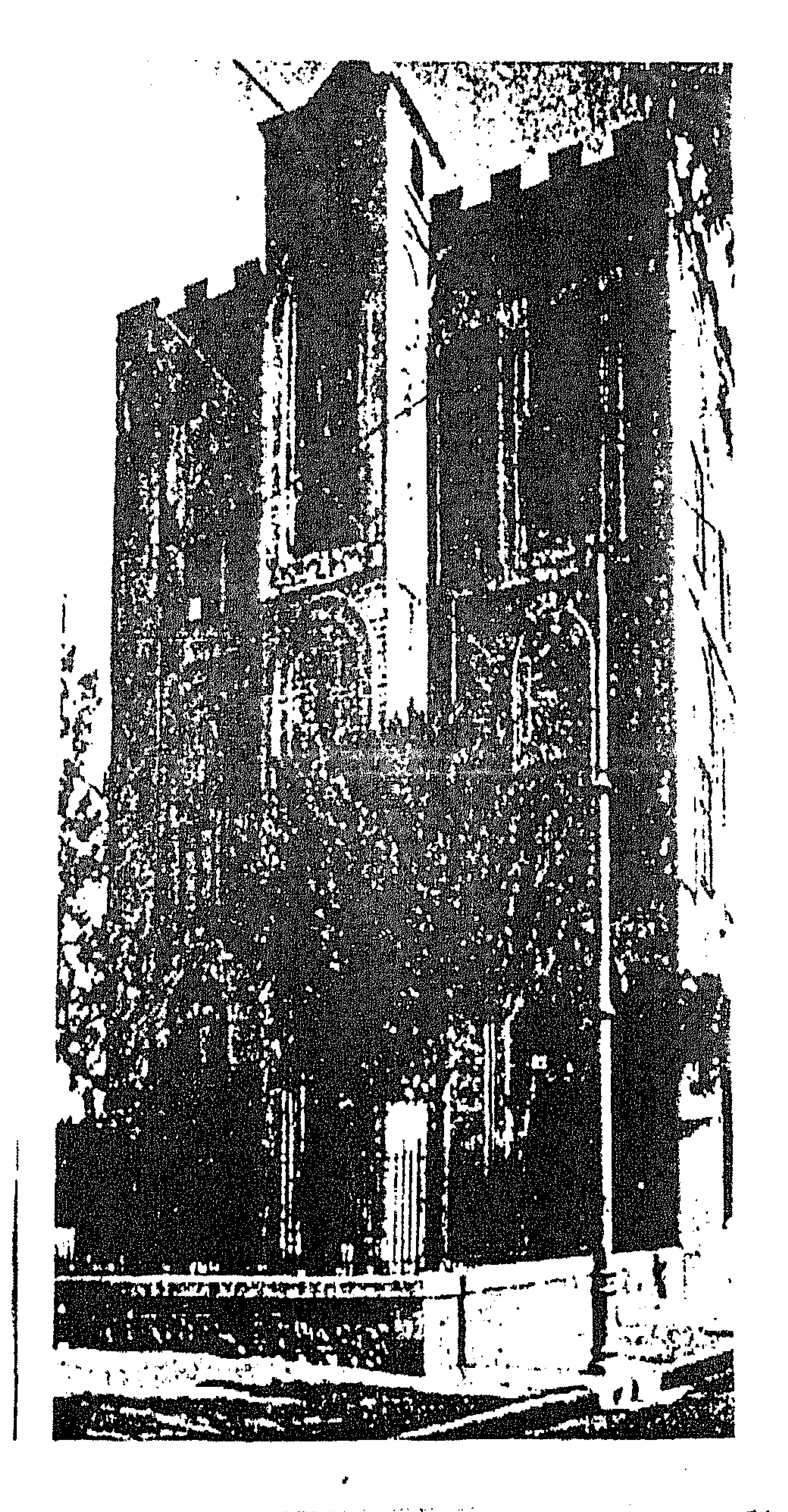
لوحة (١٨) المدخل الرئيسى لكنيسة ديلاترينيتا ببالرمو (١١٩١م) عن :
Bellafiore



لوحة (١٩) بائكة بكنيسة ديلاتريني‍تا بباليرمو (١١٩١م) عن :
Bellafiore

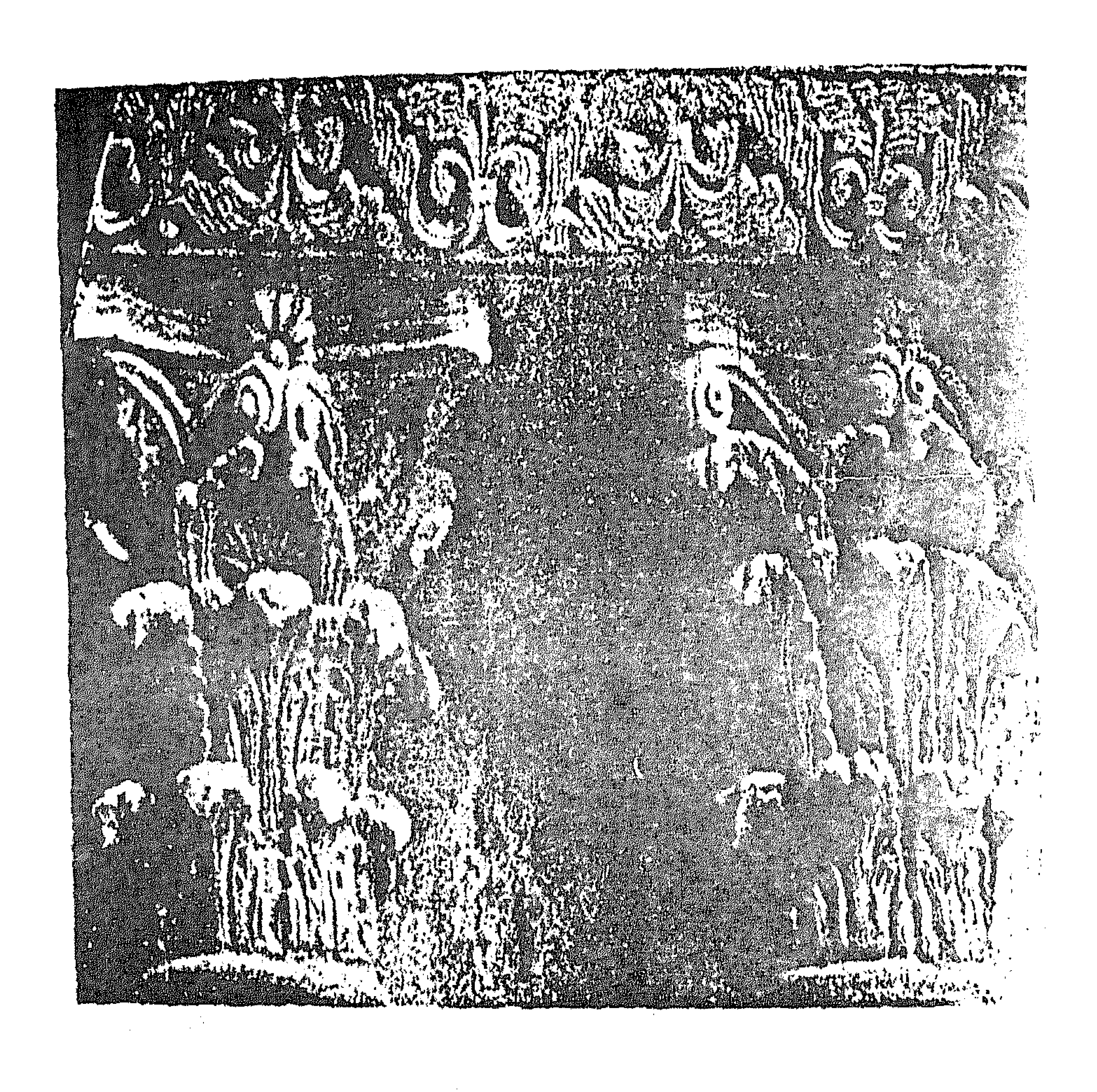


لوحة (٣٠) الواجهة الرئيسية لقصر العزيزة ببالرمو عن :
Mazot

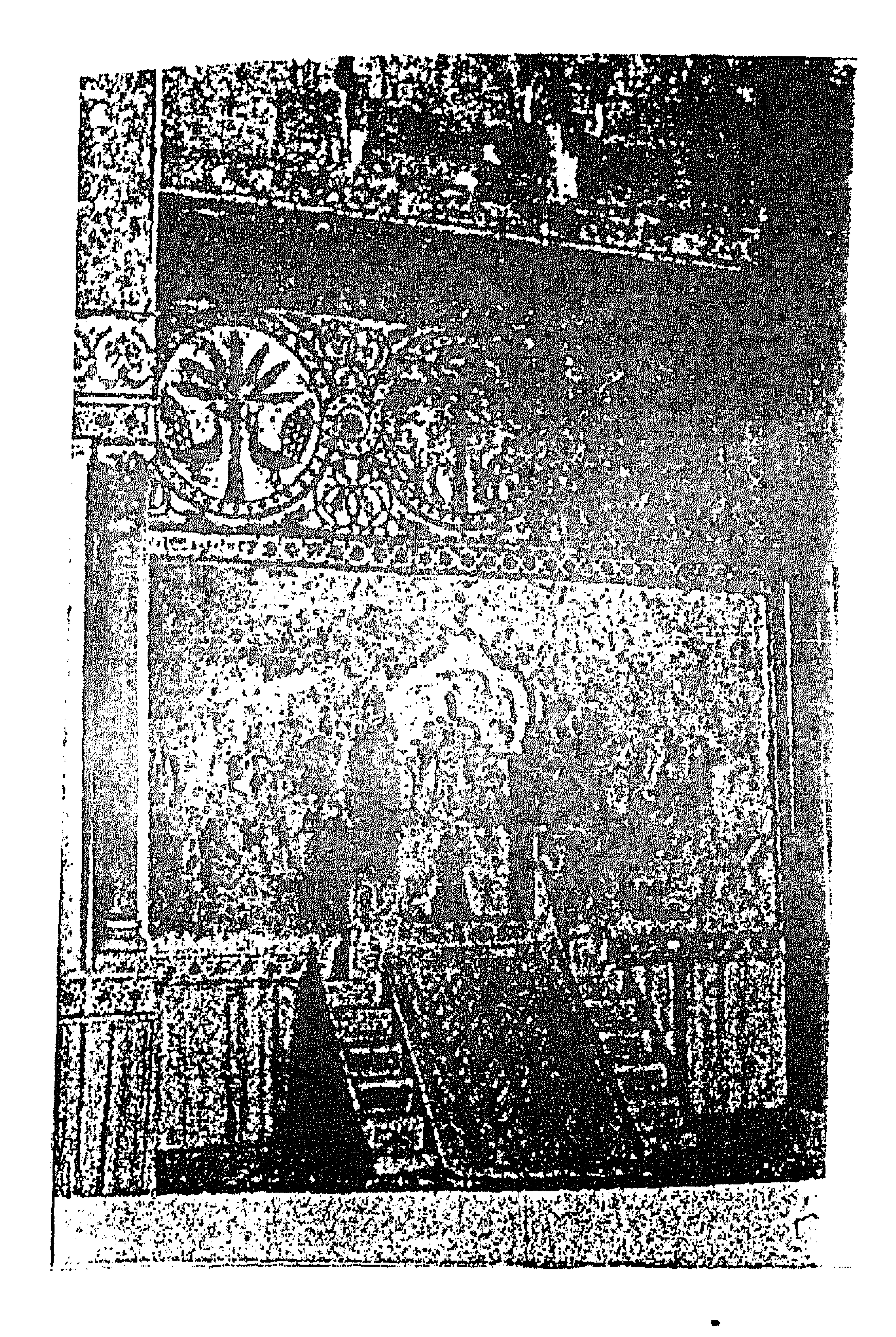


لوحة (٢١) منظر عام لقصر العزيزة بپالرمو (١١٦٥ - ١١٨٠م) عن

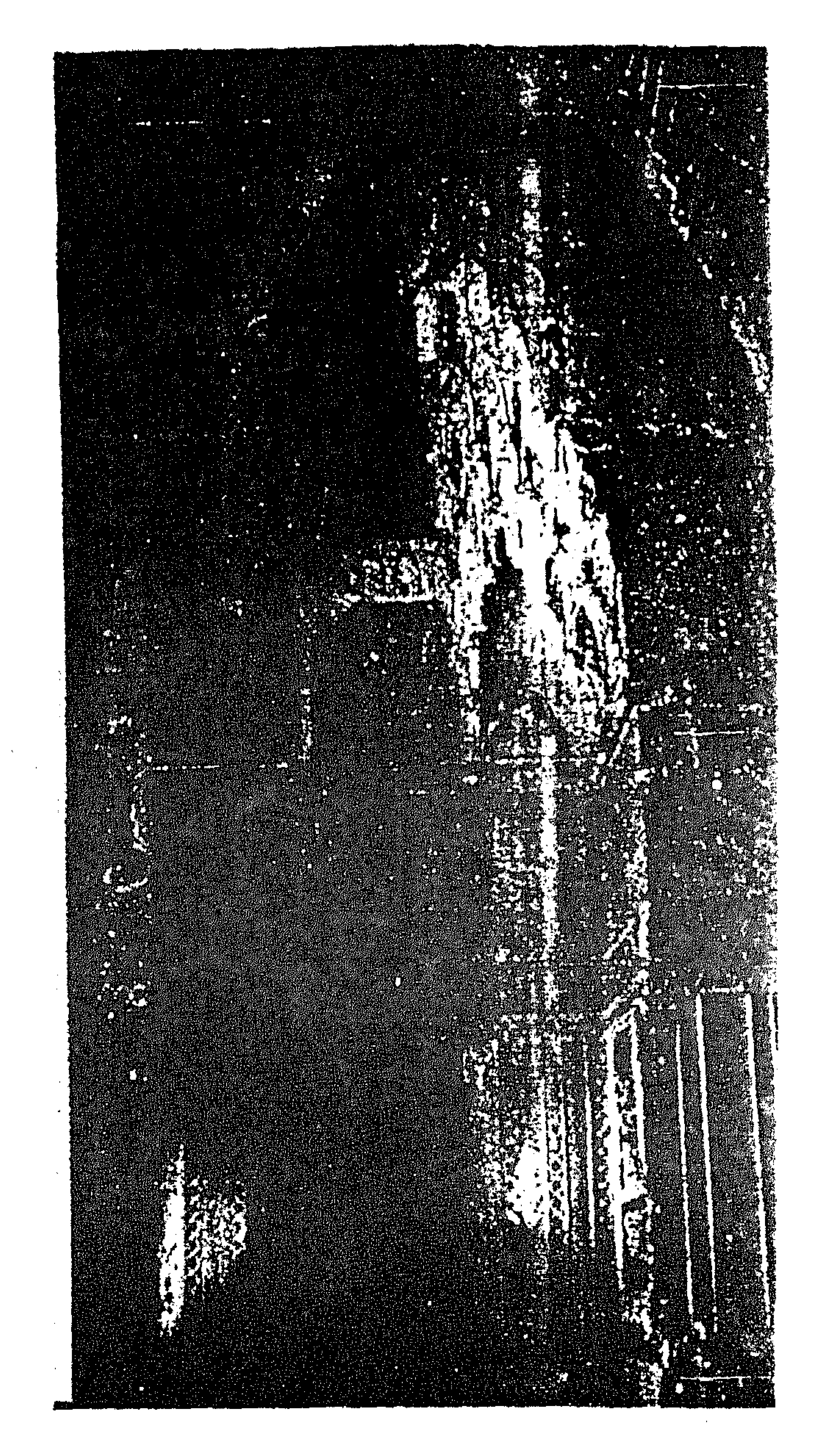
Marcais



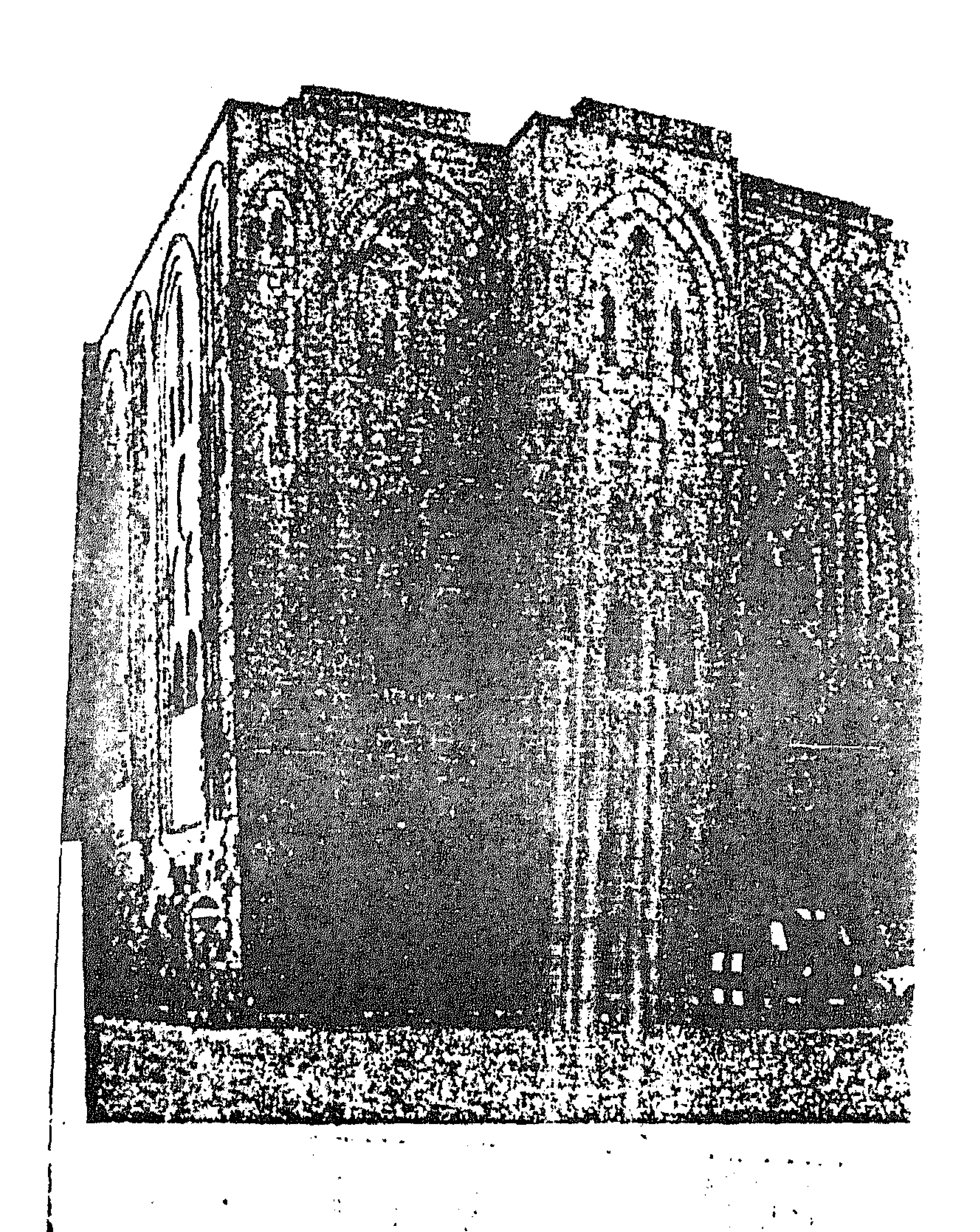
لوحة (٢٢) أعمدة وزخرفة نباتية بالحفر بقصر العزيزة عن :
Bellafiore



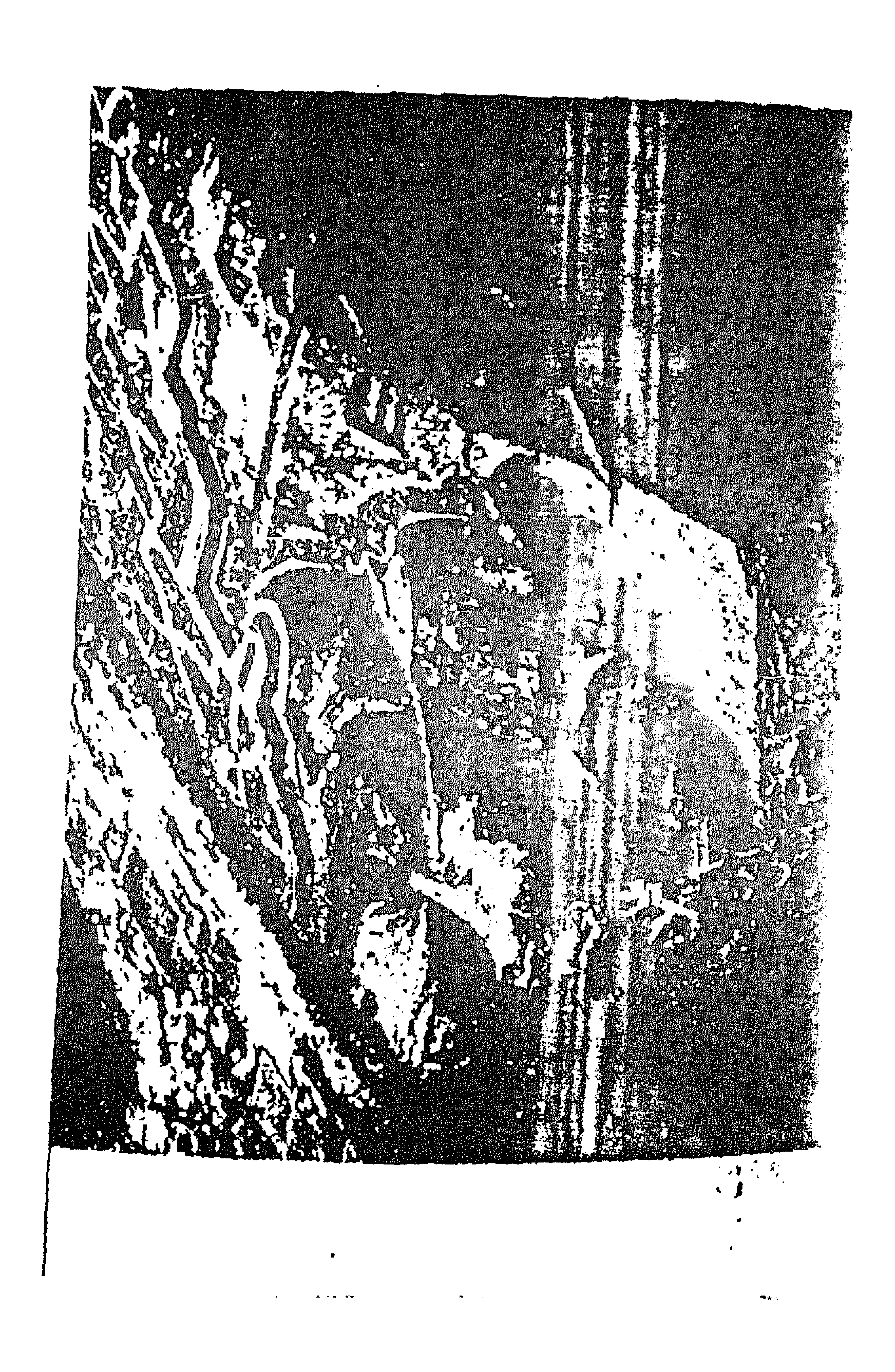
لوحة (٢٣) داخل قصر العزيزة بپالرمو (١١٦٥ - ١١٨٠م) عن :
Bellafiore



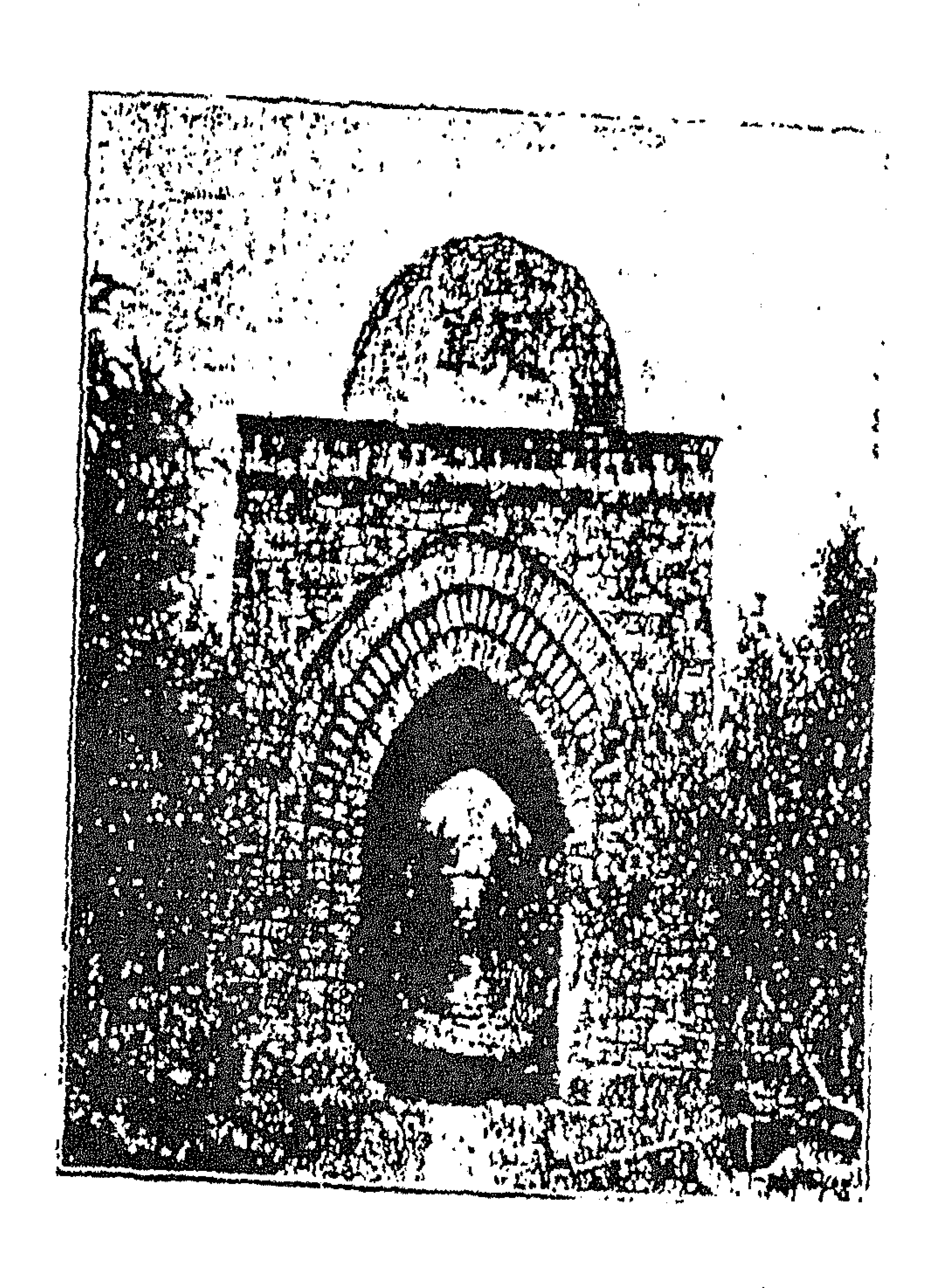
لوحة (٢٤) مدخل بقصر العزيزة ببالرمو (١١٦٥ - ١١٨٠م) عن :
Marcais



لوحة (٣٥) واجهتي قصر القبة ببالرمو عن :
Bellafiore



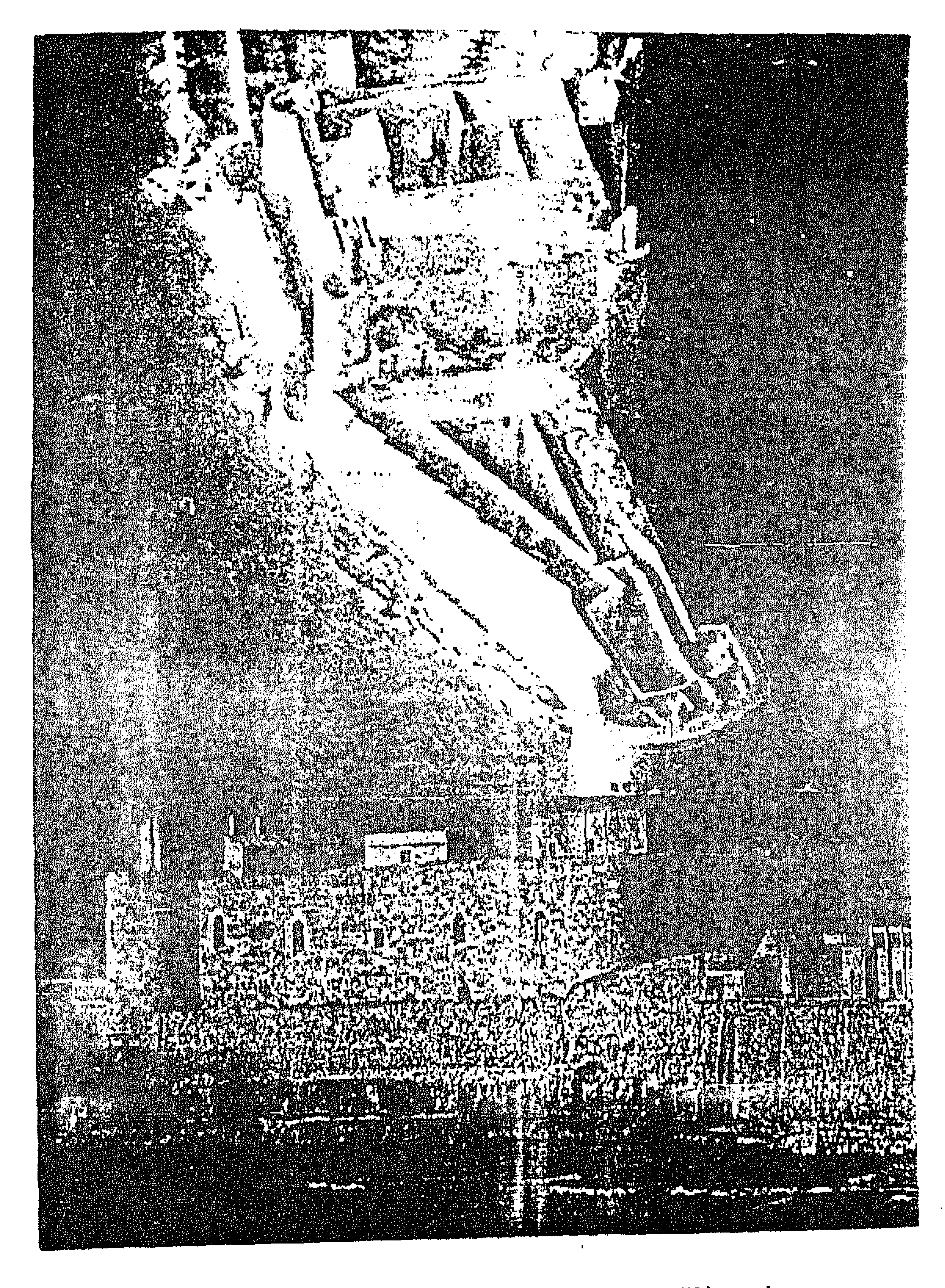
لوحة (٣٦) منطقة الانتقال بقصر القبة ببالرمو عن :
Giuseppe



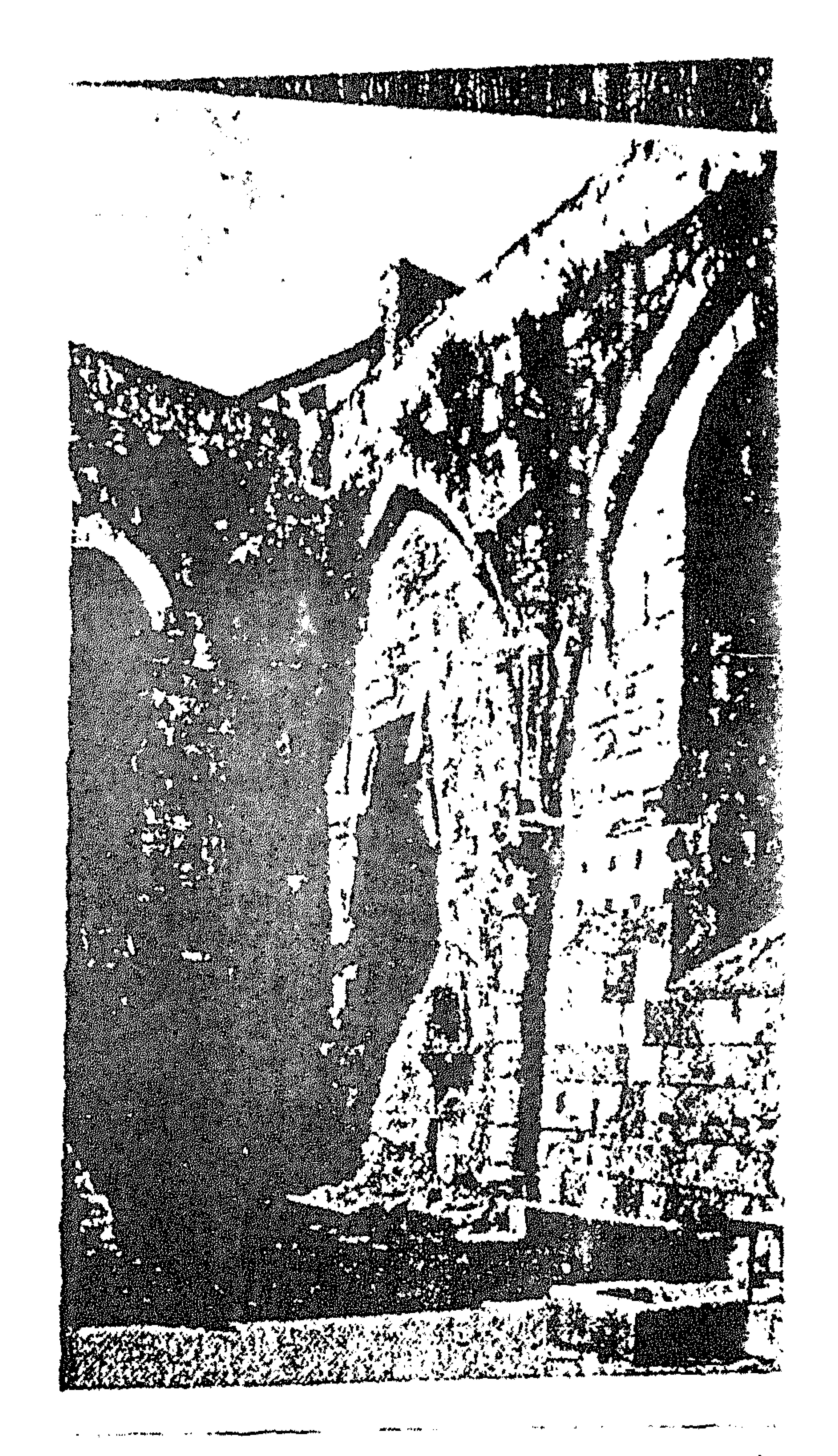
لوحة (٣٧) قبيبة بالقصر الملكي ببالرمو عن :
Marcais



لوحة (٢٨) قلعة فيترانو ببالرمو (١٢م) ضمن كنيسة ديلاتربنيتا عن :
Bellafiore



لوحة (٣٩) قلعة منيسية Maniace بسراقوسة (١٢٣٢ - ١٢٣٩م) عن :
Distefano



لوحة (٣٠) منظر داخل قلعة منيسة - سراقوسة عن ،
Distefano

المؤلف فى سطور

يطيب لنا فى الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى أن نقدم عاشق الآثار الإسلامية عمائرها وفنونها، استهوته بنماذجها وأشكالها العديدة، وأماكن وجودها، فهام يطوف محللاً لها ومفسراً مسمياتها وموضحاً أنشطتها التى تميزت بها عبر عصورها المتعاقبة.

هو الأستاذ الدكتور محمد محمود على الجهينى (وكيل كلية الآثار – جامعة جنوب الوادى)، الذى تخرج فى كلية الآثار – جامعة القاهرة، وتتلمذ على أيدى علماء الآثار الإسلامية بها، وعين بكلية الآداب بقنا، وشغل منصبى وكالة الكلية لشئون البيئة التعلم والطلاب، وعضو فى العديد من الجمعيات العلمية، وشارك فى الكثير من المؤتمرات العلمية العالمية والمحلية.

أنتج الكثير من البحوث العلمية القيمة، وأسهم بنصيب وافر فى التدريس والإشراف على الرسائل العلمية، كما أوفد فى مهمة علمية لألمانيا تنمية للتبادل العلمى بين الجامعة وجامعة **Hamborg** فحقق هناك بحوثاً علمية قيمة، ونال عن أبحاثه جائزة أكاديمية البحث العلمى المصرية فى تنمية الابتكار والاختراع فى مجال الآثار لعام ٢٠٠٠م.

وهو غنى عن البيان والتعريف والتقديم، ولكن هذا شكر بسيط نقدمه لأستاذنا صاحب هذا الجهد الرائع من خلال هذا العمل الذى يعد إضافة قيمة لبحوث الآثار، وهو كعهدنا به دائماً مهموم بقضايا البحث الأثرى، وهاهو فى سطور :

الدرجات العلمية :

- ليسانس الآثار الإسلامية – كلية الآثار – جامعة القاهرة ١٩٨٣م .
- ماجستير الآثار الإسلامية – كلية الآثار – جامعة القاهرة ١٩٨٨م .
- دكتوراه الآثار الإسلامية – كلية الآثار – جامعة القاهرة ١٩٩٢م .
- أستاذ مساعد الآثار الإسلامية – قسم الآثار الإسلامية – كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادى ٢٠٠٢م .
- وكيل كلية الآثار – جامعة جنوب الوادى لشئون الدراسات العليا والبحوث ٢٠٠٦م .

التاريخ الوظيفى والخبرات :

- مدرس الآثار الإسلامية بكلية الآداب بقنا ١٩٩٤م .
- أستاذ الإرشاد السياحى – كلية الاقتصاد – جامعة درنة بالجماهيرية الليبية ١٩٩٧ – ١٩٩٩م .
- أوفد فى مهمة علمية بألمانيا ٢٠٠١م .
- التدريس بالمعهد العالى للسياحة (ايجوث بالأقصر) ١٩٩٩ – ٢٠٠٣م.
- أستاذ مساعد بقسم الآثار الإسلامية بكلية الآداب بقنا ٢٠٠٢م .
- وكيل كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادى لشئون خدمة المجتمع وتنمية البيئة ٢٠٠٣م .
- وكيل كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادى لشئون التعليم والطلاب ٢٠٠٣م .

الجمعيات العلمية والمؤتمرات :

- عضو الجمعية التاريخية بالقاهرة .
- عضو اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة .
- عضو جمعية اتحاد الآثار بين العرب بالقاهرة .
- عضو الجمعية الأردنية لتاريخ العلوم بالأردن .
- عضو لجنة التراث والمبانى التاريخية – محافظة قنا .
- المشاركة فى أعمال المؤتمر الدولى "المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز" الذى عقد بجامعة الأزهر ١٩٩٣م .
- المشاركة فى أعمال مؤتمر هيئة فولبرايت الأمريكية عن التاريخ الاقتصادى والاجتماعى لمصر العثمانية ١٩٩٦م .
- المشاركة فى أعمال مؤتمر حول محافظة الدقهلية على مر العصور (رؤية تاريخية واجتماعية وأثرية بكلية الآداب – جامعة المنصورة) ١٩٩٣م .
- المشاركة فى أعمال المؤتمر الدولى لاتحاد الآثاريين العرب ١٩٩٩م (التواصل الحضارى بين أقطار الوطن العربى) .
- المشاركة فى أعمال مؤتمر الآثاريين العرب ٢٠٠٠م (دراسات فى آثار الوطن العربى) .

- المشاركة فى أعمال المؤتمر الدولى لمدونة الآثار العثمانية فى زغوان بتونس ١٩٩٩م .
- المشاركة فى أعمال المؤتمر الرابع للجمعية الأردنية لتاريخ العلوم "دور التراث العربى الإسلامى فى المنجزات العلمية الغربية" - أربد - الأردن ٢٠٠٢م .

مؤلفاته :

- كتاب أحياء القاهرة القديمة وآثارها الإسلامية "حى باب البحر" - دار نهضة الشرق ٢٠٠٠م - الحائز على جائزة أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا عن تنمية الابتكار والاختراع فى مجال الآثار .
- نشر كثير من المقالات عن الآثار الإسلامية فى مجلة "المنهل"، جريدة المدينة، جريدة العالم الإسلامى .
- الإشراف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه فى مجال الآثار الإسلامية .
- ناقش العديد من رسائل الماجستير فى مجال الآثار الإسلامية .
- له تحت الطبع العديد من الكتب منها :
  - أحياء القاهرة القديمة : الجودرية، المسطاح، المحمودية .
  - العمارة الحربية فى الجزيرة العربية فى العصر العثمانى .
  - كنوز الآثار الإسلامية بالقاهرة والأقاليم .
  - إطلالة على العمارة الحربية الباقية فى شرق العالم الإسلامى .
  - مدينة درنة وآثارها الإسلامية فى العصر العثمانى .
  - صقلية وآثارها الإسلامية فى العصر الفاطمى .

بحوثه العلمية :

- الأمير جانى بك وآثاره المعمارية بالقاهرة .
- مصنع تكرير سكر من العصر العثمانى فى ضوء وثيقة وقف الجمالى محمد عبد الله
- مدينة القصير فى القرن التاسع عشر وأهمية الوثائق فى الكشف عن تخطيطها وتأريخ عمائرها .
- الأسعار بسوق مدينة الفيوم الكبير فى ضوء سجل إشهادات من القرن ١٩.
- العمارة المدنية بميت غمر والمنصورة فى العصر العثمانى.

- شاهد قبر أبو الفرج الزجاج المحفوظ بمتحف كلية الآثار – جامعة القاهرة .
- المصبعات والمشبكات المعدنية بمدينة القاهرة فى القرن التاسع عشر .
- جامع رشيد باشا بدرنة – العمارة وأصول التخطيط .
- قبة الباى محمد بمدينة تونس القديمة (دراسة فى الشكل والمضمون) .
- مساجد درنة الأثرية وعناصرها المشرقية والمغربية تأكيد للتواصل الحضارى مع ليبيا
- صناعة البنادق وآلية تشغيلها فى العصر العثمانى .

التدريس :

- تدريس مادتى العمارة والفنون الإسلامية فى العصر الأموى والأيوبى والمملوكى البحرى والجركسى والعثمانى .
- تدريس مادة المواقع الأثرية والسياحية بالمعهد العالى للسياحة والفنادق (ايجوث) بالأقصر .
- تدريس مادة فن المتاحف (آثار مصرية – آثار إسلامية).
- تدريس مادة الخط العربى والكتابات الأثرية بكلية التربية بقنا .
- تدريس مادة مناهج البحث .
- تدريس مادتى الفنون والعمارة الإسلامية .

نتمنى لقرائنا الأعزاء أن يجدوا فى هذا العمل ما تصبو إليه نفوسهم وأن يكون خير معين لهم.

الناشر

الفهرس

** ** ** **

مطابع الدار الهندسية/القاهرة
تليفاكس: ٥٤٠٢٥٩٨ محمول: ٠١٢٢٢٣٤٩٠١١

هذا الكتاب



لم يتبق من العمائر الإسلامية فى صقلية سوى عدد قليل؛ وأشهرها قصر العزيزة، وقصر القبة القائمان بالقرب من العاصمة بالرمو؛ والذى ثبت بهما أنه لم يكن من المبالغة ما رواه المؤرخون عن فخامة المبانى الإسلامية فى الجزيرة، فلقد شيدت من الحجر المهذب، وزخرفت بالرخام الثمين والفسيفساء، وحفلت واجهاتها بالنقوش، وازدانت بالدخلات، وعشقت نوافذها بالسواتر الجصية المعشق بها الزجاج الملون.

وفى ذلك يذكر الإدريسى: ؛... ولها حسن المبانى التى سارت الركبان بنشر محاسنها فى بناءاتها ودقائق صناعتها وبدائع مخترعاتها ؛. فمنازلها شامخة شريفة وقصورها منيعة وحماماتها وحوانيت التجار بديعة. كذلك فقد اتسمت مدنها بإحاطاتها بالأسوار ذات الأبراج والبوابات الحصينة ؛ وهى حسنة تعجز الواصفين وتبهر عقول العارفين وهى بالجملة فتنة للناظرين.

ومحاولة من كاتبنا فى كشف سمات العمارة الإسلامية فى العصر الفاطمى، فقد عكف على دراسة المصادر التاريخية التى تناولت الجزيرة متتبعاً ما ورد بها من عمائر وما ورد عنها من أوصاف مع مقارنة ذلك بما تبقى منها داخل الجزيرة، أو بالعمائر المشابهة فى بلاد المغرب الأوسط، وفى القاهرة. حيث كشفت تلك المصادر منذ فتح الأغالبة وحتى خضوعها للنورمانديين عن الكثير من العمائر الإسلامية، والتى منها المدن المسورة، والمساجد ذات المآذن، والقصور، والحمامات،...الخ، والتى امتازت بفخامتها وتعدد عناصرها المعمارية.

ولا يبقى إلا أن نتوجه بالشكر للدكتور محمد الجهينى العاشق للآثار على الرائع، جعله الله تعالى فى ميزان حسناته، ونفع به قارئنا العزيز وأن يكون

الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى

٨٢ شارع وادى النيل ، المهندسين ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية

تلفاكس ٥٦١ ٣٠٣٤ ٠٠٢٠٢ محمول ٤٥٩٣ ١٧٣ ٠١٢

E-mail : j_hindi@hotmail.com